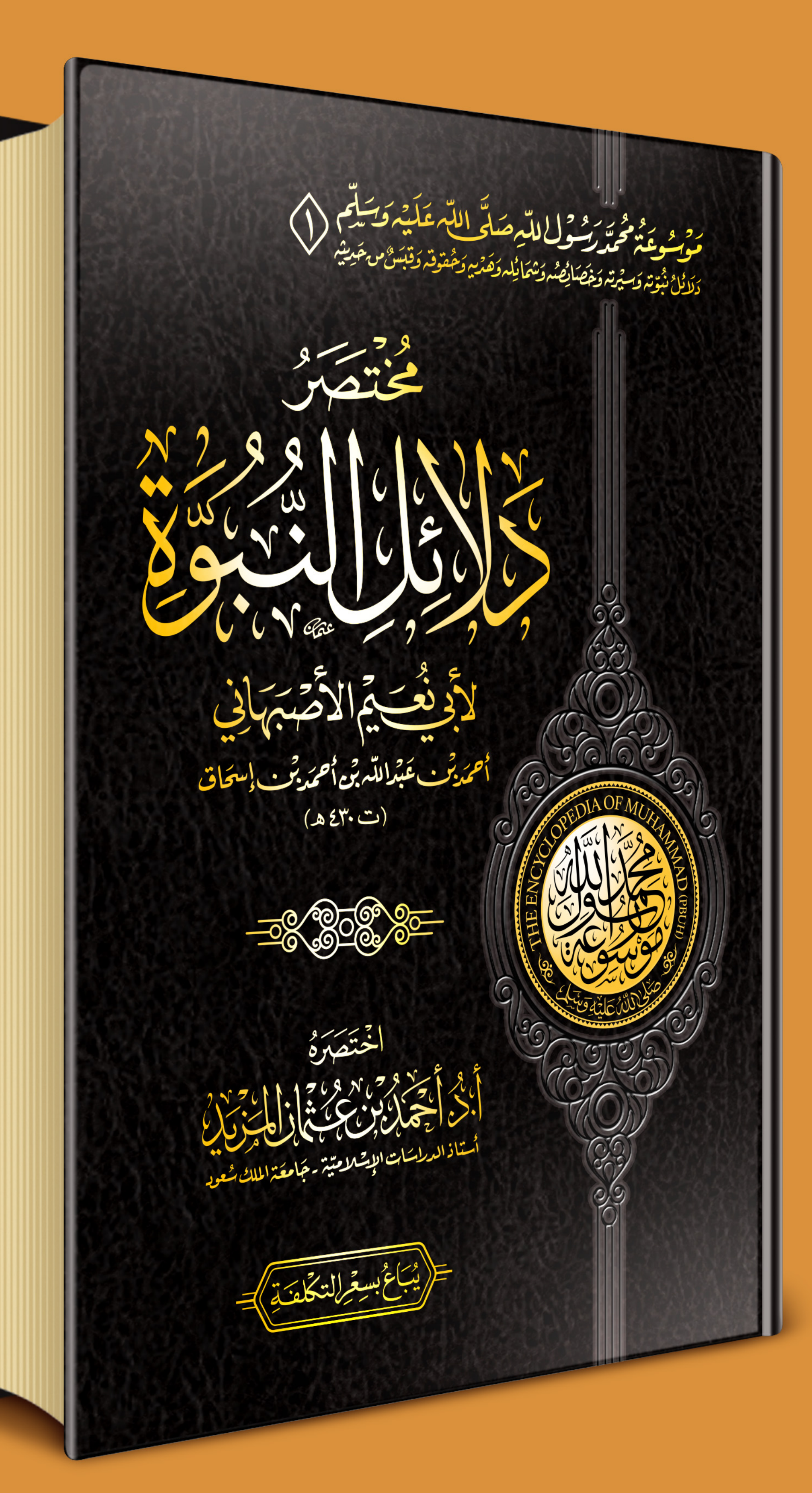


موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه
مختصر
دلائل النبوة
لأبي نعيم الأصبهاني
أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق
(ت ٤٣٠ هـ)
THE ENCYCLOPEDIA OF MUHAMMAD (PBUH)
اختصره
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود
يباع بسعر التكلفة


مختصر
دلائل النبوة
لأبي نعيم الأصبهاني



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المزيد، أحمد عثمان

موسوعة محمد رسول الله ﷺ الوقفية دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله. / أحمد عثمان المزيد.

الرياض، ١٤٣٨هـ

٦ مج

ردمك: ٨ -٤٣٩٣- ٠٢ -٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٥ -٤٣٩٤- ٠٢ -٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

١- السيرة النبوية أ- العنوان

ديوي ٢٣٩ ١٤٣٨ / ٦٥٩٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨ / ٦٥٩٣

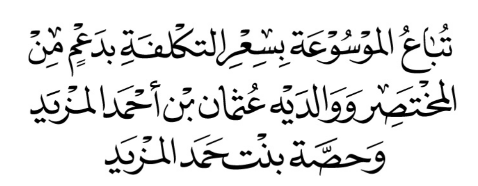
ردمك: ٨ - ٤٣٩٣ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

٥ - ٤٣٩٤ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

الطَّبعةُ الأولى

(١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)

المجلدُ الأول





هاتف: 00966 112313018 جوال: 00966 500996987

تطلب من جميع فروع مكتبة جرير

موسوعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

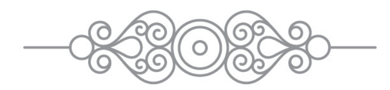
دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر دلائل النبوة

لأبي نعيم الأصبهاني

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق

(ت ٤٣٠ هـ)





اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة الملك سعود



إهْداءُ إلى
مَنْ غايَتُهُ مُرافقة
مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ
في الجَنَّةِ



محتويات مقدمة موسوعة

محـمـد رســول الـلـه ﷺ

الـوقـفـيـــة

أولا: توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّنا وحبيبِنا محمدٍ رسول الله ﷺ، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ:**

فإن مدارسةَ سيرةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ مِن شعائرِ هذا الدينِ، تعلَّمها سلفُنا الصالحُ كما تُتعلَّم السورةُ من القرآنِ، واهتدَى بها أهلُ خيرِ القرونِ، فسادوا العالـمَ علمًا وعملًا وأخلاقًا وهديًا.

وهذه كلمات موجزة بين يدَي سيرته ﷺ:

❶ محمد رسول الله ﷺ:

هو ﷺ أكرمُ البشريةِ، وأزكى الإنسانيةِ، اصطفاه الله مِن بني هاشم، فهو سيدُ ولدِ آدمَ، صلَّى بالأنبياءِ إمامًا ليلةَ الإسراءِ، وهو إمامُهم في الدنيا والآخرةِ، وخاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، وأولُ مَن ينشقُّ عنه القبرُ، وأولُ شافعٍ وأولُ مُشفَّعٍ، وحاملُ لواءِ الحمدِ يومَ القيامة؛ فالأنبياءُ كلُّهم تحتَ لوائِه، يشهدُ بالبلاغِ للأنبياءِ والمرسلين، وهو أولُ مَن يقرعُ بابَ الجنةِ، وأولُ مَن يدخلُ الجنةَ، له الشفاعةُ العُظْمَى، والحوضُ الموروُدُ، والمقامُ المحمودُ.

وهو ﷺ أكثرُ الأنبياءِ تبعًا يومَ القيامةِ، فضَّلَ الله أمتَه على جميعِ الأممِ، وأعطاهم في الدارَينِ أفضلَ النعمِ، أرسلَه الله إلى الجنِّ والإنسِ، والأحمرِ والأسودِ، وأحلَّ له الغنائمَ دونَ الأنبياءِ، وجعلَ له الأرضَ مسجدًا وطهورًا، ونصرَه سبحانه بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ، وشرَّفه بالإسراءِ والمعراجِ، وأعطاه الكوثرَ،

وآتاه جوامعَ الكلمِ، ونسخَ بشريعتِه جميعَ الشرائعِ، وأقسمَ تعالى في كتابِه بحياتِه ﷺ ولم يُقسِمْ بحياةِ أحدٍ سواه، ولم يخاطِبْه في القرآنِ باسمِه بل بألطفِ ما خاطبَ به الأنبياءَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، وحرَّمَ على الأمةِ نداءَه باسمِه، وفرَضَ على العالمِ طاعتَه، والتأسِّيَ به، وفرَضَ على مَن ناجاه أن يقدِّمَ بينَ يدَي نجواه صدقةً، ثم نسَخَ ذلك رحمةً بهم ورأفةً، ولم يُرِهِ في أمتِه شيئًا يسوؤه حتى قبضَه إليه، وتولَّى سبحانه الردَّ على أعدائِه، وقرَنَ اسمَه باسمِه.

وشَقَّ لَهُ مِن اسْمِهِ كي يُجِلَّهُ ** فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ[1]

جمَعَ له سبحانه بينَ المحبةِ والخُلَّةِ، فكلَّمَه سبحانه عندَ سدرةِ المنتهى، ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٥-١٧]، وجمَعَ الله له مما أوتيه الأنبياءُ مِن فضائلَ ومعجزاتٍ؛ فانشقَّ له القمرُ، وسلَّمَ عليه الحجرُ، وشَهِدَ له الشجرُ، وسبَّحَ الحصى في يدَيه، وحنَّ الجِذعُ إليه، ونبعَ مِن بين أصابعِه الماءُ.

زَكَّى ربُّه فؤادَه فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، ولسانَه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾، وبصرَه: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾، وسمعَه: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، وصدرَه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، وخُلُقَه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وعقلَه: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾، ورفَعَ له ذكرَه، وشرَحَ له صدرَه، فاللهُمَّ صلِّ عليه وعلى آله الأطهارِ، وأصحابِه الأخيارِ الأبرارِ، ما تعاقَبَ الليلُ والنهارُ، وسلِّمْ تسليمًا كثيرًا.

---

(١) ديوان حسان بن ثابت (١/ ٣٠٦).

❷ غاية بعثة محمد رسول الله ﷺ:

ومن أهمها:

١- تحقيقُ توحيدِ الله تعالى وإفرادُه بالعبادةِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، قال الطبري (ت٣١٠هـ): «وما أرسلنا -يا محمدُ- مِن قَبلك مِن رسولٍ إلى أمةٍ من الأممِ إلا نُوحي إليه أنه لا معبودَ في السماواتِ والأرضِ تصلحُ العبادةُ له سواي، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ يقول: فأخلِصوا لي العبادةَ، وأفرِدوا لي الألوهيةَ»[(١)].

٢- حفظُ الضروراتِ الخمسِ ورعايتُها: الدينِ، والنفسِ، والنسلِ، والعقلِ، والمالِ؛ فعليها تقومُ مصالحُ الدِّينِ والدُّنيا والنجاةُ والفلاحُ في الآخرة.

٣- قطعُ الحجةِ على الناسِ، لئلَّا يَعتذِروا يومَ القيامةِ بعدمِ بلوغِ دعوةِ الله تعالى إليهم، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

٤- تَتْمِيمُ مكارمِ الأخلاقِ: قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال ﷺ: «**إنما بُعثتُ لأتمِّمَ صالحَ الأخلاقِ**»[(٢)]، ورَبَطَ ﷺ بينَ كمالِ الإيمانِ وحسنِ الخلقِ، فقال: «**أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا**»[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه أحمد ١٤/ ٥١٢ (٨٩٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢).

❸ مصادر سيرة محمد رسول الله ﷺ:

١- **القرآنُ الكريمُ**: كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطلُ مِن بينِ يدَيه ولا مِن خلفِه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، فحدَّثَنا القرآنُ عن ولادتِه ويُتْمِه وأميَّتِه، وعن دعوتِه وعداوةِ المشركين له، وغزواتِه، وبيَّن لنا شيئًا غيرَ قليلٍ مِن جميلِ أخلاقِه وعظيمِ فضائلِه...إلخ. وكذلك تفاسير القرآن الكريم.

٢- **كتبُ الحديثِ**: والحديثُ هو المصدرُ الثاني للتشريعِ؛ فقد حوَتْ كتبُه أقوالَ رسولِ الله ﷺ وأفعالَه وتقريراتِه وصفاتِه الخَلْقيةَ والخُلُقيةَ، وتناولَتْ طرفًا من سيرتِه ومغازِيه وبعوثِه.

٣- كتبُ دلائلِ النبوَّةِ، والمغازي والسير، والخصائصِ، والشمائلِ.

ثانيا: غاية موسوعة محمد رسول الله ﷺ

مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة

إن الله سبحانه قد أقرَّ أعينَ صحابةِ رسولِه ﷺ بصحبتِه في الدنيا، والتشرُّفِ برؤيتِه، وسماعِ كلامِه من فمِه الشريفِ ﷺ وخَصَّهم بذلك؛ فنالوا الرفعةَ في الدنيا والآخرةِ، ومِن سعةِ فضلِ الله وعميمِ رحمتِه أنْ جَعَلَ لَمن لم يُرزَقْ هذه المنزلةَ في الدنيا سبيلًا لمرافقتِه ﷺ في جنانِ الخلدِ، وجَعَلَ لذلك أسبابًا ذكَرَها حبيبُنا محمدٌ ﷺ -سيأتي تفصيلها- مَن حصَّلها وعَمِلَ بها نالَ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**.

وقد كان الصحابةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يَحدُوهم ذلكم الطموحُ العالي، وتلك الرغبةُ المتوقدةُ، والشوقُ الدائمُ لمرافقةِ النبيِّ ﷺ في الجنةِ، فهذا ربيعةُ بنُ كعبٍ الأسلميُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: كنتُ أبيتُ مع رسولِ الله ﷺ، فأتيتُه بوَضوئِه وحاجتِه، فقال لي: «**سَلْ**»، فقلتُ: أَسألُك مرافقتَك في الجنةِ، قال: «**أوغير ذلك**»؟ قلتُ: هو ذاك، قال: «**فأَعِنِّي على نفسِك بكثرةِ السجودِ**»[(١)].

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه كان قائمًا يُصلِّي، فلما بلَغَ رأسَ المائةِ مِن النساءِ، أَخَذَ يدعو، فقال رسولُ الله ﷺ: «**سَلْ تُعْطَه**»، ثلاثًا، فقال: اللهمَّ إني أسألُك إيمانًا لا يرتدُّ، ونعيمًا لا ينفدُ، ومرافقةَ محمدٍ ﷺ في أعلى جنةِ الخلدِ[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) أخرجه أحمد ٧/ ٣٥٩ (٤٣٤٠).

وتحقيقًا لغايةِ الموسوعةِ: **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**؛ فقد راعيتُ أن تشملَ الآتي:

١- تعريفَ المسلمِ بشتَّى فنونِ السيرةِ: دلائلِ نبوتِه ﷺ، وسيرتِه، وخصائصِه، وشمائلِه، وهديِه، وحقوقِه، وقبسٍ من حديثِه، كلُّ أولئك في أسلوبٍ سهل، ولفظٍ موجزٍ، ومنهجٍ واضح المعالم بحول الله.

٢- تهيئةَ المسلمِ لاستشعارِ عظمةِ الله تعالى، وعظمةِ رسولِه ﷺ ومنزلتِه، فتمتلئُ القلوبُ بمحبتِه، وتتعلَّقُ النفوسُ برؤيتِه والشوقِ إليه ومرافقتِه، وتُسلِّمُ القلوبُ والجوارحُ بمتابعتِه والاقتداءِ به ﷺ، ونصرتِه والذبِّ عن دينِه وشريعتِه، والدعوةِ إلى هديِه وسنتِه ﷺ، والتخلُّقِ بأخلاقِه، ومعرفةِ حقوقِه ﷺ وأدائِها على أتمِّ الوجوهِ وأكملِها.

٣- شحذَ الهمَّةِ لبلوغِ أعلى الدرجاتِ في الدنيا: توكُّلًا على الله، وحسنَ ظنٍّ به سبحانه، وأنسًا بطاعتِه؛ ورضىً بقضائِه، وفي الآخرةِ: بنيلِ رفيعِ المنازلِ، وعظيمِ الدرجاتِ، والفوزِ العظيمِ بـ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**.

٤- تحصيلَ أسبابِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**؛ بطاعةِ الله تعالى وطاعةِ نبيِّه ومتابعتِه، ومحبَّتِه، والمحافظةِ على الصلاةِ والمداومةِ عليها، وكثرةِ صلاةِ النافلةِ، والتخلُّقِ بأخلاقِه ﷺ، لاسيما خلقُ الرحمةِ والصدقِ والأمانةِ؛ وسبيلُ ذلك: التعرفُ على سيرتِه ﷺ بفنونِها الجامعةِ، وتمثُّلها تطبيقًا وواقعًا.

الأسباب المؤدية إلى مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة

بفضلِ الله تعالى وعظيمِ كرمِه تنوَّعَت الأسبابُ الموصلةُ لمرافقةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ في الجنةِ، ومِن أهمِّها:

أولا: طاعة الله تعالى وطاعة نبيه ﷺ ومتابعته:

عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله إنَّك لأحبُّ إليَّ مِن نفسِي، وإنَّك لأحبُّ إليَّ مِن ولدي، وإنِّي لأكونُ في البيتِ؛ فأذكرُك؛ فما أصبرُ حتى آتيَ فأنظرُ إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتَك عرفتُ أنَّك إذا دخلتَ الجنةَ رُفِعتَ مع النبيينَ، وأنِّي إذا دخلتُ الجنةَ خشيتُ ألا أراكَ. فلم يَرُدَّ عليه النبيُّ ﷺ؛ حتى نزلَ جبريلُ بهذه الآيةِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩](١).

قال ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مَن عَمِلَ بما أمرَه اللهُ ورسولُه، وترَكَ ما نهاه اللهُ عنه ورسولُه، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُسْكِنُه دارَ كرامتِه، ويجعلُه مرافِقًا للأنبياءِ ثُم لمن بعدَهم في الرتبةِ»(٢).

وكيف تتأتَّى طاعةٌ أو متابعةٌ من غيرِ تعظيمٍ لله ولرسولِه ﷺ، وعلمٍ بما كان عليه النبيُّ ﷺ في أحوالِه وشؤونِه، وهديِه وأخلاقِه، ومعرفةٍ بحقوقِه ﷺ!

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ١٥٢ (٤٧٧)، وفي الصغير ١/ ٥٣ (٥٢).

(٢) تفسير ابن كثير: (٢/ ٣٥٣).

وسبيلُ ذلك هو:

- تعظيمُ الله تعالى وتعظيمُ رسولِه ﷺ في النفوسِ بِمِثْلِ ما كان عليه صحابةُ رسولِ الله ﷺ من تعظيمٍ، تعظيمٌ تُعزِّزُه المعرفةُ والإيمانُ الراسخُ بدلائلِ نبوتِه وخصائصِه وشمائلِه ﷺ، وسموِّ منزلتِه ﷺ، تعظيمٌ تدعمُه دراسةُ سيرتِه ﷺ في حياتِه، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، كذا تعلُّمُ هديِه ﷺ في سائرِ جوانبِ الحياةِ: الاعتقاديةِ، والتعبديةِ، والاجتماعيةِ، والتربويةِ، والاقتصاديةِ، والإداريةِ، والصحيةِ.
- في السيرةِ النبويةِ تطبيقٌ حيٌّ لأصولِ الإيمانِ والعقيدةِ: بدءًا مِن الإيمانِ بالله تعالى، إلى الإيمانِ بملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليوم الآخرِ، والقدرِ خيرِه وشرِّه، وسائرِ الأعمالِ القلبيةِ من الإخلاصِ واليقينِ والتوكلِ والحبِّ والخوفِ... إلخ.

يقول ابنُ حزم (ت٤٥٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ سيرةَ محمدٍ ﷺ تَقتَضِي تصديقَه ضرورةً، وتشهَدُ له بأنَّه رسولُ الله ﷺ حقًّا، فلو لم تكن له معجزةٌ غيرَ سيرتِه لكفَى»[(١)].

- في السيرةِ النبويةِ علاجٌ لكثيرٍ من المشكلاتِ على مستوى الفردِ والمجتمع: ففيها علاجٌ لمشكلةِ الإرهابِ والتطرفِ والغلوِّ والجهلِ، وعلاجٌ للمشكلات الاجتماعيةِ: مِن عقوقٍ للوالدَينِ، وعنفٍ أسري، وتعدٍّ على حقوقِ المرأةِ، وفيها معالجاتٌ اقتصاديةٌ: للفقرِ، والإسرافِ، وهدرِ المواردِ، والبطالةِ والسرقةِ والغشِّ، وكذلك للقضايا الصحيةِ والأخلاقيةِ: كالمخدراتِ، والمسكراتِ، وما يتصلُ بهما... إلخ.

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم (ص٢٠).

ثانيًا: كثرة الصلاة والمداومة عليها:

عن ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسلميِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أبيتُ مع رسولِ الله ﷺ، فأتيتُه بوَضوئِه وحاجتِه، فقال لي: «**سَلْ**»، فقلتُ: أَسألُك مرافقتَك في الجنةِ، قال: «**أوغيرَ ذلك**»؟ قلتُ: هو ذاك، قال: «**فأَعِنِّي على نفسِك بكثرةِ السجودِ**»[(١)].

إن أعظمَ ما فرضَ الله تعالى على المسلم بعدَ الشهادتَينِ: **الصلاةُ**، فالمداومةُ عليها والإكثارُ منها يَرتَقِي بالمسلم إلى أعلى جنانِ الخلدِ؛ حيث رفقةُ رسولِ الله ﷺ؛ يُصدِّقُ هذا قولُه ﷺ لثوبانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**عليك بكثرةِ السجودِ لله؛ فإنَّك لن تسجدَ لله سجدةً إلا رفعَكَ الله بها درجةً، وحطَّ بها عنك خطيئةً**»[(٢)].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ قال لبلالٍ عندَ صلاةِ الفجرِ: «**يا بلالُ، حدِّثْني بأرَجى عملٍ عملتَه في الإسلامِ؛ فإني سمعتُ دَفَّ نعلَيْكَ بينَ يدي في الجنةِ**»، قال: ما عملتُ عملًا أرجى عندي: أنِّي لم أتطهَّرْ طَهُورًا، في ساعةِ ليلٍ أو نهارٍ، إلا صليتُ بذلك الطهورِ ما كُتِبَ لي أن أصلي[(٣)].

- إن سيرةَ رسولِنا ﷺ لترسمُ لنا تلك السعادةَ والطمأنينةَ التي كان يجدُها ﷺ في هذا الركنِ الأعظمِ من أركانِ الإسلامِ: «**قُمْ يا بلالُ، فأَرِحْنَا بالصلاةِ**»[(٤)]!
- إن معرفةَ هديِ النبيِّ ﷺ في عباداتِه -وعلى رأسِها الصلاةُ- لهو غايةٌ كبرى يتوصَّلُ بها المرءُ لهذه الدرجةِ الرفيعةِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**،

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).
(٢) أخرجه مسلم (٤٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٨٦).

ولقد جاءَ كتابُ «**زاد المعاد في هدي خير العباد**» -ضمنَ كتبِ هذه الموسوعةِ- ليقدِّمَ أنموذجًا فريدًا في كيفيةِ تعبُّدِ النبيِّ ﷺ لربِّه، وشدةِ محبتِه للقيامِ بينَ يدي ربِّه؛ فيصُلِّي حتى تتورمَ قدماه ويقول: «**أفلا أكونُ عبدًا شكورًا**»(١)؟!

ثالثًا: محبة النبي ﷺ:

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا سألَ النبيَّ ﷺ عن الساعةِ، فقال: متى الساعةُ؟ قال: «**وماذا أعددتَ لها**»؟ قال: لا شيءَ، إلا أنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ، فقال: «**أنت مع مَن أحببتَ**»، قال أنسٌ: فما فِرِحْنا بشيءٍ فَرَحَنا بقولِ النبيِّ ﷺ: «**أنت مع مَن أحببتَ**»، قال أنسٌ: فأنا أحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ، وأرجو أن أكونَ معهم بحبِّي إياهم وإن لم أعمَلْ بمثلِ أعمالِهم(٢).

- معرفةُ سيرتِه ﷺ تزيدُ محبتَه وتوقيرَه وتعظيمَه في القلوبِ، محبةً يكتنفُها متابعتُه ونصرتُه والتمسكُ بهديه، وقد قال ﷺ: «**لا يُؤمنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والناسِ أجمعينَ**»(٣).
- إن إبرازَ الخصائصِ الصحيحةِ والحقوقِ الواجبةِ للنبيِّ ﷺ سبيلٌ للمحبةِ الحقَّة، تلك التي ترتفعُ عن الجفاءِ وتنأى عن الغلوِّ.
- الوقوفُ على شمائلِ النبيِّ ﷺ الشريفةِ وأخلاقِه الكريمةِ تزيدُ من محبة المؤمنين له ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩).
(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

رابعًا: حسن الخلق:

عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكم منِّي مجلسًا يومَ القيامة أَحاسِنَكم أخلاقًا**»[(١)].

هذا الحديثُ يُبْرِزُ أحدَ أعظم سببٍ للسعادةِ والنجاحِ، ويبينُ منزلةَ المتخلقِ بخلقِ سيدِ الأنامِ محمدٍ ﷺ الذي مدَحَ الله خُلُقَه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

- فمِن أخلاقِه ﷺ وقِيَمِه: تمامُ العبوديةِ لله تعالى، والإخلاصُ له، والصدقُ، والأمانةُ، والوفاءُ، والعفةُ، والبرُّ، والصلةُ، والرحمةُ، والحلمُ، والرفقُ، والعدلُ والإنصافُ، وأداءُ الحقوقِ، والتسامحُ، والتواضعُ، والحياءُ، والشجاعةُ، والكرمُ، والمبادرةُ، والنصحُ، والتشاورُ، والإحسانُ، والإتقانُ ... إلخ.

فالتخلُّقُ بهذه الأخلاقِ النبويةِ هو أفضلُ وسيلةٍ لإبرازِ الصورةِ المشرقةِ للإسلامِ، وتحسينِ صورةِ المسلمين في العالمِ، وسبيلٌ إلى تقدمِهم وعلاجِ مشكلاتِهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٠١٨).

خامسًا: كفالة اليتيم، وتربية البنات:

عن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ هكذا**» وأشار بالسبَّابةِ والوسطى وفرَّجَ بينهما شيئًا[1].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن عَالَ جاريتَينِ حتى تَبلُغَا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهو**» وضمَّ أصابعَه[2].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حقَّ الضعيفَينِ: اليتيمِ، والمرأةِ**»[3].

فهذه الأحاديثُ وغيرُها تؤكدُ ما كان عليه رسولُ الله ﷺ من خُلقٍ كريمٍ ورعايةٍ لِمثْل أولئك الضعفاءِ خاصةً اليتيمَ والمرأةَ، فمن رَعاهما وقامَ بحقوقِهما نالَ المنزلةَ التي نسعى لبلوغها: **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**.

فأموالُ اليتامَى والنساءِ وحفظُها وصيانتُها، والدفاعُ عنها والائتمانُ عليها، من خُلقِ المسلمِ وقيمِه.

- يجدُ المسلمُ في سيرةِ رسولِ الله ﷺ هذه القيمَ وتلك الأخلاقَ التي بها سادَتْ الأمةُ الأرضَ، وقامَتْ عليها دولةُ الإسلامِ، وشُيِّدَتْ عليها حضارتُه الراقيةُ في مناحيها الاجتماعيةِ، والإداريةِ، والاقتصاديةِ، وفي ارتقائِها بالإنسانِ فكرًا وعلمًا، وإنتاجًا وإبداعًا؛ فالسيرةُ ديوانُ الحضارةِ في أبهَى صورِها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤)، ومسلم (٢٩٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٣١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨).

سادسًا: التاجر الصدوق الأمين:

عن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**التاجرُ الصدوقُ الأمينُ مع النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ**»[(١)].

➢ ففي الجانبِ الاقتصاديِّ والاستثماريِّ وعَدَ النبيُّ ﷺ التاجرَ الصدوقَ الأمينَ وبشَّرَه ببلوغِ معيةِ النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ في الجنةِ؛ لما لهذين الخُلُقَينِ من أهميةٍ في حفظِ الاقتصادِ وتنميتِه؛ وقد بلَغَ الرسولُ ﷺ الكمالَ والغايةَ فيهما، وقد لقبَّه أهلُ مكةَ قبلَ بعثتِه بالصادقِ الأمينِ ﷺ، فمَن تحرَّى الكمالَ في هاتَينِ الصفتَينِ نالَ هذه الدرجةَ الرفيعةَ.

(١) أخرجه الترمذي (١٢٠٩)، وابن ماجه (٢١٣٩).

ثالثا: التعريف بموسوعة محمد رسول الله ﷺ

تمتازُ هذه الموسوعةُ -التي استغرَقَ العملُ فيها نحوًا مِن عامينِ- بجمعِها لأهمِّ علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونها في وعاءٍ واحدٍ، وانتقاءِ أفضلِ ما كتبَه أئمةُ سلفِنا الصالحِ وعلماؤهم في كل فنٍّ مِن فنونِها، مما لقيَ شهرةً وقبولًا لدى الأمةِ، وقد قمتُ باختصارِ هذه الكتبِ وتهذيبِها، نسأل الله الإخلاص والقبول.

وكان منهجي في اختصارِ كتبِ هذه الموسوعةِ أن تكونَ على أفضلِ الطبعاتِ المعتمدةِ لكلِّ كتابٍ، مع حذفِ الضعيفِ وما دونَه، والاستطراداتِ، وما أغنَى عنه غيرُه، أو كان مكرَّرًا سبقَ ذكرُه، وكذلك أسانيدُ الأحاديثِ إلا الصحابيَّ أو مَن دونَه مما يحتاجُ الكلامُ إليه، وقد حافظتُ على لفظِ المصنفِ وترتيبِه، فإن زدتُ في عنواناته شيئًا وضعتُه بين معقوفَينِ، وكذا ما كان مِن طبعةٍ أخرى غيرِ التي اعتمدتُها.

وكان هدفي مِن هذا المنهجِ تقريبَ سيرة النبي ﷺ وتيسيرَها؛ لنتعلَّمَ جميعًا علومَها وفنونَها من كتبِ علماءِ سلفِنا الصالحِ الأصيلةِ، لنحقِّقَ الاقتداءَ به ﷺ في عقيدتِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه؛ فنسعدُ في الدنيا ونفوزُ بالآخرةِ.

وقد اقتصرتُ في الحاشيةِ على التخريجِ الموجزِ للأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ والآثارِ، وبيانِ غريبِ ألفاظها.

وقد جاءَ هذا الإصدارُ الأوَّلُ مِن **«موسوعة محمد رسول الله ﷺ»** جامعًا لستةِ علومٍ مِن علومِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ وفنونِها في ستةِ مجلداتٍ، عبرَ اختصارِ ثمانيةِ كتبٍ، وهي على النحو التالي:

المجلد الأول: ١- في علم الدلائل [كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ت٤٣٠هـ)]

المجلد الثاني: ٢- في علم السيرة النبوية [كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام (ت٢١٨هـ)]

المجلد الثالث: ٣- في علم الخصائص [كتاب «غاية السُّول في خصائص الرسول» لابن الملقن(ت٨٠٤هـ)]

٤- في علم الشمائل، وفيه ثلاثة كتب، هي:

- [كتاب «شمائل النبي ﷺ» للترمذي (ت٢٧٩هـ)]

- [كتاب «محمد رسول الله ﷺ والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر» لـ أ.د. أحمد المزيد]

المجلد الرابع: - [كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)]

المجلد الخامس: ٥- في علم حقوق النبي ﷺ: [كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)]

المجلد السادس: ٦- في علم الحديث النبوي الشريف: [كتاب «رياض الصالحين» للنووي (ت٦٧٦هـ)]

المجلد الأول

في علم دلائل النبوة

تعريفُه:

هو العلمُ الذي يهتمُّ بالعلاماتِ والبراهينِ والآياتِ المستلزمةِ لصدقِ النبيِّ ﷺ، سواءٌ أكانت على وجهِ التحدي أم ابتداءً، ومِن مرادفاتِه: آياتُ النبوَّةِ، أماراتُ النبوَّةِ، علاماتُ النبوَّةِ.

أهميته:

ترجعُ أهميةُ هذا العلم إلى كونِه قائمًا على استقراءِ أحوالِ النبيِّ ﷺ، وتتبُّع براهينِ صدقِ نبوتِه ورسالتِه وأدلتِها، وإيراد ما يدعمُ منصبَ النبوةِ، ويقوِّي دعواها، ومِن ثَمَّ ضرورةُ الإيمانِ به ﷺ وتصديقُه، وطاعتُه واتباعُه.

ثمراته:

مِن ثمراتِ هذا العلمِ مشاهدةُ رحمةِ الله تعالى بعبادِه بما أظهَرَ لهم مِن علاماتِ النبوَّةِ ودلائلِها؛ ليقطعَ الأعذارَ عنهم، ولتنتَفِي شبهةُ كلِّ معاندٍ ومستريبٍ، وليكونَ ذلك مرغِّبًا لهم إلى الطاعةِ، وكذلك من الثمراتِ: الوقوفُ على المرتبةِ العليةِ والمنزلةِ الرفيعةِ للنبيِّ ﷺ، وتأييدِ ربِّه له ﷺ، ونصرتِه له وتمكينِه بشتَّى أنواعِ الأدلةِ والبراهينِ، وزيادةُ إيمانِ الذين آمنوا، وتثبيتُهم، وتمكينُ الإيمانِ مِن قلوبِهم.

ترجمة الحافظ أبي نعيم الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ موسَى بنِ مهرانَ، الأصبهانيُّ، وكنيتُه: أبو نُعَيْم.

تاريخ مولده:

وُلِدَ أبو نعيم في شهرِ رجبٍ سنة (٣٣٦هـ).

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الحافظُ أبو نُعَيْم في بيئةٍ كثُر فيها العلماءُ والأجلاءُ؛ مما كان له الأثرُ البالغُ في شخصيتِه، فقد كان أبوه مِن علماءِ المحدِّثينَ والرحَّالين، فاستجاز له جماعةً مِن كبارِ المُسْنِدين، وقد بدأ أبو نعيم طلبَ العلمِ بالسماعِ على المشايخِ، وكان أولُ سماعٍ له وعمرُه ثماني سنوات[(١)].

قال الذهبي: «وتهيَّأ له من لُقِيِّ الكبارِ ما لم يقَعْ لحافظٍ»[(٢)].

مكانته العلمية:

إن مكانةَ الحافظِ أبي نعيم العلميةَ جعلَتْ طلابَ العلم يَفِدون إليه مِن كلِّ الدنيا؛ فقد كان حافظًا مبرزًا عالي الإسناد، تفرَّدَ في الدنيا بشيءٍ كثيرٍ مِن العوالي،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٢٣٧).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٩٥).

وهاجَرَ إلى لقيه الحفاظُ، ووقَفَ أهلُ الحديثِ على بابِه، قال الخطيب البغدادي: «لم أرَ أحدًا أُطلِقَ عليه اسمُ الحافظِ غيرَ أبي نعيم، وأبي حازم العبدوي»[(١)].

وقال أحمدُ بنُ محمدِ بنِ مردويه: «كان أبو نعيم في وقتِه مَرحولًا إليه، لم يكن في أفقٍ مِن الآفاقِ أحدٌ أحفظَ منه، ولا أسندَ منه، كان حفاظُ الدنيا قد اجتمعوا عندَه وكلُّ يوم نوبةُ واحدٍ منهم يقرأُ ما يريدُ إلى قريبِ الظهرِ، فإذا قام إلى دارِه ربما كان يُقرأُ عليه في الطريقِ جزءٌ، وكان لا يضجرُ»[(٢)].

مصنفاته:

تَرَكَ أبو نعيم عددًا كبيرًا من المصنفاتِ، منها: دلائل النبوة، والمستخرج على الصحيحين، وتاريخ أصبهان، وصفة الجنة، وصفة النفاق، وفضائل الصحابة، وغيرها.

وفاته:

تُوفِّيَ الحافظُ أبو نعيم في العشرينَ من المحرمِ سنة (٤٣٠هـ)، وله أربعٌ وتسعون سنة[(٣)].

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١٩٥).
(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ١٩٦).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٤٦٢).

التعريف بكتاب دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)

أهميته:

يعتبر كتاب «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) من أوسع وأقدم ما صُنِّفَ في هذا الفن؛ لكون مصنِّفِه يروي أحاديثه بالأسانيد العالية إلى رسول الله ﷺ، وفيه من الأسانيد والرجال والجرح والتعديل أو التصحيح والتعليل ما لا يوجد في غيره، كما عُنِيَ مصنِّفُه بذكر الفروق بين الروايات، والإشارةِ كثيرًا إلى المتابعات والشواهد، والتعليق بتعليقات مفيدة هي في أغلبها استنباط للدلائل النبوية، وأحيانًا شرح الغريب.

كما أن هذا الكتاب يعدُّ مرجعًا مهمًّا لمن كتب في دلائل النبوة أو السيرة عمومًا، وفي أحاديثه ما يمكن الاستشهاد به في فنون وأبواب أخرى في الشريعة، وقد أفاد منه الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) في تفسيره وقال: هو كتاب جليل[(١)]، كما نقل منه ابن تيمية في بعض كتبه، وابن حجر في فتح الباري[(٢)].

ترتيبه ومنهجه:

افتتَحَ المؤلفُ كتابَه ببيانِ سببِ تأليفِه لكتابِه، فقال: «فقد سَأَلْتم جمعَ المنتشرِ مِن الرواياتِ في النبوَّةِ ودلائلِها والمعجزةِ وحقائقِها وخصائصِ المبعوثِ محمدٍ ﷺ، فاستعنتُ بالله»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٧٤).

(٢) انظر: مقدمة دلائل النبوة لأبي نعيم، تحقيق د. عبد الرحمن الرنيني (ص٩-١١).

(٣) (ص٧٥).

ثم مهَّدَ بمقدماتٍ عن النبوَّةِ والوحيِ والرُّسلِ ومراتبِهم.

ثم بيَّنَ منهجَه في كتابِه فقال: «وقصَدْنا جمعَ ما نحن بسبيلِه، ونَجتَبِيه مِن جمعِ المنتشرِ مِن الآثارِ والصحيحِ والمشهورِ مِن مرويِّ الأخبارِ، ورتَّبْناه ترتيبَ مَن تقدَّمَنا مِن رواةِ الآثارِ والعلماءِ والفقهاءِ، وجعَلْنا ذلك فصولًا ذكرناها ليسهلَ على المتحفظِ أنواعُه وأقسامُه؛ فيكونُ أجمعَ لفهمِه وأقربَ مِن ذهنِه»(١).

ثم ذَكَرَ خمسةً وثلاثين فصلًا، افتتَحها بذكرِ فضائلِه ﷺ وما خصَّه الله تعالى به دونَ سائرِ الأنبياءِ، وخَتَمَها بخبرَينِ يشتملانِ على جملٍ مِن صفاتِه ﷺ وأخلاقِه الحميدةِ.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على نسخةٍ كاملةٍ محققةٍ لكتابِ «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهانيِّ، حُقِّقت في ثماني رسائلِ علميةٍ بجامعة أمِّ القرى(٢).

---

(١) ص(٧٧).

(٢) ١- تحقيق د. عبد الرحمن الرنيني
٢- د. حافظ عبد الحكيم
٣- د. فاطمة الزويهري
٤- د. عادل اللحيدان
٥- د. سميحة بشاوري
٦- د. عبد الله الشهراني
٧- د. إندونيسيا بنت حسون
٨- د. جعفر الشيبي

المجلد الثاني

في علم السيرة النبوية

تعريفه:

يُعنى علمُ السيرة النبوية بذكرِ وقائعِ حياةِ النبيِّ ﷺ مِن مولِدِه إلى وفاتِه.

أهميته:

سيرةُ محمدٍ رسولِ الله ﷺ هي تطبيقٌ لكتابِ الله تعالى وسنتِه ﷺ، فهي سجلٌ حافلٌ لكل تفاصيلِ حياتِه ﷺ: عقيدةً، وعبادةً، ومعاملةً، وأخلاقًا، سلمًا وحربًا، دعوةً وجهادًا، يسرًا وعسرًا، في بيته، وبين أصحابه ومع أعدائه، فيه الأسوةُ الحسنةُ لمن رام سياسةَ قومِه أو قام على شؤونِ بيتِه، صلَّى الله على صاحبِ هذه السيرةِ الشريفةِ، وآلِه وصحبِه وسلَّم.

ثمراته:

يقدِّمُ عِلْمُ السيرةِ للبشريةِ جمعاءَ نموذجًا يُحتذَى به في مكارمِ الأخلاقِ، ومظاهرِ الكمالِ الإنسانيِّ، ويقدِّمُ للمسلمِ الأسوةَ والقدوةَ التامةَ في حياتِه، والذي أُمِرنا بمحبتِه ﷺ فوقَ محبتِنا لأنفسِنا وأولادِنا والناسِ أجمعين، ويُوقِفنا على دعوةِ رسولِ الله محمدٍ ﷺ ومراحلِها وفقهِها، وتمثُّلِها في الحياةِ المعاصرةِ، ومِن معينِها نستقي الدروسَ التربويةَ النبويَّةَ في تعاملِه ﷺ مع صحابتِه خاصةً، والناسِ عامةً.

التعريف بكتاب السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٨هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ «السيرة النبوية» لابن هشام مختصرًا لكتابِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يسار (ت١٥٠هـ)، ويعتبرُ كتابُ ابنِ إسحاق مِن أهمِّ وأولِ الكتبِ المؤلَّفةِ في السيرةِ النبويةِ، ومؤلفُه إمامُ هذا الفنِّ بلا منازع، إلا أن كتابَه لم يصِلْنا كاملًا حتى الآن، وقد وُجِدَ مِن الكتابِ قطعةٌ، حققَّها د. محمد حميد الله، بعنوانِ: «المبتدأ والمبعث والمغازي»، وطُبعت بتحقيق آخر للدكتور: سهيل زكار، بعنوانِ «السيرة النبوية لابن إسحاق برواية يونس بن بكير».

وقد تلقَّى أهلُ العلمِ كتابَ ابنِ إسحاقَ بالقبولِ والثناءِ، فقال ابنُ شهابٍ (ت١٢٤هـ) -وقد سُئِلَ عن مغازي ابنِ إسحاق-: هذا أعلمُ الناسِ، يعني ابنَ إسحاق[(١)].

وقال الشافعيُّ (ت٢٠٤هـ): مَن أرادَ أن يتبحَّرَ في المغازي فهو عيالٌ على محمدِ بنِ إسحاق[(٢)].

وقال ابنُ سعد (ت١٦٨هـ): كان ابنُ إسحاق أولَ مَن جمَعَ مغازي رسولِ الله ﷺ وألَّفَها[(٣)].

---

(١) تهذيب الكمال للمزي(٢٤/ ٤١٣).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٥٠).

(٣) السابق (٢٨/ ٤٣٦).

وقال ابنُ عدي (ت٣٦٥هـ): ولو لم يكن لابنِ إسحاق مِن الفضلِ إلا أنه صرَفَ الملوكَ عن كتبٍ لا يحصلُ منها شيءٌ، فصَرَفَ أشغالَهم حتى اشتغلوا بمغازي رسول الله ﷺ ومبتدأِ الخلق ومبعثِ النبي ﷺ، فهذه فضيلةٌ لابن إسحاقَ سبَقَ بها، ثم بعدَه صنَّفه قومٌ آخرون ولم يَبلغوا مبلغَ ابنِ إسحاقَ فيه[١].

وقال الذهبيُّ (ت٧٤٨هـ): قد كان في المغازي علامةً[٢].

وقد قام ابنُ هشام البصريُّ (ت٢١٨هـ) باختصارِ ما يتعلَّق بالنبيِّ ﷺ من كتابِ ابنِ إسحاقَ مهذَّبًا ومنقِّحًا ومضيفًا إليه، وسمَّاه: «السيرة النبوية»؛ فحفظ بذلك جزءًا مهمًّا مِن كتابِ ابنِ إسحاقَ المفقودِ.

وقد تلقَّى العلماءُ كتابَ ابنِ هشام بالحفاوةِ والإيثارِ، فتناولوه قرنًا بعدَ قرنٍ بالشرحِ والاختصارِ والتعليقِ والحواشي، ومِن أهمِّ هذه الأعمالِ:

- الروض الأنف شرح سيرة ابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ).

- المواهب اللدُنِّيَّة بالمنح المحمدية، للعلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني الشافعي المصري (ت ٩٢٣هـ).

- وقد اختصَرَ الإمامُ الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهاب (ت:١٢٠٦هـ) كتاب «السيرة النبوية» لابن هشام في كتابه: «مختصر سيرة الرسول ﷺ».

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (٧/ ٢٧٠).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٣٧).

ترتيبه ومنهجه:

يذكر ابنُ هشام في مقدمةِ كتابِه معالمَ منهجِه حيث يقولُ: «وأنا إن شاء الله مبتدئٌ هذا الكتابَ بذكرِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، ومَن وَلَدَ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن ولدِه، وأولادِهم لأصلابِهم، الأولَ فالأولَ، مِن إسماعيلَ إلى رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما يعرضُ مِن حديثِهم، وتاركٌ ذكرَ غيرِهم مِن ولدِ إسماعيلَ، على هذه الجهةِ للاختصارِ، إلى حديثِ سيرةِ رسولِ الله ﷺ، وتاركٌ بعضَ ما ذكرَه ابنُ إسحاقَ في هذا الكتابِ، ممَّا ليس لرسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه ذكرٌ، ولا نزَلَ فيه مِن القرآنِ شيءٌ، وليس سببًا لشيءٍ مِن هذا الكتابِ، ولا تفسيرًا له، ولا شاهدًا عليه؛ لما ذكرتُ مِن الاختصارِ، وأشعارًا ذكرَها لم أرَ أحدًا مِن أهلِ العلم بالشعرِ يَعرِفها، وأشياءَ بعضها يَشْنُعُ الحديثُ به، وبعضٌ يَسُوءُ بعضَ الناسِ ذكرُه، وبعضٌ لم يُقِرَّ لنا البكائيُّ بروايتِه، ومستقصٍ - إن شاء الله تعالى- ما سِوَى ذلك منه بمبلغِ الروايةِ له، والعلمِ به»[(١)].

قلتُ: وقد راعيتُ في اختصارِ **«السيرة النبوية»** لابنِ هشام: الإيجازَ غيرَ المخلِّ، فحذَفْتُ ما لا يتعلَّقُ بسيرةِ النبيِّ ﷺ ولا يؤثرُ على السياقِ العام، كإسلامِ بعضِ الصحابةِ، وتتبعَه للأعلامِ وحصرَهم، وكذا لم أذكُرْ مِن الغزواتِ والسرايا إلا أهمَّها وأجلَّها.

(١) مختصر السيرة النبوية لابن هشام بهذه الموسوعة، المجلد الثاني، (ص١٩).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

طُبِعَ كتابُ ابنِ هشام عدةَ طبعاتٍ، مِن أهمِّها: طبعة مكتبة الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ الشلبي، وقد اعتمدوا على أربع مطبوعات: مطبوعة بولاق (١٢٥٩هـ)، ومطبوعة ألمانيا (١٢٧٦هـ)، ومطبوعة المطبعة الخيرية بمصر (١٣٢٩هـ)، ومطبوعة المكتبة الجمالية بمصر (١٣٣٢هـ)، كما اعتمدوا على أربع نسخ خطية محفوظة بدار الكتب المصرية، إحداها كاملة، وهذه الطبعة هي التي اعتمدنا عليها في هذا المختصر.

المجلد الثالث

في علم الخصائص النبوية

تعريفه:

ما اختُصَّ به النبيُّ ﷺ دونَ غيرِه. وقد تنوَّعت تقسيماتُ العلماءِ للخصائصِ النبويةِ: فقد قَسَّمَها ابنُ الملقن إلى أربعةِ أقسامٍ[١]:

١- الواجبات: كمشاورةِ ذوي الأحلامِ في الأمورِ.

٢- المحرمات: كإمساكِ مَن كرهَتْ نكاحَه ورغِبَتْ عنه ﷺ.

٣- المباحات: كالوصالِ في الصومِ.

٤- الفضائل: كتحريمِ أزواجِه اللاتي تُوفِّي عنهن على غيرِه أبدًا.

أهميته:

يعتبر «علم الخصائص» فرعًا أصيلًا من علومِ السيرةِ النبويةِ المطهرةِ، وعلى الرغمِ مِن كونِ خصائصِه ﷺ مبثوثةً في الكتبِ الحديثيةِ والفقهيةِ، إلا أن هذا العلمَ يجمعُ لك ما تفرَّق في بطونِ الكتبِ مِن خصائصِه ﷺ.

---

(١) انظر مختصر غاية السُّول لابن الملقن بهذه الموسوعة، المجلد الثالث (ص١٧).

ثمراته:

مِن ثمراتِ معرفةِ هذا العلمِ: معرفةُ المنزلةِ الشريفةِ للنبيِّ ﷺ، وما اختصَّه الله به مِن خصائصَ وفضائلَ عن أمتِه، وعن باقي الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، والعلمُ بما اختُصَّ به النبيُّ ﷺ من أحكامٍ؛ ككونه لا يُورثُ ﷺ وغير ذلك، ومَن ثَم عدمُ التأسِّي به ﷺ في هذه الأحكامِ.

ومِن الثمراتِ أيضًا: التعرفُ على الصحيح من خصائصِه ﷺ؛ حتى نحذرَ الغلوَّ في نبينا محمدٍ ﷺ أو الجفاءَ عنه، وطريقُ ذلك التزامُ الشرعِ دونَ إفراطٍ أو تفريطٍ، فلا يجوزُ إثباتُ خصائصَ للرسولِ ﷺ بالأقيسةِ التي تُناطُ بها الأحكامُ العامةُ في الناسِ، ولكن الوجهُ ما جاءَ به الشرعُ من غيرِ ابتغاءِ مزيدٍ عليه(١).

(١) انظر: نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (١٢/ ١١).

التعريف بكتاب غاية السُّول في خصائص الرسول لابن الملقن (٨٠٤هـ)

أهميته:

تبرزُ قيمةُ كتابِ «غاية السُّول» مِن مكانةِ مؤلفِه في إجادةِ التصنيفِ، وإمامتِه، وكثرةِ مواردِه التي استقَى منها مادةَ الكتابِ، والتزام مؤلِّفه في مطلع كتابِه أنه لا تثبتُ خصوصيةٌ إلا بدليلٍ صحيح، وتحرِّيه الصوابَ كثيرًا في وضع المسائلِ، وتجنبِ الأخبارِ الواهيةِ، بل عندَ ذكرِه لبعضِها فإنه ينبِّه على بطلانِها وعدمِ صحتِها، وقد عالَجَ ذلك كلَّه في عبارةٍ سهلةٍ، وأسلوبٍ واضحٍ يسيرٍ.

تقسيمه:

افتَتَحَ المصنفُ كتابَه بذكرِ أولِ مَن ألَّف في هذا الفنِّ، ثم ذكَرَ الخلافَ في جوازِ الكلام على الخصائصِ، وقد قسَّمَ خصائصَ النبيِّ ﷺ إلى أربعةِ أنواعٍ: واجباتٍ، ومحرماتٍ، ومباحاتٍ، وفضائلَ.

وتحت كلِّ قسم يُورِدُ مسائلَ، تُعبِّرُ كلُّ مسألةٍ - غالبًا - عن خصيصةٍ له ﷺ، فأورَدَ في القسم الأولِ (٢٠) مسألة، وفي الثاني (١٤) مسألة، وفي الثالثِ (٣٣) مسألة، وفي الرابع (٤٥) مسألة، وكثيرًا ما يذكرُ في ختامِ المسألةِ فروعًا وتنبيهاتٍ وفوائدَ، وله فيه مِن النظرِ الثاقبِ والترجيحاتِ دررٌ.

قلتُ: وقد حذفتُ مِن الخصائصِ ما لم يَثْبُتْ بحديثٍ صحيحٍ أو حسنٍ، وكذا المناقشاتُ واختلافاتُ المذاهبِ، والاستطرادُ في ذكرِ الوجوهِ والأدلةِ، مع الحرصِ على إتباع الخصيصةِ بدليلِها إذا ذكَرَه.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

طُبع كتابُ «غاية السُّول» سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، بدار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بحر الدين، وهو في الأصلِ رسالةُ ماجستير مقدمة للجامعةِ الإسلاميةِ بالمدينةِ المنورةِ سنة ١٤٠٠هـ، وقد اعتمد محققُه على أربع نسخ خطية، وقد اعتمدنا على هذه الطبعةِ في مختصرنا هذا.

في علم الشمائل النبوية

تعريفه:

هو علمٌ يختصُّ بذكرِ صفاتِ النبيِّ ﷺ الخَلقيةِ والخُلقيةِ وما يتصلُ بهما مِن أحوالِ النبيِّ ﷺ.

أهميته:

يمتازُ علمُ الشمائلِ النبويةِ بجمعِه ما تفرَّق مِن شمائلِ النبيِّ ﷺ، كذلك قصرُه لمباحثِه على ذاتِ النبيِّ ﷺ، ودورانُ مسائلِه حولَه ﷺ فقط، دونَ أن يختلطَ بذلك شيءٌ مِن وقائعِ سيرتِه أو سيرةِ صحابتِه مثلًا.

ثمراته:

ومن ثمراتِ معرفةِ هذا العلمِ: الاقتداءُ بشمائلِه الشريفةِ، والتأسِّي به ﷺ في هديِه، سواءٌ في عباداتِه أو معاملاتِه أو أخلاقِه، والاقتداءُ بمنهجِه العمليِّ في الدعوةِ إلى الله تعالى بحسنِ الخلقِ.

يقول ابنُ القيم (ت٧٥١هـ): «وإذا كانَتْ سعادةُ العبدِ في الدارين معلقةً بهدي النبيِّ ﷺ فيجبُ على كلِّ مَن نصَحَ نفسَه وأحبَّ نجاتَها وسعادتَها أن يعرفَ من هديِه وسيرتِه وشأنِه ما يخرجُ به عن الجاهلين به، ويدخلُ به في عدادِ أتباعِه وشيعتِه وحزبِه، والناسُ في هذا بين مستقلٍّ ومستكثرٍ ومحرومٍ، والفضلُ بيدِ الله يُؤتِيه مَن يشاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ»[(١)].

(١) مختصر زاد المعاد لابن القيم بهذه الموسوعة، المجلد الرابع (ص١٩).

التعريف بكتاب شمائل النبي ﷺ للترمذي (ت ٢٧٩هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ الشمائلِ للترمذيِّ (ت٢٧٩هـ) مِن أوائلِ ما صُنِّفَ في شمائلِ النبيِّ ﷺ، يزيدُه أهميةً كونُه روايةً محضةً على طريقةِ أهلِ الحديثِ في التصنيفِ؛ فأوجَزَ في غيرِ إخلالٍ، وأتى على المقصودِ بأقصر عبارةٍ.

وعلى الرغم مِن قلةِ تعليقِه على الأحاديثِ في الشمائلِ مقارنةً بجامعِه، إلا أنه لا يخلو مِن بيانِ غريبٍ، أو حكمٍ على حديثٍ، أو كلامٍ في راو، إلى غيرِ ذلك من الفوائدِ التي عُرِفَ بها الترمذيُّ في تعليقاتِه على كتبِه الحديثيةِ.

ترتيبه:

تميَّزَ كتابُ الشمائلِ بحسنِ ترتيبِه وتبويبِه، فقد قُسِّمَ إلى ستة وخمسين بابًا، وبلَغَ إجمالي أحاديثِه (٤١٥) حديثًا، ولكلِّ بابٍ ترجمةٌ تفي بمقصودِه وتحيطُ بأحاديثِه.

ثناء العلماء عليه:

تلقَّى علماءُ الأمةِ كتابَ الشمائل بالقبولِ والثناءِ، حتى جعلوه إمامًا في هذا البابِ.

قال ابنُ كثير (ت٧٧٤هـ): «قد صنَّفَ الناسُ في هذا قديمًا وحديثًا كتبًا كثيرةً، مفردةً وغيرَ مفردةٍ، ومِن أحسنِ مَن جمَعَ في ذلك فأجادَ وأفادَ الإمامُ أبو

عيسى الترمذيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أفرَدَ في هذا المعنى كتابَه المشهورَ بـ«الشمائل»، ولنا به سماعٌ متصلٌ إليه»[(١)].

وقال المناوي (ت١٠٣١هـ): «فإن كتابَ الشمائلِ في علم الروايةِ وعلم الدرايةِ للإمام الترمذيِّ كتابٌ وحيدٌ في بابِه، فريدٌ في ترتيبِه واستيعابِه، لم يأتِ له أحدٌ بمماثلٍ ولا بمشابهٍ، سلَكَ فيه منهاجًا بديعًا، ورصَّعَه بعيونِ الأخبارِ وفنونِ الآثارِ ترصيعًا، حتى عُدَّ ذلك الكتابُ مِن المواهبِ وطار في المشارقِ والمغاربِ»[(٢)].

وقال الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): «ومِن أحسنِ ما صُنِّفَ في شمائلِه وأخلاقِه ﷺ كتابُ الترمذيِّ «المختصر الجامع» في سيرِه على الوجهِ الأتمِّ، بحيث إن مطالعَ هذا الكتابِ كأنه يُطالعُ طلعةَ ذلك الجنابِ ويرى محاسنَه الشريفةَ في كلِّ بابٍ»[(٣)].

كما احتفَى العلماءُ والمصنِّفون بكتابِ الشمائل للترمذيِّ أيَّما حفاوةٍ، وتنوعَّتْ حركةُ النشاطِ العلميِّ التي أثارَها هذا الكتابُ، فمن شرحٍ واختصارٍ وتعليقٍ وتحشيةٍ، إلى نظمٍ وترجمةٍ وتهذيبٍ وأحوالِ رواةٍ:

فمِن أهمِّ شروحِه:

١- أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، لابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).

٢- جمع الوسائل في شرح الشمائل، للملا علي القاري (١٠١٤هـ).

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٣٨٥).

(٢) شرحه على الشمائل بهامش جمع الوسائل (ص١).

(٣) جمع الوسائل للملا علي القاري (١/ ٢).

ومِن أشهرِ مختصراتِه:

- مختصر الشمائل المحمدية، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ).

ومن منظوماتِه:

١- عذبة المناهل نظم الشمائل المحمدية ، لشرف الدين بن المهلل (ت قبل ١٠٠٧هـ).

٢- نظم الشمائل المحمدية والسيرة المصطفوية، لعبد الحفيظ بن الحسن العلوي (ت١٣٥٦هـ).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصرِ على طبعةِ (دار الغرب الإسلامي)، تحقيق ماهر ياسين الفحل، سنة ٢٠٠٠م، وقد جمَعَ ثماني نسخ خطية، محفوظة بمكتبة الأوقاف ببغداد، كما قابَلَ طبعتَه على جامعِ الترمذيِّ، والأسانيدَ على تحفةِ الأشراف، وبعضِ الطبعاتِ الأخرى.

التعريف بكتاب محمد رسول الله والحقوق والقيم والأخلاق وعلاج مشكلات العالم المعاصر، لـ أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أهميته:

لا شكَّ أننا نحن المسلمين مطالَبون بتعريفِ شعوبِ العالمِ برسولِ الله محمدٍ ﷺ وما قدَّمه مِن خيرٍ للبشريةِ؛ فقد أقامَها على المسارِ الصحيحِ، ونقَلَها إلى الطريقِ القويمِ والفطرةِ المستقيمةِ، وأحدَثَ تغييرًا شاملًا على المستوى الديني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، أكَّده العديدُ مِن كبارِ الكتابِ والمؤرخين الغربيين.

وإن أفضلَ وسيلةٍ للتعريفِ بنبيِّنا محمدٍ ﷺ هو التعريفُ به مِن خلالِ أقوالِه وأفعالِه ومواقفِه، وما أحدثَتْه من آثارٍ في العالم كلِّه، فتلك هي في الحقيقةِ سيرتُه وشخصيتُه ودعوتُه، «فمِن ثمارِهم تَعرِفونهم».

وهذا ما قصدتُ بيانَه في هذا الكتابِ[(١)]؛ حيث عمدتُ إلى جمعِ بعضِ أقوالِ النبيِّ ﷺ في كثيرٍ مِن الموضوعاتِ التي يحتاجها العالمُ المعاصرُ؛ ليتجلَّى للقارئ حاجةُ البشريةِ لتطبيقِ هذه الأقوالِ في عالمِ الواقعِ؛ لما تعودُ به مِن خيرٍ على الفردِ والمجتمعِ والدولةِ، وهذا ما دعا إليه جميعُ الأنبياءِ والمرسلين.

---

(١) وقد ترجم هذا الكتاب لأهم اللغات العالمية، منها: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وغيرها من اللغات.

ومِن خلالِ مشاركاتي العلميةِ لتعزيزِ مكانةِ الأنبياءِ والتعريفِ برسولِ الله محمدٍ ﷺ في بريطانيا والنمسا وألمانيا والدانمارك والسويد وغيرها، جاء هذا الكتابُ، الذي استغرق تأليفُه ثلاثةَ أعوامٍ.

وقد بدأتُ الكتابةَ فيه بالتأكيدِ على أن الإيمانَ بجميع الأنبياءِ وتعظيمَهم وتوقيرَهم -عليهم الصلاة والسلام- جزءٌ من عقيدةِ المسلم، إذ لا يعدُّ المرءُ مسلمًا إلا بالإيمانِ بجميع أنبياءِ الله تعالى ورسلِه، ورسولُ الله محمدٌ ﷺ قد بيَّنَ أن الأنبياءَ إخوةٌ، عقيدتُهم واحدةٌ وهي عقيدةُ التوحيدِ، وشرائعُهم متنوعةٌ.

ترتيبه:

قسمتُ الكتابَ إلى تمهيدٍ وأربعةِ أقسام:

القسم الأول: وأشرتُ فيه إلى جملةٍ مِن الحقوقِ التي ذكرَها رسولُ الله محمد ﷺ، كحقوقِ الإنسانِ، وحقوقِ المرأةِ والطفلِ، والآباءِ والأبناء، وذوي الاحتياجاتِ الخاصةِ والمسنِّين، والخدمِ والرقيقِ، والضيفِ، واليتيمِ، والجارِ، وغير ذلك.

القسم الثاني: ذكرتُ فيه بعضَ أقوالِه ﷺ في القيمِ والأخلاقِ والفضائلِ: كالعدلِ، والرحمةِ، والحلمِ، والأمانةِ، والشجاعةِ، والتواضع، والوفاءِ، والأمنِ، والوسطيةِ والتوازنِ، وتحملِ المسؤوليةِ، والرقابةِ الذاتيةِ، واحترام النفسِ الإنسانيةِ، وحسنِ الخُلقِ، والصداقةِ والحبِّ، والعملِ التطوعيِّ، ودفعِ الظلمِ ومقاومتِه، وروحِ الدعابةِ، وغير ذلك.

القسم الثالث: ذكرتُ فيه بعضًا مِن أقوالِه ﷺ في التحذيرِ مِن مساوئِ الأخلاقِ والأفعالِ: كالقتلِ، والغدرِ، والغضبِ، وترويع الناسِ، والخيانةِ، والإفسادِ بينَ الناسِ، والتجسسِ، وسوءِ الظنِّ، والرشوةِ، والمظهريةِ الجوفاءِ، والكسلِ، والانتحارِ، والظلمِ والاعتداءِ، وغير ذلك.

القسم الرابع: ذكرتُ فيه العديدَ مِن أقوالِه ﷺ في علاج المشكلاتِ المعاصرةِ: كمشكلةِ الإرهابِ، والعنفِ الأسري، والفراغ الروحيِّ، والقلقِ والاكتئابِ، والمسكراتِ، والجنسِ، والمخدراتِ، والفقرِ، ومشكلةِ البيئةِ، وغير ذلك.

وقد اشتمل هذا الكتابُ على أكثر من (٧٢) موضوعًا، و (٤٠٠) قولٍ لرسولِ الله محمد ﷺ.

منهجه:

١- قمتُ باختيارِ أهمِّ الموضوعاتِ التي يحتاجُها عالمُنا المعاصرُ، وقسمتُها على الأقسامِ الأربعةِ السابقةِ.

٢- ذكرتُ الصحيحَ مِن أقوالِ رسولِ الله محمدٍ ﷺ في كلِّ موضوعٍ مع تعليقٍ مختصرٍ عليها.

ولنْ يتحققَ المقصودُ مِن هذا الكتابِ إلا أنْ نشتركَ جميعًا في التعرُّفِ على سيرةِ رسولِنا محمدٍ ﷺ، وعلى سنتهِ المباركةِ، فنعملَ بها، وندعوَ البشريةَ إليها بأفعالِنا قبلَ أقوالِنا، فهذه أعظمُ وسيلةٍ للتعريفِ برسولِ الله محمدٍ ﷺ، ونصرتهِ النصرةَ الحقَّةَ الواجبةَ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ.

المجلد الرابع

في الهدي النبوي

الهدي النبوي وأهميته: هو سيرةُ المصطفى ﷺ، وما سنَّه لنا مِن الأقوالِ والأفعالِ، وهو لا ينفكُّ عمَّا مضَى ذكرُه من علمِ الشمائلِ النبويةِ، فلا شكَّ أن الأعمالَ الجليلةَ ثمرةُ الأخلاقِ والخلالِ والشمائلِ الكريمةِ.

ومَن ثَم تأتي أهميةُ معرفةِ ودراسةِ الهدي النبوي وطريقتِه ﷺ العمليةِ التي بيَّن فيها شرعَ الله تعالى مِن أولِ ما نزَلَ عليه الوحيُ، إلى أن توفاه الله.

ومن فضلِ الله سبحانه أن الهديَ النبويَّ يتجلَّى للمسلمِ في كل شأنٍ مِن شؤونِ حياتِه ﷺ، حتى إنك لتجدُ في هديِه ﷺ صفةَ قيامِه وجلوسِه ونهوضِه من نومِه، وهيئتَه في ضحكِه، وعبادتَه في ليلِه ونهارِه ، وكيف يفعلُ إذا اغتسَلَ وإذا أكَلَ وإذا شربَ، وماذا كان يلبسُ، وماذا كان يحبُّ مِن الألوانِ، وماذا كان يركبُ... إلخ.

وما مِن ريبٍ أن معايشةَ حياةِ النبيِّ ﷺ بكل تفاصيلِها على هذا النحوِ ليعينُ على الاقتداءِ به ﷺ، وتطبيقِ هديِه تطبيقًا عمليًا كما طبَّقه الجيلُ الأولُ الذي تربَّى على عينِه ﷺ ؛ فنشروا الإسلامَ بسلوكِهم وأخلاقِهم قبل أقوالِهم.

التعريف بكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (ت ٧٥١هـ)

أهميته:

أولَى ابنُ القيمِ في كتابِه «زاد المعاد في هدي خير العباد» جانبَ هديِ النبيِّ ﷺ في عباداتِه القسمَ الأكبرَ والأهميةَ البالغةَ، وزاد إلى ذلك جانبَ معاملاتِه ﷺ، مقسِّمًا كليهما العباداتِ والمعاملاتِ حسبَ التقسيمِ الفقهيِّ.

كما تميَّزَ الكتابُ بسهولةِ عبارتِه وجزالتِها، وجمالِ لغتِه وأساليبِه وتنوعِها، فتارةً يسوقُ ابنُ القيم الكلامَ مرسلًا، وتارةً يقصُّه كأحسن قاصٍّ، وتارةً يذكرُه بدليلِه وبرهانِه، وتارةً باختصارٍ وإيجازٍ وعباراتٍ جامعةٍ لكثيرٍ مِن المباحثِ رغمَ حجمِ الكتابِ الكبيرِ نسبيًّا.

فمِن ذلك: قولُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسابَقَ رَسولُ الله ﷺ بنَفْسه على الأَقدام وصارَع، وخصَف نَعْلَه بيَدِه، ورقَع ثَوبَه بيَدِه، ورفَع دَلْوه وحلَبَ شاتَه وفلَى ثَوْبه وخدَم أَهْله ونَفْسه، وحمَلَ معهم اللبِنَ في بِناء المَسجِد، وربَط على بَطْنه الحجَرَ من الجوعِ تارةً وشبِعَ تارةً، وأَضاف وأُضيف، واحتَجَم في وسَط رَأْسه وعلى ظَهْر قدَمه، واحتَجَم في الأَخْدعين والكاهِل وهو ما بين الكَتِفين، وتَداوَى وكَوَى ولم يَكتوِ، ورَقَى ولم يَسترَقِ، وحمَى المَريض ممَّا يُؤذِيه»[(١)].

كذلك اشتمَلَ الكتابُ على فوائدَ ونكتٍ ولطائفَ لا يخلو منها بابٌ ولا فصلٌ، فضلًا عن ترجيحاتِه واختياراتِه، وتلمُّسِه لحِكَمِ الشريعةِ وعللِ أحكامِها.

---

(١) مختصر زاد المعاد لابن القيم بهذه الموسوعة، المجلد الرابع (ص٥٤).

قال ابن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ): كتابُ زاد المعاد في هدى خير العباد» أربعُ مجلداتٍ، وهو كتابٌ عظيمٌ جدًّا[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ): كلُّ تصانيفِه مرغوبٌ فيها بينَ الطوائفِ[(٢)].

وقال السخاوي (ت٩٠٢هـ): ولابن القيم كتاب «الهدي النبوي» لا نظير له[(٣)].

ترتيبه ومنهجه:

بدأ ابنُ القيمِ كتابَه بمقدماتٍ بيَّنَ فيها وجوبَ متابعةِ الرسولِ ﷺ، وتعلُّقَ السعادةِ في الدارين باتباعِه ﷺ، ثم تكلَّم على تفرُّدِ الله بالخلقِ والاختيارِ من المخلوقاتِ، واضطرارِ العبادِ إلى معرفتِه ﷺ.

ثم استفتَحَ كتابَه ببيانِ نسبِ النبي ﷺ، وختانِه، وأمهاتِه، وحواضنِه، فمبعثِه ودعوتِه ومراحلِها، وأسمائِه ومعانيها، والهجرتين.

ثم تكلَّمَ عن أولادِه ﷺ، وأعمامِه، وأزواجِه ومواليه، وخدامِه، وكُتُبِه، ومؤذنيه، وأمرائِه، وحرسِه، وشعرائِه، وحُداتِه.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٥/ ١٧٥).

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر (٥/ ١٣٩).

(٣) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي (٣/ ١٢٥٤).

ثم غزواتِه ﷺ وبعوثِه وسراياه، وسلاحِه وأثاثِه، ودوابِّه، وملابسِه، وطعامِه، ونكاحِه ﷺ، ونومِه، وركوبِه.

ثم ذكَرَ فصلًا عن اتخاذِه ﷺ الغنمَ والرقيقَ، وعقودِه، ومصارعتِه، ومعاملتِه، ومشيه، وجلوسِه، وقضاءِ حاجتِه، وهديِه ﷺ في سننِ الفطرةِ، وكلامِه وسكوتِه، وضحكِهِ وبكائِه، وخطبتِه.

ثم عقَدَ فصولًا مطولةً في هديِه ﷺ في العباداتِ: الوضوءِ، والصلاةِ، والزكاةِ، والصيامِ، والحجِّ والعمرةِ، والهدايا والضحايا، والأذكارِ والأدعيةِ، والجهادِ.

ثم تحدَّث عن هديِه ﷺ في الطبِّ الذي تطببَ به ووصفَه لغيرِه، ثم ختَمَ بفصولٍ عن هديِه ﷺ في الأقضيةِ والأنكحةِ والبيوعِ.

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على طبعة دار الوفاء، المنصورة، مصر، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠٠١م، تحقيق: أنور الباز، وقد اعتمَدَ على ست نسخ خطية، إحداهن كاملة وهي المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط.

المجلد الخامس

في علم حقوق النبي ﷺ

أهميته:

إن حقوقَ النبيِّ ﷺ على أمتِه لهي في جملتِها الأصلُ الثاني من أصلَي الدين، كما يدل عليه قولُنا: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله**»؛ ولذا ينبغي على المسلمِ أن يحيطَ بتلك الحقوقِ معرفةً، ويلتزم بها اعتقادًا وقولًا وعملاً، فذلك عقدٌ من عقودِ الإيمانِ.

وهذه الحقوقُ منها ما يتصلُ بجانبِ الرسالةِ التي بُعِثَ بها ﷺ، ومنها ما يتعلَّقُ بشخصِ رسول الله ﷺ تفضيلًا وتكريمًا مِن الله له.

وحقوقُ النبيِّ ﷺ على أمتِه كثيرةٌ، فمنها: الإيمانُ الصادقُ به ﷺ قولًا وفعلًا، وتصديقُه في كلِّ ما جاءَ به ﷺ، ووجوبُ طاعتِه، والحذرُ مِن مخالفتِه ﷺ، ووجوبُ التحاكمِ إليه والرِّضَى بحكمِه، وإنزالُه منزلتَه ﷺ بلا غلوٍ ولا تقصيرٍ، واتخاذُه قدوةً وأُسْوةً في جميعِ الأمورِ، ومحبتُه أكثرَ مِن النفسِ والأهلِ والمالِ والولدِ والناسِ أجمعين، وتوقيرُه، ونصرتُه، والذبُّ عن شريعتِه وسنتِه، والصلاةُ عليه... إلخ.

التعريف بكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ الشفا بتعريفِ حقوقِ المصطفى للقاضي عياضٍ مِن أوائلِ المصنفات التي تناولت حقوقَ النبيِّ ﷺ وأفردتها بمصنفٍ، وقد تميز بحسنِ ترتيبِه وتقسيمِه وجمال عرضِه، وبهاءِ لغته وفصاحتها.

«وكتابُ الشفا أجمعُ وأجلُّ مصنفٍ يبحثُ في شرفِ المصطفى ﷺ وقدرِه العظيم ومنصبِه الجليلِ، يتناولُ ذلك من جوانبَ فقهيةٍ أصوليةٍ عقديةٍ، بأسلوبٍ بليغ، وبيانٍ بديع، وحججٍ قويةٍ، وبراهينَ ساطعةٍ، مؤيدةً بالدليلِ مِن قرآنٍ وسنةٍ وأقوالِ السلفِ والأئمةِ.

والغايةُ مِن هذا الكتابِ ليس إقناعَ جاحدٍ، ولا قهرَ معاندٍ، وإنما ليكونَ منماةً لأعمالِ المسلمين، وزيادةً في إيمانِ المؤمنين، ومحبةً في سيدِ المرسلين، وقد أبان المصنفُ عن هذه الغايةِ في أولِ البابِ الرابعِ مِن القسمِ الأولِ»[١].

ترتيبه ومنهجه:

يقولُ القاضي عياض في مقدمةِ كتابِه، معرِّفًا بترتيبِه ومنهجِه: «حصرتُ الكلامَ فيه في أربعة أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: في تعظيمِ العليِّ الأعلى لقدرِ هذا النبيِّ ﷺ قولًا وفعلًا.

---

(١) مقدمة الشفا للقاضي عياض، تحقيق عبده كوشك (ص٨ بتصرف يسير).

القسمُ الثاني: فيما يجبُ على الأنامِ مِن حقوقِه ﷺ.

القسمُ الثالثُ: فيما يستحيلُ في حقِّه ﷺ، وما يجوزُ عليه، وما يمتنعُ ويصحُّ مِن الأمورِ البشريةِ أن يُضافَ إليه.

وهذا القسمُ -أكرمَك الله تعالى- هو سرُّ الكتابِ، ولبابُ ثمرةِ هذه الأبوابِ، وما قبلَه له كالقواعدِ والتمهيداتِ والدلائلِ على ما نوردُه فيه مِن النكتِ البيناتِ، وهو الحاكمُ على ما بعدَه، والمنجزُ من غرضِ هذا التأليفِ وعدَه.

القسمُ الرابعُ: في تصرُّفِ وجوهِ الأحكامِ على مَن تنقَّصَه أو سبَّه ﷺ»[١].

اهتمام العلماء به وثناؤهم عليه:

وقد نال كتابُ الشفا للقاضي عياض حظًّا وافرًا مِن اهتمامِ العلماءِ، وتنوَّعَتْ طرقُ خدمتِهم لهذا الكتابِ مِن بين شرحٍ واختصارٍ إلى تخريجٍ وترجمةٍ وتهذيبٍ:

فمِن شروحِه المطبوعة:

١- شرح الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ).

٢- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، لشهاب الدين الخفاجي (ت١٠٦٩هـ)، وهو شرح موسع في مجلدات.

٣- مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء لأحمد بن محمد الشمني (ت٨٧٣هـ).

---

(١) مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس (ص٢٠).

ومن مختصراته:

١ ـ مختصر الإسنوي (ت٧٦٣هـ).

٢ ـ مختصر لمحمد بن محمود، انتهى منه سنة ٩٦٠ هـ.

ومن تخريجاته:

- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

وقد حاز كتابُ القاضي عياض مِن ثناءِ العلماءِ على قصبِ السبقِ:

قال ابنُ فرحون (ت٧٩٩هـ): «أبدَعَ فيه كلَّ الإبداعِ، وسلَّمَ له أكفاؤُه كفايتَه فيه، ولم ينازِعْه أحدٌ من الانفرادِ به، ولا أنكروا مزيةَ السبقِ إليه، بل تشوَّفوا للوقوفِ عليه، وأنصفُوا في الاستفادةِ منه، وحملَه الناسُ عنه، وطارَتْ نُسَخُه شرقًا وغربًا»[(١)].

وقال الملا علي القاري (ت١٠١٤هـ): «أجمعُ ما صُنِّفَ في بابِه، مجملًا في الاستيفاءِ لعدمِ إمكانِ الوصولِ إلى انتهاءِ الاستقصاء»[(٢)].

وقال أحمد بن محمد المقري (ت١٠٤١هـ): «بلَغَ فيه الغايةَ القصوى، وكان فيه لضروبِ الإحسانِ مرتشفًا، وبذَّ فيه المؤلفين وأربَى، وحاز قصبَ السبقِ به دونَهم، وطار صيتُه شرقًا وغربًا»[(٣)].

---

(١) الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٤٩)

(٢) شرح الشفا للملا علي القاري(١/ ٩).

(٣) أزهار الرياض في أخبار عياض لأحمد بن محمد المقري (٤/ ٢٧١).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصرِ على طبعة وحدة البحوث والدراسات بدبي، تحقيق عبده كوشك، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٤هـ، وقد اعتمد محققه على طبعة البجاوي ومقابلتها بنسخة من الكتاب محفوظة بالمكتبة الظاهرية.

المجلد السادس

في علم الحديث النبوي الشريف

تعريفه:

الحديثُ الشريفُ عندَ أهلِ فنِّه يُقصدُ به: ما أُضيفَ إلى رسولِ الله ﷺ مِن قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلْقيةٍ أو خُلقيةٍ.

أهميته:

إنَّ الحديثَ وحيٌّ مِن الله أوحاه لرسولِه ﷺ كما قال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم:٣-٤]، وهو المصدرُ الثاني للتشريعِ باتفاقِ علماءِ الأمةِ.

والعملُ بالسنةِ والحديثِ لازمٌ كالعملِ بالقرآنِ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧].

يقول النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «شرعُنا مبنيٌّ على الكتابِ العزيزِ والسننِ المرويَّاتِ، وعلى السننِ مدارُ أكثرِ الأحكامِ الفقهياتِ؛ فإن أكثرَ الآياتِ الفروعيات مجملاتٌ، وبيانُها في السننِ المحكماتِ»(١).

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي(١/ ٤).

ثمراته:

مِن ثمراتِ معرفةِ الحديثِ الشريفِ: الوقوفُ على ما افترضَه الله علينا من أحكامٍ وشرائعَ، وما سنَّه مِن سننٍ ورواتبَ، وما نهانا عنه وزجَرَ، وما أباحه لنا بفضلِه سبحانه وتعالى، ومن ثمراته تحقيقُ البلاغِ عنه ﷺ وامتثالُ أمرِه، فهو القائلُ ﷺ: «**بلِّغُوا عنِّي ولو آيةً**»[1]، كذلك تحصيلُ النَّضرةِ التي بشَّرَ بها ﷺ حافظَ الحديثِ ومبلِّغَه؛ إذ قال ﷺ: «**نَضَّرَ اللهُ امرأً سَمِعَ منَّا حديثًا فحَفِظَه حتى يبلِّغَه غيرَه؛ فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى مَن هو أفقهُ منه، ورُبَّ حاملِ فقهٍ ليس بفقيهٍ**»[2]، كذلك التعرفُ على سيرتِه وأخلاقِه وشمائلِه وهديِه وسنتِه ﷺ.

قال النووي (ت٦٧٦هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الانشغالَ بالحديثِ مِن أجلِّ العلومِ الراجحاتِ، وأفضلِ أنواعِ الخيرِ، وآكدِ القرباتِ، وكيف لا يكونُ كذلك وهو مشتملٌ مع ما ذكرناه على بيانِ حالِ أفضلِ المخلوقاتِ عليه مِن الله الكريمِ أفضلُ الصلواتِ والسلامِ والتبريكاتِ»[3].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).
(٢) أخرجه أبو دواد (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٤).

التعريف بكتاب رياض الصالحين للنووي (ت٦٧٦هـ)

أهميته:

يعدُّ كتابُ «رياض الصالحين» مِن أشهرِ كتبِ الحديثِ في بابِ الآدابِ والفضائلِ والرقائقِ وتهذيبِ النفوسِ وما يحتاجه المسلمُ زادًا ومعينًا لآخرتِه، وقد تلقَّتْه الأمةُ بالقبولِ والاستحسانِ.

ويتميَّزُ باعتمادِ مؤلفِه في انتقاءِ أحاديثِه على ما صحَّ عنده، ودورانِه على الكتبِ الستةِ المشهورةِ، وحسنِ ترتيبِ أقسامِه وكتبِه، ووضوحِ تراجمِ أبوابِه ودلالتِها، ودقةِ اختيارِه لما يناسبُ البابَ وقوتِه، وسردِه الأحاديثَ سردًا دونَ تعليقٍ إلا ما اقتضاه النصُّ من بيانِ غريبٍ أو توضيحِ مشكلٍ وهو نزرٌ، وحذفِ الأسانيدَ إلا ذكرَ الصحابيِّ، وتخريجِه الأحاديثَ في إيجازٍ، وتصديرِه البابَ بما ورَدَ فيه مِن القرآنِ الكريمِ، فجمَعَ بينَ الحسنيينِ كتابِ الله وسنةِ رسولِه ﷺ.

قال الذهبي (ت٧٤٨هـ): «فعليك يا أخي بتدبرِ كتابِ الله، وبإدمانِ النظرِ في الصحيحَينِ وسننِ النسائيِّ، ورياضِ النووي وأذكارِه، تفلِحْ وتنجَحْ»[(١)].

ترتيبه:

بدأ النووي كتابَه بمقدمةٍ تبيِّنُ منهجَه وهدفَه، ثم صدَّر الكتابَ ببضعةٍ وثمانين بابًا في الإخلاصِ والتوبةِ والصبرِ والصدقِ والمراقبةِ والتقوَى واليقينِ

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٣٤٠).

والتوكلِ... إلى غير ذلك من المعاني الإيمانيةِ، ثم أخَذَ في ذكرِ الكتبِ التي يتضمَّنُها كتابُه، ومنها: كتاب الأدب، والفضائل، والحج، والأذكار، والدعوات، والأمور المنهي عنها.

منهجه:

يقول النووي (ت٦٧٦هـ): «رأيتُ أن أجمعَ مختصرًا من الأحاديث الصحيحةِ، مشتملًا على ما يكونُ طَريقًا لصاحبِه إلى الآخرةِ، ومحصلًا لآدابه الباطنةِ والظاهرةِ، جامِعًا للترغيبِ والترهيبِ وسائرِ أنواعِ آدابِ السالكينَ: مِن أحاديثِ الزهدِ ورياضاتِ النفوسِ، وتهذيبِ الأخلاقِ، وطهاراتِ القلوبِ وعلاجِها، وصيانةِ الجوارحِ وإزالةِ اعوجاجِها، وغير ذلك مِن مقاصدِ الصالحينَ والعارفينَ.

وألتزمُ فيه ألَّا أذكرَ إلا حديثًا صحيحًا من الواضحاتِ، مضافًا إلى الكتبِ الصحيحةِ المشهوراتِ، وأُصَدِّرُ الأبوابَ مِن القرآنِ العزيزِ بآياتٍ كريماتٍ، وأوشِّحُ ما يحتاجُ إلى ضبطٍ أو شرحِ معنًى خفيٍّ بنفائسَ مِن التنبيهاتِ»(١).

الطبعة المعتمدة في هذا المختصر:

اعتمدتُ في هذا المختصر على طبعة دار المنهاج بجدة، وقد اعتمدوا على سبع نسخ خطية.

---

(١) مختصر رياض الصالحين للنووي بهذه الموسوعة، المجلد السادس (ص١٨).

رابعًا: شركاؤنا في نجاح موسوعة محمد رسول الله ﷺ

بفضلِ الله تعالى تَصدرُ هذه الموسوعةُ والتي هي مبادرةٌ لنصرةِ رسولِنا محمدٍ ﷺ، وقريبًا -بإذن الله- سيكونُ لها «تطبيق» على الأجهزةِ الذكيةِ، و«موقع» على شبكة الاتصال العالمية.

ولما كانَتْ غايةُ هذه الموسوعةِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة** مطلبَ كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، فإنه ليشرِّفُني مشاركةُ كلِّ مَن يرغبُ في نصرةِ النبيِّ ﷺ بالإسهام في هذه الموسوعةِ على كافة المستويات، سواءٌ في وطنِنا المباركِ المملكةِ العربيةِ السعوديةِ؛ منبعِ الرسالةِ، وبلدِ الحرمَينِ الشريفَينِ، وقبلةِ المسلمِينَ، ومثوَى رسولِ الله ﷺ، أو في جميعِ بلدانِ العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وذلك على النحو الآتي:

١- **على مستوى الفرد:** يُساهم كلٌّ منا بإهداءِ نسخةٍ من هذه الموسوعة النبوية إلى مسجده وجامعته ومؤسسته ومدرسة أبنائه؛ محبةً ونصرةً للنبي ﷺ.

٢- **على مستوى المساجدِ والجوامعِ والمراكزِ الإسلاميةِ:** بتدريسِ وقراءةِ هذه الموسوعةِ النبويةِ أو مختاراتٍ منها في المساجدِ عقبَ الصلواتِ، وكذلك المراكزُ الإسلاميةُ على مستوى العالمِ، وإقامةُ محاضراتٍ ودروسٍ ودوراتٍ مكثفةٍ، منها الأسبوعيُّ ومنها الشهريُّ، وبثُّها في البرامجِ المختلفةِ لوسائلِ الإعلامِ الجديدِ.

٣-على مستوى المدارسِ والكلياتِ والجامعاتِ: بتحويلِ محتواها لمحتوًى تعليميٍّ يُدرسُ في المدارسِ، وكذلك تقريرُ هذه الموسوعةِ في مقرراتِ جامعاتِ العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ، وتأهيلُ الطلابِ والطالباتِ لتطبيقِها واقعًا عمليًّا؛ فهُم بأمسِّ الحاجةِ للقدواتِ، فما بالُك بحاجتِهم إلى قدوةِ القدواتِ الأسوةِ الحسنةِ صلواتُ ربي وسلامُه عليه.

٤-على مستوى الإعلامِ: باستثمارِ المحتوَى العلميِّ والمعرفيِّ والتطبيقيِّ للموسوعةِ إعلاميًّا في شتى البرامجِ بمختلفِ صورِها.

٥-على مستوى التدريبِ: بتحويلِ محتوَى **موسوعة محمد رسول الله ﷺ** لدوراتٍ تدريبيةٍ متميزةٍ.

٦-على مستوى الترجمةِ: بترجمةِ محتوى **موسوعة محمد رسول الله ﷺ** إلى أهمِّ اللغاتِ العالميةِ.

إن المشاركةَ في إنجاحِ هذه الموسوعةِ **موسوعة محمد رسول الله ﷺ** على النحو الذي سَبَقَ وغيرِه لهو مِن أعظمِ وسائلِ نصرةِ نبيِّنا ﷺ والدعوةِ لتطبيقِ هديه ﷺ والتأسِّي به ﷺ، ونشرِ دعوتِه وسيرتِه، بما يُحققُ النجاحَ والسعادةَ، والتوفيقَ والفلاحَ في الدنيا والآخرة، وفيه أيضًا حلٌّ لكثيرٍ مِن مشكلاتِنا الاجتماعيةِ، والاقتصاديةِ، والتعليميةِ، والإعلاميةِ، والإداريةِ... إلخ.

وفي الختامِ، أحمدُ الله عَزَّوَجَلَّ وأشكرُه على ما أكرمَ وأنعمَ وتفضَّلَ ويسَّرَ مِن إتمامِ هذه الموسوعةِ وطباعتِها؛ راجيًا مِن الله تعالى الإخلاصَ والقبولَ، وأن ينفعَ بها كاتبَها وقارِئيها والمشاركِينَ فيها، كما أَسألُه سبحانه أن يبلغَنِي -بمنِّه وفضلِه- ووالديَّ الكريمَينِ وزوجتي وأولادي والمسلمِينَ جميعًا، غايةَ هذه الموسوعةِ **مرافقة محمد رسول الله ﷺ في الجنة**، إنه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصيرُ، وصلَّى الله وسلَّم وبارَكَ على نبيِّنا وحبيبِنا وشفيعِنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه والتابعين.

بريد موسوعة محمد رسول الله ﷺ

ProMoEncy@gmail.com

وكتبه في الروضة الشريفة الخميس ٨/٨/١٤٣٨هـ

أحمد بن عثمان بن أحمد المزيد

غفر الله له ورزقه مرافقة نبيّه ﷺ في الجنة

ملحق: عشريات نبوية

(١) عشرية عظمة محمد رسول الله ﷺ

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، وعلى آلِه وصحبِه، ومَن اقتفَى أثرَه وعملَ بهديِه واستنَّ بسنتِه، **أمَّا بعدُ**،

«فلا خفاءَ على مَن مارسَ شيئًا من العلمِ، أو خُصَّ بأدنى لَمحةٍ مِن فهمٍ بتعظيم الله تعالى قدرَ نبيِّنا ﷺ، وخصوصِه إياه بفضائلَ ومحاسنَ ومناقبَ لا تنضبطُ لزِمامٍ، وتنويهِه مِن عظيمِ قدرِه بما تكِلُّ عنه الألسنةُ والأقلامُ:

فمنها: ما صرَّحَ به تعالى في كتابِه، ونبَّه به على جليلِ نِصَابِه، وأثنَى به عليه مِن أخلاقِه وآدابِه، وحضَّ العبادَ على التزامِه وتقلُّدِ إيجابِه. فكان جَلَّجَلَالُهُ هو الذي تفضَّلَ وأولَى، ثم طهَّرَ وزكَّى، ثم مدحَ بذلك وأثنَى، ثم أثابَ عليه الجزاءَ الأوفَى، فله الفضلُ بدءًا وعودًا، وله الحمدُ أُولى وأُخرى»[(١)].

١- أَخذَ اللهُ العهدَ على جميعِ الأنبياءِ ليُؤمِننَّ به ولينصُرنَّه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عِمران: ٨١]، قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لم يبعَثْ الله عَزَّوَجَلَّ نبيًّا -آدمَ فمَن بعدَه- إلا أَخذَ عليه العهدَ في محمدٍ: لئن بُعِثَ وهو حيٌّ ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، ويأمرُه فيأخذُ العهدَ على قومِه[(٢)].

---

(١) مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة، المجلد الخامس (ص٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٥٤٠).

٢- قرنَ سبحانه ذكرَه بذكرِه، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشَّرح:١-٨]، قال الطبري (ت٣١٠هـ): ورفَعْنا لك ذكرَك فلا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وذلك قول: لا إله إلا اللهُ، محمدٌ رسولُ الله[1].

٣- جعلَه الله شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦]، قال القاضي عياض: جمعَ الله تعالى في هذه الآيةِ ضُروبًا من رتبِ الأُثْرةِ، وجملةَ أوصافٍ من المِدْحةِ، فجعله شاهدًا على أمتِه لنفسِه بإبلاغِهم الرسالةَ، وهي من خصائِصه ﷺ، ومبشِّرًا لأهلِ طاعتِه، ونذيرًا لأهلِ معصيتِه، وداعيًا إلى توحيدِه وعبادتِه، وسراجًا منيرًا يُهتدى به للحقِّ[2].

٤- تعظيمُ الله وتشريفُه له ﷺ في خطابه في القرآنِ الكريم، «وذلك أنه ما خاطبَه في كِتابِه ولا أخبرَ عنه إلَّا بالكِنايةِ الَّتي هي النبوَّةُ والرسالةُ الَّتي لا أجلَّ منها ولا أعظمَ خطَرًا، وخاطبَ غيرَه مِن الأنبياءِ وتَعبَّدَهم وأخبرَ عنهم بأسمائِهم، ولم يَذكُرْهم بالكِنايةِ الَّتي هي غايةُ المَرتبةِ إلَّا أن يَكونَ الرسولُ ﷺ في جُملتِهم لمُشاركتِه معهم في الخطابِ والخبرِ، والكِنايةُ عن الاسمِ غايةُ التعظيمِ للمخاطَبِ المُبجَّلِ والمَدعوِّ المعظم، كما نهى الله عَزَّوَجَلَّ الناس أن يُخاطِبوا رسولَه باسمِه، وأَخبرَ عن سائرِ الأُمَمِ أنهم كانوا يُخاطِبون أنبياءَهم ورُسلَهم بأسمائِهم، كقولِهم: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨]»[3].

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٤٢٤).

(٢) مختصر الشفا للقاضي عياض بهذه الموسوعة المجلد الخامس (ص٢٦).

(٣) (ص٧٨).

٥- أقْسَمَ اللهُ بحياته ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحِجر:٧٢] وهذه نهايةُ التعظيم وغايةُ البرِّ والتشريفِ، قال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما خلقَ الله تعالى وما ذَرَأَ وما بَرَأَ نفسًا أكرمَ عليه من محمدٍ ﷺ، وما سمعتُ الله تعالى أقسَمَ بحياةِ أحدٍ غيره[(١)].

٦- شرَّفه سبحانه بأعظمِ معجزاتِه ﷺ القرآنِ الكريمِ، قال ﷺ: «**ما مِن الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعطِيَ ما مِثْلُهُ آمَنَ عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتِيتُ وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعًا يومَ القيامةِ**»[(٢)]، قال ابنُ كثيرٍ (ت٧٧٤هـ): معناه: أن معجزةَ كلِّ نبيٍّ انقرضَتْ بموتِه، وهذا القرآنُ حجةٌ باقيةٌ على الآبادِ، لا تَنقَضِي عجائبُه، ولا يَخْلَقُ عن كثرةِ الردِّ، ولا يشبعُ منه العلماءُ، هو الفصلُ ليس بالهزلِ، مَن تركَه مِن جبَّارٍ قصمَه الله، ومَن ابتغَى الهدى مِن غيرِه أضلَّه الله[(٣)].

٧- ما حَباه الله به ﷺ من حسنِ سيرةٍ؛ منذِ ولادتِه ﷺ وحتى وفاتِه ﷺ، فمِن ذلك: تربيتُه في باديةِ العربِ حيثُ اللغةُ الفصيحة، ثم تصرُّفُ الأحوالِ به ونشوؤه في حِجرِ جدِّه وكانت له الرئاسةُ والشرفُ، ثم عمِّه أبي طالبٍ وكان له حظٌّ وافرٌ مِن مكانةِ أبيه، وما اشتُهِرَ به ﷺ من أمانةٍ وأخلاقٍ، ثم الرسالةُ وعصمةُ الله له في تبليغِ رسالتِه، وما نالَه مِن تشريفٍ وتعظيمٍ بالإسراءِ والمعراجِ، ثم الهجرةُ وإعلاءُ كلمةِ الله تعالى، ونصرُه وتأييدُه وتمكينُه وفتحُه،

---

(١) تفسير الطبري (١٧/ ١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦١).

إلى غيرِ ذلك مِن أحداثِ السيرةِ النبويةِ الشريفةِ التي تدلُّ على التشريفِ والتعظيمِ له ﷺ.

٨- ما اختصَّه الله به من خصائصَ شريفةٍ، فمنها: سيادتُه ﷺ على ولدِ آدمَ في الدنيا والآخرةِ، وأنه خاتمُ النبيينَ، وإمامُ المرسلينَ، وأن أمتَه خيرُ الأممِ، وأن كتابَه محفوظٌ من التغييرِ والتبديلِ، وأن رسالتَه عامةٌ إلى الجنِّ والإنسِ، وما اختصَّه الله به مِن الشفاعةِ يومَ القيامةِ، وكونُه ﷺ أولَ مَن تنشقُّ عنه الأرضُ يومَ القيامة، وأول مَن يقرعُ بابَ الجنةِ، وإعطاؤُه الكوثرَ ومنزلةَ الوسيلةِ في الجنةِ، وما أُعطِيَ مِن جوامعِ الكلمِ ومعجزِ البيانِ ومكارمِ الأخلاقِ؛ فقد كان ﷺ أحلمَ الناسِ، وأشجعَهم، وأعدَلهم، وأعفَّهم، وأجودَهم بالخيرِ، لا يُسْأَلُ شيئًا إلا أعطاه، يخصفُ نعلَه، ويرقعُ ثوبَه، ويخدمُ في مهنةِ أهلِه ﷺ، وكان أشدَّ الناسِ حياءً، لا يثبتُ بصرَه في وجهِ أحدٍ، ، يغضبُ لربِّه ولا يغضبُ لنفسِه؛ فكان خُلقُه القرآنَ ﷺ.

٩- ما جبلَه الله عليه من صفاتٍ خَلقيةٍ؛ أخذَتْ بالقلوبِ والأفئدةِ ﷺ، سُئِلَ البراءُ بنُ عازبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن وجهِ رسولِ الله ﷺ: «أكان وَجْهُ رسولِ الله ﷺ مثلَ السيفِ؟ قال: لا، بل مثلَ القمرِ»(١)، وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا وأحْسَنَه خَلْقاً، ليس بالطويلِ البائنِ، ولا بالقصيرِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٢٣٤٧).

وقال أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسولُ الله ﷺ أَزْهَرَ اللونِ، كأنَّ عَرَقَهُ اللؤلؤُ، إذا مشَى تكَفَّأَ، وما مَسِسْتُ ديباجةً ولا حريرةً ألينَ مِن كَفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَمِمْتُ مِسْكَةً ولا عَنْبَرَةً أطيبَ مِن رائحةِ رسولِ الله ﷺ»[1].

١٠- ومن عظمةِ مكانتِه ﷺ ما افترضَه الله مِن حقوقِه ﷺ، فمنه وجوبُ طاعتِه واتباعِه، ولزومُ محبتِه، وتوقيرُه وبرُّه وتعظيمُه، والصلاةُ والسلامُ عليه ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣٠).

(٢) عشرية محبة محمد رسول الله ﷺ لأمته

١- **كمالُ نصحِه ﷺ لأمتِه ورحمتُه وحرصُه على هدايتِها:** قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: يا رسولَ الله، هل أَتَى عليك يومٌ كان أشدَّ مِن يومِ أُحُدٍ، قال: «لقد لقيتُ مِن قومِك! وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ، إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفِق إلا بقرنِ الثعالبِ(١)، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتْني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعَثَ إليك ملكَ الجبالِ لتأمرَه بما شئتَ فيهم، قال: فناداني ملكُ الجبال وسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمدُ، إن اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وأنا ملكُ الجبالِ وقد بعَثَني ربُّك إليك لتأمرَني بأمرِك، فما شئتَ، إنْ شئتَ أنْ أطبقَ عليهم الأخشبَينِ(٢)؟ فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهم مَن يعبدُ الله وحدَه لا يُشرِكُ به شيئًا»(٣).

---

(١) (قَرن الثعالب): السيل الكبير وهو ميقات أهل نجد قرب مكة.

(٢) (الأخشَبَيْن): جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله.

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

٢- شفقتُه ﷺ على أمتِه: فعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَثَلي كمثلِ رجلٍ استوقَدَ نارًا، فلما أضاءَتْ ما حولَها جعَلَ الفَراشُ وهذه الدوابُّ التي في النارِ يَقَعْنَ فيها، وجعَلَ يحجزُهنَّ ويغلِبْنَه فيتقحَّمْنَ فيها، قال: فذلكم مَثَلي ومثلُكم، أنا آخذٌ بحُجَزِكم عن النارِ، هَلُمَّ عن النارِ، هَلُمَّ عن النارِ، فتَغْلِبُوني تقحَّمُونَ فيها**»[1].

وعن عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ: تلَا قولَ الله عَزَّ وَجَلَّ في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦] ، وقال عيسى عليه السلام: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفَعَ يدَيه وقال: «**اللهمَّ أمَّتي أمَّتي**»، وبكى، فقال الله عَزَّ وَجَلَّ: «**يا جبريلُ، اذهَبْ إلى محمدٍ - وربُّك أعلمُ- فسَلْه ما يُبكِيك**»؟ فأتاه جبريلُ عليه الصلاة والسلام، فسألَه فأخبرَه رسولُ الله ﷺ بما قال، وهو أعلمُ، فقال الله: «**يا جبريلُ، اذهَبْ إلى محمدٍ، فقل: إنَّا سنرضِيك في أمتِك، ولا نسوؤُك**»[2].

قال النووي: هذا الحديثُ مشتملٌ على أنواعٍ مِن الفوائدِ، منها: بيانُ كمالِ شفقةِ النبيِّ ﷺ على أمتِه واعتنائِه بمصالِحهم، واهتمامُه بأمرِهم[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (٣/ ٧٨).

٣-حرصُه ﷺ على التخفيفِ عن أمتِه ودفعِ المشقةِ عنهم: فعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثِ الإسراءِ والمعراجِ، قال النبي ﷺ : «... **حتى جاءَ سدرةَ المنتهَى، ودنا للجبارِ ربِّ العزةِ، فتدلَّى حتى كان منه قابَ قوسَينِ أو أدنَى، فأوحَى الله فيما أوحَى إليه: خمسينَ صلاةٍ على أمتِك كلَّ يومٍ وليلةٍ**»، فما زال يسألُ ربَّه التخفيفَ وربُّه يضعُ عنه ويحطُّ منهن، حتى قال له ربه عَزَّوَجَلَّ: «**فكلُّ حسنةٍ بعشرِ أمثالِها، فهي خمسونَ في أمِّ الكتابِ، وهي خمسٌ عليك**»[(١)].

وقال ﷺ: «**لولا أن أشقَّ على أمَّتِي لأمرتُهم بالسواكِ مع كلِّ صلاةٍ**»[(٢)].

٤- إخبارُه ﷺ بخَيريَّةِ أمتِه ﷺ إلى قيامِ الساعةِ: عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَثَلُ أمَّتي كالمطرِ، لا يُدْرَى أولُه خيرٌ أم آخرُه**»[(٣)].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزالُ طائفةٌ مِن أمَّتِي ظاهِرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم مَن خذَلَهم حتى يأتِيَ أمْرُ الله وهم كذلك**»[(٤)].

٥- خوفُه ﷺ على أمَّتِه أن يصيبَها العذابُ: عن عبدِ الله بنِ عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انكسفَتِ الشمسُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقام رسولُ الله ﷺ...»، وفيه: «ثم قال: **ربِّ، ألَمْ تَعِدْني ألَّا تُعذِّبَهم وأنا فيهم، ألَمْ تَعِدْني ألَّا تُعذِّبَهم وهم يستغفِرون**، ففرَغَ رسولُ الله ﷺ من صلاتِه وقد أَمْحَصَتِ الشمسُ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (٨٨٧)، ومسلم (٢٥٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٩).
(٤) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢٠).
(٥) أخرجه أبو داود (١١٩٤)، وأصله مختصرًا في البخاري (١٠٥١)، ومسلم (٩١٠).

٦- شوقُه ﷺ لأمتِه: عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**وددتُ أنَّا قد رأَيْنا إخوانَنا**»، قالوا: أَوَلسنا إخوانَك يا رسولَ الله؟ قال: «**أنتم أصحابي وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ**»[(١)].

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مِن أشدِّ أمَّتِي لي حبًّا: ناسٌ يكونون بعدِي، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهلِه ومالِه**»[(٢)].

٧- تبشيرُه ﷺ لأمَّتِه بأنهم شطرُ أهلِ الجنةِ: عن أبي سعيدِ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيدِه، إني أرجو أن تكونوا ربعَ أهلِ الجنةِ**»، فكبَّرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجنةِ**»، فكبَّرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنةِ**» فكبَّرنا، فقال: «**ما أنتم في الناسِ إلا كالشعرةِ السوداءِ في جلدِ ثورٍ أبيضَ، أو كشعرةٍ بيضاءَ في جلدِ ثورٍ أسودَ**»[(٣)].

٨- تبشيرُه ﷺ لأمَّتِه بعدةِ بشاراتٍ: منها قولُه ﷺ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ تجاوزَ لأمَّتِي عمَّا حدَّثَتْ به أنفسَها ما لم تعمَلْ أو تكلَّمْ به**»[(٤)].

وقوله ﷺ: «**كلُّ أمَّتِي معافًى إلا المجاهِرِينَ، وإن مِن المجاهرةِ أن يعملَ الرجلَ بالليل عملًا، ثم يصبحُ وقد سترَه الله عليه، فيقول: يا فلانُ، عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يسترُه ربُّه، ويصبحُ يكشفُ سترَ الله عنه**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٣٢).
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).
(٤) أخرجه البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧).
(٥) أخرجه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

وقوله ﷺ: « **كلُّ أمَّتِي يدخلون الجنةَ إلا مَن أَبَى**»، قالوا: يا رسولَ الله، ومَن يأبَى؟! قال: «**مَن أطاعَني دخلَ الجنةَ، ومَن عَصَاني فقد أَبَى**»(١).

٩- استقبالُه ﷺ لأمَّتِه على حوضِه: عن جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**أنا فَرَطُكُم عَلى الحوْضِ**»(٢)، أي: سابقُكم إليه كالمهيِّئ له.

وعن عبدِ الله بنِ عمرِو بن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**حوضي مسيرةُ شهرٍ، ماؤُه أبيضُ مِن اللبنِ، وريحُه أطيبُ مِن المسكِ، وكِيزانُه كنجومِ السماءِ، مَن شَرِبَ منها فلا يظمأُ أبدًا**»(٣).

١٠- شفاعتُه ﷺ لأمَّتِه: عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ يَدعو بها، وأريدُ أن أختبئَ دعوتي شفاعةً لأمَّتِي في الآخرةِ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).
(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٨).

(٣) عشرية حقوق محمد رسول الله ﷺ على أمته

١- **الإيمانُ به**: قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾ [التغابن: ٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا﴾ [الفتح: ١٣].

٢- **طاعتُه و اتباعُ سنتِه والتأسِّي بهديه** ﷺ: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد:٣٣]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧]، وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران:٣١] وقال سبحانه: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

٣- **محبتُه** ﷺ: قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤]، وقال حبيبنا ﷺ: «**لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والناسِ أجمعينَ**»[(١)].

٤- **تعظيمُ أمرِه وتوقيرُه**: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٨ - ٩]،

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

٥- **نشرُ دعوتِه ﷺ**: قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال ﷺ: «**بَلِّغُوا عنِّي ولو آيةً**»[(١)].

٦- **نصرتُه ﷺ والدفاع عنه حيًّا وميتًا**: فقد جعلَ الله تعالى نصرتَه علامةَ الإيمان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٧٤]، كما جعلَ نصرتَه ﷺ دلالةً على صدقِ الاتباعِ له، قال تعالى : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

وأمَّا نصرتُه ﷺ بعدَ موتِه فبالذبِّ عنه، وعن دينِه، وبيانِ فضائلِه، والتخلُّقِ بأخلاقِه، والعملِ بشريعتِه.

٧- **الصلاةُ عليه والتسليمُ**، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقال ﷺ: «**مَن صَلَّى عليَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليه بها عشرًا**»[(٢)].

٨- **محبةُ آلِه وأزواجِه وأصحابِه ومودَّتُهم**: قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وقال ﷺ: «**أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكم**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٤).

اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي»[١]، وقال ﷺ : «لا تَسُبُّوا أصحابي»[٢].

٩- التوسطُ وعدمُ الغلوِّ فيه ﷺ: قال ﷺ: «إياكُم والغُلُوَّ في الدينِ؛ فإنما أَهْلَكَ مَن كان قبلَكم الغُلُوُّ في الدينِ»[٣]، وقال ﷺ: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النصارى ابنَ مريمَ؛ فإنَّما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه»[٤].

١٠- رعايةُ حرمةِ مدينتِه ومسجدِه وقبرِه ﷺ: قال ﷺ: «اللهمَّ لا تجعَلْ قبرِي وثنًا، لعَنَ اللهُ قومًا اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»[٥]، وقال ﷺ: «إنَّ إبراهيمَ حرَّمَ مكةَ، وإني حرمتُ المدينةَ ما بينَ لابَتَيْهَا، لا يُقطعُ عِضَاهُها، ولا يُصادُ صيدُها »[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

(٣) أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

(٥) أخرجه أحمد (٧٣٥٨).

(٦) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٢).

❶ موســـوعة محمـــد رســـول الله ﷺ

دلائل نبوته وسيرته وخصائصه وشمائله وهديه وحقوقه وقبس من حديثه

مختصر دلائل النبوة

لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (ت ٤٣٠هـ)

اختصره

أ.د. أحمد بن عثمان المزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية – جامعة الملك سعود

[مقدمة المصنف]

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ربِّ أعِنْ بلطفكَ الكريمِ

الحمدُ لله مُولِي النعمِ الجِسامِ، ومُسدِي الآلاءِ العظامِ الذي تَرادفَتْ أياديهِ السابغةُ، وثبَتَتْ حُجتُه البالغةُ، بالدلالاتِ الواضحةِ، والعلاماتِ اللائحةِ، وصلَّى اللهُ على خيرِ مبعوثٍ، ختمَ به الرسالةَ، وغنمَ بالتصديقِ به النبالةَ والجلالةَ، وقرنَ اسمَه باسمِه، ورفعَ ذِكرَه بذكرِه، محمدٍ سيدِ الأوَّلين والآخِرين، وخاتمِ الأنبياءِ والمُرسَلين، صلواتُ الله عليه ما عبَدَ عابدٌ وسجَدَ ساجِدٌ.

أمَّا بعدُ: فقَدْ سألْتم -عمَّر اللهُ بالبصائرِ طويَّاتِكم- جمعَ المنتشرِ منَ الرواياتِ في النبوةِ ودلائِلِها، والمعجزةِ وحقائِقِها، وخصائصِ المبعوثِ محمدٍ ﷺ، فاستَعَنْتُ بالله واستوفَقْتُه وبه الحولُ والقوةُ، وهو القويُّ العزيزُ.

فالنُّبوَّةُ هي: سفارةُ العبدِ بين الله تعالى وبين ذوِي الألبابِ من خَليقتِه؛ ولهذا يُوصفُ أبَدًا بالرسالةِ والبعثةِ، وقيلَ: إن النبوَّةَ إزاحةُ عِللِ ذوي الألبابِ فيما تَقصُر عُقولُهم عنه من مَصالحِ الدارَيْن؛ ولهذا يُوصَفُ دائِمًا بالحُجةِ والهِدايةِ ليُزيحَ بها عللَهم على سَبيلِ الهدايةِ والتثقيفِ.

ومعنَى النبيِّ: هو ذو النبأِ والخبرِ، أي: يكونُ مُخبِرًا عن الله عَزَّوَجَلَّ بما خصَّه به من الوحيِ، وقيل: إنها مُشتقَّةٌ من النَّبوَةِ والتي هي المَكانُ المُرتَفعُ عنِ الأرضِ، وهو أن يُخصَّ بضربٍ من الرِّفعةِ فجعِلَ سفيرًا بين الله تعالى وبين خلقِه، يَعنِي بذلك وصفَه بالشرفِ والرفعةِ، ومَن جعَلَ النبوةَ منَ الإنباءِ الَّتي هي الإِخبارُ لم يُفرِّق بين النبوةِ والرسالةِ.

ومعنى الرسولِ: هو المُرسلُ، فعولٌ على لفظِ مُفعَل، وإرسالُه: أمرُه إيَّاه بإبلاغِ الرسالةِ والوحيِ.

ومعنى الوحيِ مأخوذٌ منَ الوَحَى وهو العجَلةُ، فلمَّا كانَ الرسولُ مُتعجِّلًا لِما يُفهِم قيلَ لذلك التفهيمِ: وحيٌ.

وله مراتبُ ووجوهٌ في القرآنِ:

وحيٌ إلى الرسولِ وهو أن يُخاطبَه الملَكُ شفاهًا أو يُلقيَ ذلك في رُوعِه، وذلك قولُه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشُّورى:٥١]، يُريدُ بذلكَ خطابًا يُلقى فَهمُه في قلبِه حتَّى يَعيَه ويحفظَه، وما عداه من غيرِ خطابٍ فإنما هو ابتداءُ إعلامٍ وإلهامٍ وتوقيفٍ من غيرِ كلامٍ ولا خطابٍ كقولِه: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ [النحل: ٦٨]، ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ [القصص: ٧] ، وما في مَعناهُما.

واعلَموا أن معجزاتِ المُصطَفى عليه السلام أكثرُ من أن يَحصُرَها عددٌ، وأشهرُ من أن يَنصرَها سندٌ، فأعظمُ معجزاتِه القرآنُ الذي هو أُمُّ المعجزاتِ، الَّذي لا يَدفعُه الإنكارُ ولا الجحدُ، قد حرَّرَ الكلامَ فيه وفي مسائِلِه -وإبطالِ طعنِ المُلحدةِ والفَلاسفةِ وأصحابِ الطبائعِ- المُتقدِّمون من عُلمائِنا، وأَبانوا فسادَ مَقالاتِهم وبُطلانَ مُعارضاتِهم بما يُعارِضُ به أمثالُهم من الجائِرين عن منهجِ النُّبوَّةِ ومنارِ الشريعةِ، وكذلكَ الكلامُ في الاستدلالِ على صحَّةِ النبوةِ والرسالةِ وأن بعثةَ المُرسلين ممَّا لا يَستحيلُ، وأنه مِن بابِ المُمكنِ والمَقدورِ، وأن إرسالَ الرسلِ ليس بواجِبٍ على الله تعالى، بل هو منَ الجائزِ الَّذي لله تعالى فعلُه وتركُه، وأن المعجزاتِ أقسامٌ: منها ما يَجوزُ دخولُ نوعٍ منها تحتَ مَقدورِنا على وجهٍ، ومنها ما لا يدخلُ.

وذِكرُ الكلامَ في الفصل بين المُعجزةِ والكرامةِ وأنها مُتَّفِقتانِ في حالةٍ ومُفتَرِقتانِ في أُخرى، وذِكرُ أنواعَ ما يَقعُ به التَّحدِّي فسمِّيَ مُعجزًا، وكذا الردُّ على مُنكرِي النبواتِ من برهميٍّ وفَلسفيٍّ وطبائعيٍّ وغيرِهم، سكَتْنا عن كلِّ ذلك، إذِ الكلامُ في ذلك والانفصالُ عن مُعارضاتِهم مُسلَّمٌ إلى أربابِها منَ المُتكلِّمين والنظارِ.

وقَصدُنا جمعُ ما نحنُ بسَبيلِه ونجتبيهِ من جمعِ المُنتشرِ من الآثارِ والصحيحِ والمَشهورِ من مَرويِّ الأخبارِ، ورتَّبْناه ترتيبَ مَن تَقدَّمنا من رُواةِ الآثارِ والعلماءِ والفقهاءِ، وجعَلْنا ذلك فُصولًا ذكَرْناها ليَسهلَ على المتحفظِ أنواعُه وأقسامُه فيكونُ أجمعَ لفهمِه، وأقربَ من ذهنِه، وأبعدَ من تحملِ الكُلفةِ في طلبِه، وبه الحولُ والقوةُ في ذلك، وفي كلِّ ما نُريدُه ونقصدُه.

(١) فصل في ذكرِ ما أَنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كِتابِه من فَضائِله

اقتَصَرْنا على مَشاهيرِه من فَضائِله:

♦أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ جعلَ بعثتَه عليه السلام للعالَمِين رحمةً، فقال عز مِن قائلٍ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فأمِنَ أعداؤُه منَ العذابِ مدةَ حياتِه ﷺ فيهم، وذلك قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾ [الأنفال:٣٣]، فلم يُعذِّبْهم معَ استِعْجالهم إيَّاه، تحقيقًا لما نعتَهُ به، فلمَّا ذهبَ عنهم إلى ربِّه تعالى أنزلَ اللهُ تعالى بهم ما أَوعَدَهم من قتلٍ وأسرٍ، وذلكَ قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ٤١﴾ [الزُّخرف:٤١].

♦**ومن فضائله** ﷺ: إخبارُ الله عَزَّوَجَلَّ عن إجلالِ قدرِ نبيِّه ﷺ وتَبجيلِه وتعظيمِه وذلك أنه ما خاطبَه في كِتابِه ولا أخبرَ عنه إلَّا بالكِنايةِ الَّتي هي النبوَّةُ والرسالةُ الَّتي لا أجلَّ منها ولا أعظمَ خطرًا، وخاطبَ غيرَه منَ الأنبياءِ وتَعبَّدَهم وأخبرَ عنهم بأسمائِهم، ولم يَذكُرْهم بالكِنايةِ الَّتي هي غايةُ المَرتبةِ إلَّا أن يَكونَ الرسولِ ﷺ في جُملتِهم لمُشاركتِه معهم في الخطابِ والخبرِ، فأمَّا في حالِ الانفرادِ فما ذكَرَهم إلَّا بأسمائِهم.

والكِنايةُ عن الاسمِ غايةُ التعظيمِ للمخاطَبِ المُبجلِ والمَدعوِّ المعظمِ؛ لأن مَن بُلِغَ به الغايةُ في التعظيمِ كنِّيَ عن اسمِه؛ إن كان ملِكًا قيل: أيُّها الملِكُ. وإن كان أميرًا قيل: أيُّها الأميرُ. وإن كان خليفةً قيل: أيُّها الخَليفةُ، وإن كان ديانًا قيل: أيُّها الحَبرُ؛ أيها القِسُّ؛ أيُّها العالمُ؛ أيُّها الفقيهُ.

ففضلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه ﷺ وبلغَ به غايةَ الرتبةِ وعاليَ الرفعةِ، فقال عز من قائلٍ لنبيِّه ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال:٦٤]، في آياتٍ كثيرةٍ. وخاطبَ آدمَ فمَن دونَه منَ النبيِّينَ بأسمائِهم، وكذلكَ في الإخبارِ عنهم فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة:٣٥]، و﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ ﴾ [هود:٤٨]، و﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ ﴾ [هود:٧٦]، و﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ ﴾ [الأعراف:١٤٤]، و﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي ﴾ [المائدة:١١٠]، وكذلك غيرُهم منَ الأنبياءِ.

كلُّ أولئكَ خُوطِبوا بأسمائِهم، وأُخبِرَ عنهم بأسمائِهم، وكلُّ موضعٍ ذَكرَ محمدًا ﷺ باسمِه أَضافَ إليه ذِكرَ الرسالةِ، فقال عز مِن قائلٍ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وقال: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح:٢٩]، فسمَّاه ليَعلَم مَن جحدَه أن أمرَه وكِتابَه هو الحقُّ؛ ولأنَّهم لم يَعرِفوه إلَّا بُمحمدٍ، ولو لم يُسمِّه لم يُعلمِ اسمُه من الكِتابِ، وكذلك سائرِ الأنبياءِ لو لم يُسمَّوْا في الكتابِ ما عُرِفَ أسامِيهم، فتَسميةُ الله له محمدًا ﷺ في ذلك كلِّه زيادةٌ في جِلالتِه ونبالتِه ومَهابتِه وشرَفِه؛ لأن اسمَه مُشتقٌّ مِن اسمِ الله عَزَّوَجَلَّ.

ثُم جمعَ في الذِّكرِ بين اسمِ خليلِه ونبيِّه فسمَّى خليلَه باسمِه؛ وكنَّى حبيبَه بالنبوةِ؛ فقال عز مِن قائلٍ: ﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [آل عمران:٦٨]، فكنَّاه إجلالًا له ورفعَه لفضلِ مَرتبتِه ونَباهتِه عِندَه.

ثُم قدَّمه ﷺ في الذِّكرِ على مَن تقدَّمَه في البعثِ فقال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾

[النساء:١٦٣]، وقال: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ﴾ [الأحزاب:٧].

♦ **ومِن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ الناسَ نَهاهمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يُخاطِبوا رسولَه باسمِه، وأَخبرَ عن سائرِ الأُممِ أنهم كانوا يُخاطِبون أنبياءَهم ورُسلَهم بأسمائِهم كقولِهم: ﴿يَـٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَـٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف:١٣٨]، وقولِه: ﴿يَـٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ﴾ [المائدة:١١٢]، فندَبَهم تعالى إلى تَكنيتِه بالنبوةِ والرِّسالةِ ترفيعًا لَمنزلتِه وتَشريفًا لَمرتبتِه، خصَّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بهذه الفَضيلةِ من بين رُسلِه وأَنبيائه.

♦ **ومِن فضائِلِه** ﷺ: أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ فصل مُخاطبتَه من مُخاطبةِ الُمتقدِّمين قبلَه منَ الأنبياءِ تشريفًا له وإجلالًا، وذلك أنَّ غيرَ هذه الأمةِ مِن الأممِ كانوا يَقولون لأَنبيائِهم ورُسلِهم: راعِنا سَمعَكَ. فنهَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الأُمةَ أن يُخاطِبوا رسولَهم بهذِهِ المخاطبةِ الَّتي فيها مغمزٌ وَضَعةٌ، وذمَّهم أن يَسلُكوا به ذلكَ المَسلكَ، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة:١٠٤].

♦ **ومِن فضائِلِه** ﷺ: أن مَن تَقدَّمه منَ الأنبياءِ عليهم السلام كانوا يَدفعون ويَردُّون عن أَنفسِهم ما قذَفتهم به مُكذِّبوهم منَ السفهِ والضلالِ والكذبِ، وتَولَّى اللهُ ذلك عن رسولِه ﷺ، فقال تعالى فيما أخبرَ عن قومِ نوحٍ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأعراف:٦٠]، فقال دافعًا عن نفسِه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ [الأعراف:٦١]، وقال فرعونُ لموسَى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٠١]، فقال موسَى عليه السلام مُجيبًا له: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء:١٠٢]. فنزَّهَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّهُ عن ذلكَ عمَّا نَسَبوه إليه تشريفًا له وتعظيمًا، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم:٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا

عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]، وقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢﴾ [النَّجم:٢]، فبرَّأَه مِن كلِّ ما رمَوْه به منَ السحرِ والكهانةِ والجنونِ.

♦ **ومن فضائِلِه** ﷺ: إقسامُ الله تعالى برسالتِه خصوصًا بقولِه تعالى: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣﴾ [يس:١ - ٣]، بعدَ أن كان مع الرسلِ باسمِ الرسالةِ معمومًا بقولِه تعالى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:٥١]، والرسلُ في هذا البابِ على السواء فكان ذلك غايةَ الفَضيلةِ في المرتبة والمنزلةِ.

♦ **ومن فضائِلِه** ﷺ: أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبرَ عن قتلِ موسَى عليه السلام حين ائْتَمروا على قتله فخرج خائفًا من المدينةِ بالعبارةِ الَّتي موضوعُها عندَ الجفاةِ الجهلةِ ذمٌّ ونقصٌ، فقال عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عنه: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾ [الشعراء:٢١]، وعبارةُ القرآنِ لا يُحمَد عليها الأقوياءُ والعظماءُ، وكان رسولُ الله ﷺ حاله في الائتمارِ بقتلِه حالَ موسى عليه السلام وذلك قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠]، فأمرَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بالخروجِ من مكةَ مهاجرًا، وخرجَ منها محترزًا من مَكرِهم، فكنَّى اللهُ تعالى عن حالِه بأحسنِ العِبارةِ وأضافَ الفعلَ في ذلكَ إليهم فقال عز من قائلٍ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ ...﴾ الآية [محمد:١٣]، وقال تعالى: ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ [الممتحنة:١]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [التوبة:٤٠]، ولم يَذكُرْه بالفرارِ الَّتي هي ضعةٌ ومذمةٌ عند الجهلةِ بمَعنَى كِتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، بل أَخبرَ بالإخراجِ عنِ المُشرِكين وأضافَه إليهم.

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ اللهَ تعالى خاطبَ داودَ عليه السلام بألَّا يَتَّبع الهوَى فقال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، وأَخبرَ عنِ الرسولِ ﷺ بعدَ أن أقسمَ بمَساقطِ النُّجومِ وطوالِعها ونزولِ القرآنِ ومواقِعِه أنه لا يَنطقُ عنِ الهوَى فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [النَّجم:٣]، تَبرئةً له وتَنزيهًا عن مُتابعةِ الهَوى.

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ كلَّ نبيٍّ ذكرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ حالَه؛ وأنه غفرَ له ما كانَ منه، نصَّ عليه، فقال تعالى في قصةِ موسَى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص:٣٣]، وقال: ﴿إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ [القصص:١٦]، فنصَّ على ذنبِه وسألَ ربَّه المَغفرةَ، وأَخبرَ عن داودَ عليه السلام إذ تَسوَّرَ عليه الملكانِ فقال: ﴿إِنَّ هَـٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [ص:٢٣]، فذكرَ الظُّلمَ والبغيَ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص:٢٤]، فقال: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّـٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥]، ونصَّ على زلَلِهم وخَطاياهُم. وأخبرَ تعالى عن غُفرانِ نبيِّه ﷺ ولم يَنصَّ على شيءٍ من زَلَلِـهِ إكرامًا له وتشريفًا، فقال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]، فهذا غايةُ الفضلِ والشرفِ.

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أخذُ اللهِ الميثاقَ على جميعِ أنبيائِه عليهم السلام أن جاءَهُم رسولٌ آمَنوا به ونصَروه فلم يَكُن ليُدرِك أحَدٌ منهم الرَّسولَ إلَّا وجبَ عليه الإيمانُ به والنصرةُ له لأَخذِه الميثاقَ منهم، فجعَلَهم كلهم أَتباعًا له، يَلزمُهم الانقيادُ والطاعةُ له لو أدرَكوه.

♦**ومن فَضائِلِه** ﷺ: أمرُ الله تعالى الناسَ بالتَّأسِّي به فعلًا وقولًا مُطلقًا لم يَستثنِ منها شيئًا، فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، واستَثنَى في التأسِّي بخليلِه إبراهيمَ عليه السلام فقال: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [الممتحنة:٤].

♦**ومِن فضائِلِه** ﷺ: أن فرضَ الله تعالى طاعتَه عليه السلام على العالَمِ فرضًا مُطلقًا لا شرطَ فيه ولا استِثناءَ كما فرضَ طاعتَه تعالى فقالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]، ولم يَقُلْ: مِن طاعتي أو مِن كِتابي أو بأَمري ووَحْيي. بل فرضَ أمرَه ونَهيَه على الخلقِ طُرًّا فرضًا كفرضِ التَّنزيلِ، لا يُرادُّ في ذلك ولا يحاجُّ ولا يُناظرُ ولا يُطالبُ فيه ببيِّنةٍ كما أخبرَ عن قومِ موسَى فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥].

♦**ومِن فَضائله** ﷺ: أنَّ اللهَ تعالى جعَلَه عليه السلام أَوْلى بأُمَّته وبأَموالِهم وبأَنفسِهم وأَهليهم وذراريِّهم منهم بأَنفسِهم، فقالَ تبارك وتعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وقعَ ذلكَ مِنهم بوفاقِهم أو كَراهيتِهم، وحكَمَ على مَن وجَد مِن تَحكيمِه وقَضائِه في نفسِه ومالِه بالخُروجِ من الإيمانِ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [النساء:٦٥].

♦**ومن فضائِلِه** ﷺ: أنَّ اللهَ قرنَ اسمَه باسمِه في كتابِه عندَ ذِكرِ طاعتِه ومَعصيتِه وفرائضِه وأحكامِه ووعدِه ووعيدِه فقال تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩]، وقالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور:٦٢]، وقالَ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٢٤]، وقالَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ

وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء:١٤]، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب:٥٧]، وقالَ: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة:١]، وقالَ: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة:٣]، قرنَ اسمَه باسمِه في كلِّ هذه الأحكامِ والأحوالِ تعظيمًا له وشريفًا.

(٢) ما رُوِيَ في تقديمِ نبوتِه ﷺ قبلَ تمامِ خلقِه آدمَ عليه السلام

١- عن العِرباضِ بنِ ساريةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»(١).

٢- عن أبي هريرةَ، عن رسولِ الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

قال الشيخُ -أسعدَه اللهُ-: كان ﷺ آخرَهم في البعثِ وبه خُتِمتِ النُّبوةُ، وهو السابقُ يومَ القيامةِ؛ لأنه أولُ مَكتوبٍ في النبوةِ والعهدِ، ففي هذا الخبرِ الفضيلةُ العظيمةُ لرسولِ الله ﷺ لِما أَوجبَ اللهُ له النبوةَ قبلَ تَمامِ خلقِ آدمَ عليه السلام الَّذي هو أبو البشرِ، ويُحتملُ أن يكونَ هذا الإيجابُ هو ما أعلمَ اللهُ به ملائكتَه ما سبقَ في عِلمِه وقضائِه من بعثتِه ﷺ في آخرِ الزمانِ، فمَن حازَ هذهِ الفضيلةَ حقَّ له الصبرُ على مواصلةِ الدعوةِ، واحتمالِ الأذيَّةِ ممَّن ردَّها، وإعظامِ من قبِلَها، واستِفراغِ الوسعِ في احتمالِ كل عارضٍ وشدةٍ وبلوَى تعرِضُ دون إقامتِها، إذِ الفضيلةُ سابقةٌ على فضائلِ مَن تقدَّمَه منَ الأنبياءِ في العهدِ المتقدمِ والخلقِ الأولِ.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٨/ ٣٧٩ (١٧١٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٣) فصل في ذِكر فَضيلتِه ﷺ بطيبِ مولدِه وحسَبِه ونسبِه

٣- عن أبي هُريرةَ، أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ»(١).

٤- عن واثلةَ بنِ الأسقع قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ اصطَفَى كِنانةَ مِنْ ولَدِ إِسْماعيلَ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنانةَ، واصْطَفَى هاشِمًا مِنْ قُرَيْشٍ، واصْطَفاني مِنْ بَني هاشِمٍ»(٢).

٥- عنِ العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ قال: قُلتُ: يا رَسولَ الله إن قريشًا جلَسوا فتَذاكَروا أنسابَهم وأَحسابَهم فجعَلوا مثلَك مثلَ نخلةٍ نبَتَتْ في كَبوةٍ منَ الأرضِ. قال: فغضِبَ رسولُ الله ﷺ وقالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ حينَ خَلَقَ الخَلْقَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ خَلْقِهِ، ثُمَّ حينَ خَلَقَ القَبائِلَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ قَبيلِهِمْ، وَحينَ خَلَقَ الْأَنْفُسَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ حينَ خَلَقَ الْبُيُوتَ جَعَلَني مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنا خَيْرُهُمْ بَيْتًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا»(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٦).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٠٧).

(٤) فصل في ذِكر فَضيلةِ النَّبيِّ ﷺ بأسمائه

٦- عن جُبيرِ بنِ مُطعم قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لي أَسْماءً، أَنا مُحَمَّدٌ، وَأَنا أَحْمَدُ، وَأَنا الماحِي الَّذِي يُمْحَى بي الْكُفْرُ، وَأَنا الحاشِرُ الَّذي يُحْشَرُ الناسُ عَلى قَدَمي، وَأَنا العاقِبُ الَّذي لا نَبِيَّ بَعْدِي»[(١)].

٧- عن أبي مُوسَى قال: سمَّى لَنا رسولُ الله ﷺ نفسَه أسماءً، منها ما حفِظْنا، قال: «أَنا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالحاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ»[(٢)].

٨- عن عوفِ بنِ مالكٍ قالَ: انطلقَ النبيُّ ﷺ ذاتَ يومٍ وأنا معَه حتَّى دخَلْنا كنيسةَ اليهودِ يومَ عيدِهم وكرِهوا دخولَنا عليهم؛ فقال لهمُ النبيُّ ﷺ: «يا مَعْشَرَ اليَهودِ: وَاللهِ لَأَنا الحاشِرُ، وَأَنا العاقِبُ، وَأَنا الْمُقَفِّي، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنا مَعَهُ»[(٣)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختلفتِ الرواياتُ في أعدادِ هذه الأسماءِ، وذلكَ لا يُوجبُ تَضادًّا، فإن هذا كقولِ القائلِ: لي عشَرةُ دراهمَ. فإذا أقرَّ بعشَرةٍ فما دونَ العشَرةِ له أيضًا، ثُم يُقال لصاحبِ العشَرةِ: أَمَعَكَ خمسةٌ؟ فيقولُ: معي خَمسةٌ. ولا يَكون هذا نفيًا للزيادةِ عليها، ويجوزُ أن يكونَ النبيُّ ﷺ قد ذكرَ الأسماءَ العشرةَ فحفِظها بعضُ الصحابةِ وذهبَ عن بعضِهم بعضُ الأسامي، فالأسماءُ العشَرةُ قد كملَت وحصَلَت، وإنِ اختَلَفَتِ الرواةُ في رِواياتِهم، وهو محمدٌ وأحمدُ والحاشِرُ والماحي والخاتَمُ والعاقبُ والمُقفِّي ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الرحمةِ ونبيُّ المَلحمةِ، وذكرَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٣) أخرجه أحمد ٣٩/ ٤٠٩ (٢٣٩٨٤).

أبو الطفيلِ في رِوايتِه الفاتحَ وأبا القاسِمِ، فهذه اثنا عشرَ، وأدخلَ بعضُ الناسِ في أعدادها المُتوكِّلَ.

٩- عن عطاءِ بنِ يسارٍ قال: لقيتُ عبدَ الله بنَ عمرِو بنِ العاصِ فقُلتُ: أَخبِرْني عن صِفةِ رسولِ الله ﷺ، فقال: أجَلْ والله، إنَّه لموصوفٌ في التوراةِ كصِفتِه في القرآنِ، يأيُّها النبيُّ، إنا أَرسَلْناكَ شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وحِرزًا للأُمِّيِّين، أنتَ عبدي ورَسولي، سمَّيْتُكَ المُتوكلَ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سَخابٍ في الأسواقِ، ولا يَجزِي بالسيئةِ السيئةَ، ولكن يَعفو ويَصفحُ، ولن أَقبضكَ حتَّى أُقيمَ بكَ الملةَ العَوجاءَ، بأن يَقولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ. فيَفتح به قلوبًا غلفًا وآذانًا صُمًّا وأعينًا عُميًا[١].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأمَّا تعدادُ مَن عَدَّ (طه) و(يس) في الأسماءِ فذهبَ إلى ما قاله بعضُ أهلِ التفسيرِ أن معنَى (طه): يا رجلُ، وأن (يس) مَعناها: يا إنسانُ، فلم يُؤثَرْ عنِ النبيِّ ﷺ فيما أعلمُ في هذا شيءٌ.

وممَّا يَتضمَّن اسمُه الماحي والحاشرُ ونبيُّ الرحمةِ ونبيُّ المَلحمةِ معاني لطيفة وفوائد جليلة:

فإن الماحيَ إذا أُجريَ على اللفظِ المُفسَّر في الخبرِ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَمحو به الكفرَ، كان ذلك دَلالةً وبشارةً بكثرةِ الفُتوحِ وانتشارِ ضياءِ الإسلامِ في الأَرَضين، وصفحتَيْها شرقًا وغربًا، وأن سُلطانَ الإسلامِ يَكون غالبًا، وسُلطانَ الكفرِ دارسًا عافيًا، وذلك يرجعُ إلى مَعنَى قوله تعالى: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]،

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٢٥)

وليسَ معنَى المحوِ أن يُحسَم الكفرُ أصلًا حتَّى لا يُوجَد في الأرضِ كافرٌ، بل معناهُ أن يَكونوا مَقهورِين باعتِلاءِ المُسلِمين عليهم حتَّى تَكون الأقضيةُ والأحكامُ والحَلُّ والعقدُ للمُسلمين دونَهُم، وأن الكفارَ مَغمورون خامِلو الذِّكرِ ساقِطو الصِّيتِ والكلامِ، إمَّا لذِمةٍ عقِدَت عليهم بصَغارِ الجزيةِ، وإمَّا لخوفِهم من سُيوفِ الإسلامِ فيهم غزوًا وجهادًا. ومثلُ هذا الكلامِ شائعٌ بين أهلِ اللِّسانِ والبيانِ: أن معنى المحوِ مَرجعُه إلى الخمولِ والكتمانِ، ويُريدون بالمحوِ سُقوطَه وخمولَه لظُهورِ العالين والقاهِرين عليهم.

ومعنى المحوِ وإن أُضيفَ إليه ﷺ فلإجراءِ الله ذلك على يَدَيْه فأُضيفَ إليه كما أن الهدايةَ مُضافةٌ إليه والهادي هو اللهُ، فكذلكَ الماحي في الحَقيقةِ هو اللهُ تعالى القاهرُ، فأَضافَ ذلك إلى الرسولِ ﷺ إذ جرَى ذلكَ على يدِه بتَمكينِ الله تعالى له، وتَسليطِه على مَن كذبَه وجحَدَه، وهذه بشارةٌ قد تَحقَّق صدقُه فيها بظهورِ المُسلِمين وعُلوِّهم على مَن خالَفَهم فتَحقَّقتِ الدَّلالةُ، ولله الحمدُ.

ومعنَى الحاشِر على ما رُوِيَ في الخبرِ أنه يُحشرُ الناسُ على قدمَيْه، أي: لا نبوةَ بعدَه؛ فإن شَريعتَه عليه السلام قائمةٌ ثابتةٌ إلى قيامِ الساعةِ اهتَدَى بها مَنِ اهتَدَى، أو ضلَّ عنها مَن ضلَّ.

ومعنَى نَبيِّ الرحمةِ مثل قولِه: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»، فبِعثتُه مِن الله عَزَّوَجَلَّ رحمةٌ، هدَى بها مَن شاءَ رحمتَه وهُداهُ، وسمِّيَ رحمةً كالمطَرِ المُسمَّى رحمةً؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَرحَمُ عبادَه بالمطرِ فيَسوق إليهم بالمطرِ الخيراتِ، ويُوسِّع عليهم بها النباتَ والأقواتَ، ولا يُوجبُ هذا الاسمُ أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ رحمَ به كلَّ المَدعوِّين من عِبادِه،

وذلك أن ما يُجرِي اللهُ على لسانِه منَ الدعاءِ والبيانِ وإنْ كان رحمةً فصورتُه كعَطيةٍ، مَن قبِلَها فازَ بنَفْعها، ومَن ترَكها ورَدَّها حرِمَ نفعَها ووقعَ عليه العِقابُ.

ومعنَى نبيِّ **المَلحمةِ** فهو إعلامٌ مِنه بما يَكونُ بعدَه وفي زمانِه منَ الحروبِ والجهادِ والقتلِ والسباءِ.

ومعنَى الرحمةِ في إرسالِه ﷺ أن اللهَ تعالى لم يَجعَلْ مُعجِزَته ودلائِلَه ﷺ كدلائلِ الماضين قبلَه منَ الأنبياءِ، وذلك أن الماضين منَ الأُممِ كانوا يَقتَرِحون على أنبيائِهم ويَتحكَّمون عليهم بالآياتِ على حسبِ شهوتِهم واقتراحِهم، فكانَ دأَبُ الله تعالى فيهم الاصطلامُ إذ لم يُؤمِنوا بها، كقَوْله تعالى لَمَّا اقتَرَحوا على عيسَى عليه السلام المائدةَ فقال اللهُ تعالى: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا﴾ الآية [المائدة:١١٥]، فاقتَدَى بهمُ المُشرِكون فسأَلوا النبيَّ ﷺ الآياتِ اقتراحًا وتَحكُّمًا، كقولِهِمْ: اجعَلِ الصَّفا لنا ذهبًا، وأَحيِ لنا قُصيًّا، وسيِّرْ جبالَنا لتَتَسِعَ مزارعُنا، وأْتِنا بالمَلائكةِ إن كنتَ منَ الصادِقين، وأَنزِلْ علينا كِتابًا نَقرؤُه، فأنزلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رادًّا عليهم: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١]، وقال: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾ [الحجر:٨].

فجعلَ اللهُ تعالى لرحمتِه بهمُ الآيةَ الباقيةَ مدَّةَ الدُّنيا له ﷺ القرآنَ المعجزَ، وتَحدَّى به أربابَ اللغةِ واللسانِ أن يَأتوا بمِثلِه أو بسُورةٍ أو بآيةٍ مثله، فباؤُوا بالعجزِ عن معارضتِه مع تَمكُّنهم من أصنافِ الكلامِ نَظمًا ونثرًا ورجَزًا وسجعًا، فكان القرآنُ مُعجزةً له ﷺ كإبراءِ الأكمَهِ وإحياءِ الموتَى لعِيسَى مع تَقدُّمِ قومِه

بصناعةِ الطبِّ، وكقلبِ العَصا حيَّةً لموسَى عليه السلام، وفلقِ البحرِ، معَ تمكُّن قومِ فِرعونَ وحذقِهم بالسحرِ، فكانَ مِن رحمةِ الله تعالى لهذه الأمةِ أن جعلَ أظهرَ دلائلِ نبوَّةِ نبيِّنا ﷺ القرآنَ الَّذي يُعلَم صدقُه بالاستدلالِ الَّذي يُعرَض فيه الشُّبهُ والشكوكُ، لا كي لا يُستأصَل ويُصطلَم المُنكِرون له كما استُؤصِلَ قومُ صالحٍ لَمَّا كفَروا بالناقةِ، وقومُ موسى بانفِلاقِ البحرِ، وتَلقُّف العَصا حبالَهم وعِصيَّهم.

وإلى هذا المعنَى يَرجِع قولُه تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفًا ۝٥٩﴾ [الإسراء:٥٩]، المَعنَى: أن إرادتَنا لاستِبقاءِ المُقتَرحين للإيمانِ منَعَنا من إرسالِ الآياتِ الَّتي اقترَحوا بها لعِلْمنا أنا نُخرجُ من أَصلابِهم مَن يُؤمنُ، وأن مِنهم مَن سبَقَ له مِنَّا الرحمةُ بالإيمانِ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةً وَذِكۡرَىٰ﴾ [العنكبوت:٥١]، فدعاهُم إلى التفكرِ والتذكرِ في القرآنِ الَّذي هو من جِنسِ ما يَعرِفونه ويَتعاطَوْنه منَ الفَصاحةِ والبيانِ.

فبانَ بهذا وجهُ الرحمةِ في تسميةِ الله رسولَه ﷺ نبيَّ الرحمةِ ونبيَّ المَلحمةِ والحاشرَ، وأن الكتابَ المعجزَ باقٍ عندَهم بقاءَ الدهرِ، كما قالَ تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام:١٩]، فمَن بلَغَه وقبلَ فازَ ونجا، ومَن ردَّه وكذَّبَ به قوتِلَ ونصبَ بينَه القتالُ والمَلحمةَ حتَّى ينقادَ لشريعتِه أو يقتلَ لسوءِ اختيارِه، فتتمُّ الرحمةُ بهذه المعاملةِ، ويعرفُ فضلُ هذه الأمةِ على غيرِها منَ الأممِ بإزالةِ الاستِئْصالِ والاصطِلامِ عنهمُ الواقعة بغيرِها منَ الماضين منَ الأممِ.

(٥) فصل في ذِكر الفضيلةِ الرابعةِ بإقسامِ اللهِ تعالى بحياتِه

١٠- عنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: ما خلقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وما ذرَأ نفسًا أكرمَ عليه من مُحمدٍ ﷺ، وما سمِعت اللهَ عَزَّوَجَلَّ أقسمَ بحياةِ أحدٍ إلَّا بحياتِه، فقال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٢﴾ [الحجر:٧٢][1].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمعنَى في هذا القسمِ أن المتعارفَ بينَ العُقلاءِ أن الأقسامَ لا تقعُ إلَّا على المُعظَّمين والمُبجَّلين والمُكرَّمين، فتبيَّنَ بهذا جلالةُ الرسولِ ﷺ، وتعظيمُ أمرِه، وما شرعَ اللهُ تعالى على لسانِه منَ الشرائعِ، وتَنبيه عبادِه على وحدانيَّتِه ودعائِه إلى الإيمانِ به، وعرِفَتْ جلالةُ نبوَّتِه ورسالتِه بالقسَمِ الواقعِ على حياتِه إذ هو أعزُّ البريَّةِ وأكرمُ الخليقةِ صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه.

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٩٣٤)، والطبري في «تفسيره» ١٤/ ٩١.

(٦) ذِكرُ إخبارِ النبيِّ ﷺ بتَفرُّدِه بالسيادةِ يومَ القيامةِ على جميعِ الأنبياءِ والمُرسَلين، وأن آدمَ عليه السلام ومَن دونَه تحتَ لوائِه

١١- عن أبي هُريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «أَنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القِيامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ، وَأَنا صاحِبُ لِواءِ الحَمْدِ بِيَدِي وَلا فَخْرَ، وَأَنا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ وَلا فَخْرَ، آخُذُ بِحَلْقَةِ بابِ الجَنَّةِ فَيُؤْذَنُ لِي فَيَسْتَقْبِلُني وَجْهُ الجَبَّارِ تَعالى وَتَقَدَّسَ؛ فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقولُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ. فَأَقُولُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»[(١)].

١٢- عن أنسِ بنِ مالِكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَنا أَوَّلُ مَنْ تَنْفَلِقُ الْأَرْضُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ جُمْجُمَتِهِ وَلا فَخْرَ، وَأَنا سَيِّدُ الناسِ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَمَعِي لِواءُ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ وَلا فَخْرَ، وَأَنا أَوَّلُ مَنْ تُفْتَحُ لَهُ أَبْوابُ الجَنَّةِ وَلا فَخْرَ، فَآتِي فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بابِ الجَنَّةِ. فَيُقالُ: مَنْ هَذَا؟ فَأَقولُ: مُحَمَّدٌ. فَيُفْتَحُ، فَيَسْتَقْبِلُني الجَبَّارُ عَزَّوَجَلَّ، فَأَخِرُّ لَهُ ساجِدًا، فَيَقولُ: يا مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَه»[(٢)].

١٣- عن جابِرٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَنا قائِدُ الْمُرْسَلِينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنا خاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلا فَخْرَ، وَأَنا شافِعٌ وَمُشَفَّعٌ وَلا فَخْرَ»[(٣)].

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» ١/ ٢٢٧ (١٨٤)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (١٥٥)، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٠، ٢٧١).

(٢) أخرجه أحمد ١٩/ ٤٥١ (١٢٤٦٩)، وأصله في البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه الدارمي (٥٠)، والطبراني في «الأوسط» (١٧٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٩٢).

١٤- عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ صاحِبَكُمْ لَصاحِبُ لِواءِ الْحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ وَلا فَخْرَ، تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ**»[(١)].

١٥- عن أبي هُريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الآخِرَةِ، فَإِذَا مُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالعَرْشِ فَلا أَدْرِي أَكَذَلِكَ كانَ أَوْ بَعْدَ النَّفْخَةِ**»[(٢)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه الأخبارُ وما يُجانِسُها في الشفاعةِ، وإحالةُ آدمَ فمَن دونَه منَ الأنبياءِ عليهم السلام في الشفاعةِ عليه كلُّها داخِلةٌ في مَرتبةِ النبيِّ ﷺ ومنزلتِه ورِفعتِه عندَ ربِّه تعالى؛ لأنَّ النُّبوةَ لا يُخَصُّ بها إلَّا المُنتَخَبين منَ الأُممِ وذوي الأخطارِ العَظيمةِ والمناقبِ الرَّفيعةِ، فإذا كان سائرُ الأنبياءِ عليهم السلام يَدفَعون عن أَنفُسِهم التَّشفُّعَ والمَسألةَ ويُحيلون بها على مُحمَّدٍ ﷺ بان فضلُه وعلوُّ مَرتبتِه على مَراتِبِهم، وفي تعريفِ هذه المنزلةِ وإن لم تَكُنْ في نفسِها معجزةً تَحثيثٌ للمَدعوِّين إلى التصديقِ به، وتَثبيتٌ للمُؤمِنين به، فإن اللهَ تعالى وضعَ نبيَّه في أعلى المَراتِبِ وأشرفِ المَناقبِ؛ لتكونَ القلوبُ مُقبلةً على قَبولِه، والنفوسُ مُسرعةً إلى طاعتِه ﷺ، هذا له معَ ما خصَّه اللهُ به منَ الخصالِ الَّتي لم تُعطَ لمَنْ تَقدَّمَه منَ النَّبيِّين والمُرسَلين صلواتُ الله عليه وعليهم من المنافعِ البَهيَّةِ والمرافعِ السَّنيةِ.

١٦- عن جابرِ بنِ عبدِ الله قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُعْطيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطِهِنَّ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **أَحَدًا قَبْلي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسيرَةَ شَهْرٍ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلي، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهورًا، فَأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتي أَدْرَكَتْهُ**

---

(١) أخرجه البزار ١٤/ ٣٩٣ (٨١٣٣)، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» ٤/ ٨٦٣ (١٤٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٣).

الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ، وَأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، وَكانَ النَّبيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى الناسِ عامَّةً»[(١)].

١٧- عن أبي هُريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلامِ، وَبَيْنا أَنا نائِمٌ جِيءَ بِمَفاتِيحِ خَزائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ في يَدِي».

قال أبو هُريرةَ: لقَدْ ذهبَ رسولُ الله ﷺ وَأَنْتُمْ تَنْتَثِلونَها[(٢)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما جعلَ اللهُ تعالى لنبيِّه عليه السلام مِن هذِه الخصالِ الحَميدةِ خَصائصَ له خاصةً، وبِشارةً لأُمَّته، وتكريمًا لهم، فخصَّ نبيَّه بجوامعِ الكلِمِ؛ لئَلَّا يَجِدَ مُلحِدٌ إلى تبديلِه وتغييرِه سبيلًا، وخصَّ أُمتَه بالحفظِ له ليَكونَ محَفوظًا لكَبيرِهم وصغيرِهم فتكون حُجَّةُ الله تعالى باقيةً إلى يومِ القيامةِ، وما أُتِيَ به من مفاتيحِ خزائنِ الأرضِ بِشارةٌ منه لأُمتِه بما يَفتحُ اللهُ عليهم منَ المُدُنِ ويَحصُلُ لهم منَ الغنائمِ، وأن سُلطانَه عليه السلام، ومُلكَ أمتِه يَستفيضُ ويَنتشرُ في كلِّ مَن يُخالِفُه ويُكذِّبُه منَ العبادِ والملوكِ، لقهرِ الله لهم، وتَمكينِ عبادِه من رِقابِهم وبلادِهم.

ومِن إكرامِ الله تعالى له ﷺ أن فضَّلَ أمَّتَه على سائرِ الأممِ كما فضَّلَه على سائرِ الأنبياءِ، وكما أنه تعالى فاتحَ نبيَّه عليه السلام بالعَطيةِ قبلَ المسألةِ، كذلك أُمَّته أفضلُ العَطيةِ قبلَ المسألةِ إعظامًا له وإكرامًا ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٧) فصل في ذِكره ﷺ في الكتب المُتقدمة، والصحف السالفةِ المدونة عن الأنبياءِ والعلماء من الأمم الماضية، وذِكرُه عند ملوك البلدان وفارسَ والروم، وتوقعهم لإرساله وبعثتِه

١٨- عن سلمة بن سلامَة، قال: كان لنا جارٌ يهودي في بني عبد الأشهلِ قال: فخرج علينا يومًا من بيتِه، وذلك قبل مَبعث النبي ﷺ بيسيرٍ، حتى وقف على مَجلسِ بني عبد الأشهلِ، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدَثُ مَن فيه سِنًّا، عليَّ بردةٌ لي، مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر البعثَ والقيامة والحسابَ والميزان والجنةَ والنار.

قال ذلك لقومٍ أهلِ شرك أصحابِ أوثانٍ، لا يرونَ أن بعثًا كائنٌ بعد الموت فقالوا: ويحكَ! وتكون دار فيها جنةٌ ونارٌ، يُجزون فيها بأعمالهم؟

قال: نعم، والذي أحلِف به، وَلَوَدَّ أن حظَّه من تلك النار أن يوقِدوا أعظم تنور في هذه الدار يحمونَه، ثم يُدخلونه إياه، فيُطبقون عليه، ثم ينجو من تلك النار غدًا.

قالوا: ويحكَ! وما آية ذلك؟

قال: نبي يُبعث من هذه البلاد وأشارَ بيده نحوَ مكةَ واليمنِ.

قالوا: فمتى تراه؟

فرمى بطرفِه فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي، وأنا أحدَثُ القوم سِنًّا، فقال: إن يَستنفد هذا الغلام عمرَه يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهبَ الليل والنهار حتى بَعث الله نبيَّه ﷺ، وهو حي بين أظهُرنا، فآمنا به وكَفَرَ به بغيًا وحسدًا.

فقلنا له: ويلَك يا فلان، ألست الذي قلتَ لنا فيه ما قُلتَ؟!

قال: بلى، ولكن ليس به[١].

١٩- عن عاصم بن عمرَ بن قَتادةَ، عن شيخٍ من بني قُريظة قال: هل تدري عَلامَ كان إسلامُ ثَعلبةَ بن سَعْية وأُسيد بن سَعْية وأسد بن عُبيد نفرٍ من بني ذُهل -ليسوا من بني قُريظة ولا من بني نضير، نضير نسبُهم فوق ذلك من بني ذُهل أو هُذيل- أتوه بنو قُريظةَ كانوا معهم في جاهليتِهم، ثم كانوا سادتَهم في الإسلامِ.

قال: قلتُ: لا.

قال: فإن رجُلًا من يهودِ أهل الشام يُقال له: ابن الهَيبان، قدم علينا قبل الإسلام بسنواتٍ، فحلَّ بين أظهُرنا، والله ما رأينا رجُلًا قط لا يصلي الخَمس أفضل منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قَحط المطر، قلنا له: اخرُج يا ابن الهَيبان فاستسق.

فيقول: لا والله حتى تقدِّموا بين يدي مَخرجِكم صدقةً.

فيقولون: كم؟

فيقول: صاعٌ من تمر، أو مُدَّان من شعيرٍ عن كل إنسان.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٥/ ١٦٤ (١٥٨٤١).

قال: فنُخرجها، فيخرج بنا إلى ظاهر حرَّتنا، فيستسقي لنا، فوالله ما يَبرح مجلسه حتى يمرَّ السحاب والشِّراجُ[(١)] سائلة، فنُسقى به، فعل ذلك غيرَ مرة ولا مرتين ولا ثلاثًا.

قال: ثم حضرَته الوفاة، فلما عرَف أنه ميتٌ، قال: يا معشرَ يهود، ما ترونه أخرجني من أرضِ الخمرِ والخمير إلى أرضِ الجُوع والبؤس؟

قال: قلنا: الله أعلمُ.

قال: فإني قدِمت هذا البلد أتوكَّفُ خروج نبي قد أظلَّ زمانُه، هذه البلدة مُهاجرُه، فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعه فلا يسبقنَّكم إليه يا معاشر يهود أحدٌ، فإنه يبعث بسفك الدماءِ وسبي الذراري والنساء ممن خالفَه، فلا يمنعنَّكم ذلك منه.

فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصرَ بني قُريظة، قال هؤلاء الفِتية -وكانوا شبانا أحداثا-: يا بني قُريظةَ، والله إنه النبي الذي عهِد إليكم فيه ابنُ الهَيبان.

فقالوا: ليس به.

فقالوا: بَلى والله، إنه لهو بِصفته، فنزلوا فأسلموا وأحرزوا دماءَهم وأموالَهم وأهاليهم[(٢)].

---

(١) الشِّراج: جمع شرجة وهي: مسيل الماء من الحرة إلى السهل.

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٨٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٩/ ١٩٢.

٢٠- عن عاصم بن عمرَ بن قَتادة عن أشياخٍ منهم قال: قالوا: فينا والله وفيهم نزلَت هذه القصة: كنا قد عَلوناهم ظهرًا في الجاهليةِ، ونحن أهلُ شركٍ، وهم أهلُ كتابٍ، فكانوا يقولون: إن نبيًّا يُبعث الآن نتَّبعه، قد أظلَّ زمانُه، نقتلُكم معه قتل عاد وإرم، فلما بَعث الله رسولَه من قريش واتَّبعناه كفروا به، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٨٩ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠][1].

٢١- عن عليٍّ الأزديِّ وهو البارقي، في قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية [البقرة: ٨٩]: اليهود كانوا يقولون: اللهم ابعثْ هذا النبي يحكُمُ بيننا وبين الناس، ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يستكبرون على الناسِ[2].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ونعوتُه وصفاتُه ﷺ من الكتب المنزلةِ، وعند الرهابنةِ والأساقفةِ والأحبار من أهلِ الكتابَيْنِ مستفيضٌ، وكانوا يَرجعون في أمر بِعثته، وإرسالِه إلى علمٍ متيقَّنٍ كالضروريِّ لتبشيرِ الأنبياءِ صلوات الله عليهم به، وبإرسالِه وإيصائِهم أمتَهم بتصديقِه إن أدركَتهُ، وما كانت في أيديهم من الكتبِ والعهود المتقدمة المتوارَثةِ عن آبائهم، وأسلافِهم.

٢٢- عن مطرِّف بن مالك قال: شهدتُ فتح تُستَرَ مع الأشعري، فأصبنا قبرَ دانيال عليه السلام بالسُّوس، وكانوا إذا استسقوا خرجوا فاستسقوا به، قال: فأصبنا معه ستِّين جرَّةً مختَّمةً، ففتحنا جرة من أدناها، وجرَّةً من أوسطها، وجرة من أقصاها، فوجدنا في كل جرة عشرةَ آلاف.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢/ ٢٣٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٧٦.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» ٢/ ٢٣٨، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٥٧.

قال همَّام: لا أُراه إلا قال: عشرةَ آلاف وافٍ، قال: وأصبنا معه رِيطتينِ[١] من كتانٍ، قال: وأصبنا معه رَبعةً[٢] فيها كتاب، قال: وأول من وقعَ عليه رجل من بَلْعنبرَ يُقال له: حُرقوص، قال: فأعطى الأشعريَّ الرِّيطتين وأعطاه مئتي درهم، ثم إن الأشعريَّ طلبَ إليه أن يرد إليه الرِّيطتينِ فأبى أن يردها وشَقَّها عمائمَ بين أصحابه، وكان معنا أجيرٌ نصرانيٌّ يُسمى: نُعيمًا، فقال: تبيعونني هذه الرَّبعة بما فيها؟

قالوا: إن لم يكن فيها ذهبٌ أو فضةٌ أو كتاب الله.

قال: فإن فيها كتاب الله.

قال: فكرهوا أن يَبيعوا الكتاب.

قال: فبعناه الرَّبعة بدرهمين، ووهبنا له الكتابَ.

قال قتادة: فمِن ثَمَّ كُره بيعُ المصاحف؛ لأن الأشعري وأصحابَه كرهوا بيع ذلك الكتاب، قال: فبدا لي بعد أن آتِي بيتَ المقدس.

قال: فبينا أنا بقَيَّاض، وقال عفان: يُقال: بقناص، وإذا أنا براكبٍ أشبَهُ بالأجيرِ الذي كان معنا.

قلت: أنُعيم أنت؟

قال: نعم.

---

(١) (رِيطتَينِ) الرِّيطَة: بكسر الراء، جمع رَيطة بفتحها، وهي الملاءة الرقيقة اللينة من الكتان لا تكون لفقتين، بل تكون قطعة واحدة.

(٢) (رَبعَة): إناء مربع كالجونة.

قلت: ما صنعتَ في نصرانيَّتك؟

قال: تحنَّفت، وبدا لي أن آتيَ بيتَ المقدس.

قلت: فإني أصحبُك.

قال: فانطلقنا ثلاثا حتى قدمنا دمشقَ، فلقينا كعبا.

قال: إذا دخلتَ المسجدَ فاجعل الصخرةَ بينك وبين القبلَة، فانطلقنا ثلاثَتُنا إلى أبي الدرداءِ فدخلنا عليه، فقالت أمُّ الدرداءِ لكعبٍ: ألا تعدِّيني على أخيك، إنه يقومُ الليلَ ويصومُ النهارَ، قال: فقضى لها أن يؤاكلَها من كلِّ ثلاثة أيام يومًا، ومن كل ثلاثِ ليالٍ ليلةً، قال: فانطلقنا ثلاثَتُنا إلى بيت المقدسِ، فلما سمعت أحبارُ يهود بنُعيم وكعب أقبلوا إليهما.

قال كعب: هذا كتابٌ قديمٌ فاقرؤوه.

قال: فجعل قارئٌ لهم يقرأُ حتى أتى آخرَ حرف فيه، قال: فضربَ به الأرضَ، فغضب نُعيم وأخذ الكتابَ فقال: هذا كتابٌ قد بَلِي، فلا أدعكم تقرؤونه، فلم يزالوا به حتى رضِيَ أن يُمسكهُ في حجره ويقرؤونه هم، فأتوا على ذلك الحرفِ، فإذا فيه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، فأسلمَ منهم يومئذ اثنان وأربعون حَبرًا.

قال: وذلك في خلافةِ معاويةَ، فألحقهم وأعطاهُم[(١)].

٢٣- عن الفَلَتانِ بن عاصمٍ قال: كنا قُعودًا مع النبي ﷺ في المسجد، فشخَص بصرُه إلى رجل يمشي في المسجدِ، فقال: «**أفلانٌ؟**»

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٨/ ٣٠٦ (٣٤٥١٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ٣٩٠.

قال: لبيك يا رسولَ الله، ولا يُنازعه الكلامَ إلا قال: يا رسولَ الله.

فقال له النبيُّ ﷺ: «**أتشهدُ أني رسولُ الله؟**»

قال: لا.

قال: «**تقرأُه في التوراةِ؟**»

قال: نعم.

قال: «**والإنجيلِ؟**»

قال: نعم.

قال: «**والقرآنِ؟**»

قال: لا.

قال: «**والذي نفسي بيده لو تشاء لقرأتَه.**»

قال: ثم ناشده: هل تجدُني في التوراةِ والإنجيلِ؟

فقال: سأحدثك مَثلَك ومثلَ هيئتِك ومخرَجِك، وكنا نرجو أن تكونَ منا، فلما خرجت تخوَّفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فإذا ليسَ هو أنت.

قال: «**فلم ذلك؟**»

قال: إن معه من أُمتِهِ سبعين ألفا ليس عليهم حِسابٌ ولا عذابٌ، إنما معك نفرٌ يسيرٌ.

قال: «**فوالذي نفسي بيده لأنا هو، إنهم لأُمتي، وإنهم لأَكثرُ من سبعين ألفا وسبعين ألفا**»[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا الحديثُ وإن كان في وقتِه وعهدِه ﷺ، خارجًا عن صفةِ أمتِهِ بالكثرةِ عن كتبِهم، ففي إخبارِه ﷺ بما يؤولُ إليه أمرُهُ من كثرةِ أتباعِهِ وأمَّتِهِ في وقتٍ آخرَ دليلٌ كافٍ، وذلك أنه قد وُجِدَ على ما أخبرَ به. ولله الحمد.

٢٤- قال عبدُ الله بن سلَام: إن الله لما أراد هُدى زيدِ بن سَعية قال زيد بن سَعية: إنه لم يبقَ من علامات النبوةِ شيءٌ، إلا وقد عرفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يَسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيدُه شدةُ الجهل عليه إلا حلمًا، فكنت أتلطفُ له لأنْ أخالطه فأعرف حلمَه وجهلَه.

قال: فخرج رسولُ الله ﷺ يومًا من الحُجرات، ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجلٌ على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسولَ الله، إن قرية بني فلان قد أسلموا، ودخلوا في الإسلامِ، فكنت حدثتُهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزقُ رغدًا وقد أصابتهم سَنة وشدة وقحوطٌ من الغيث، وأنا أخشى يا رسولَ الله أن يَخرجوا من الإسلام طَمعًا كما دخلوا فيه طمعًا، فإن رأيتَ أن ترسلَ إليهم بشيء تُعينهم به فعلتَ.

قال: فنظرَ رسولُ الله ﷺ إلى رجل إلى جانبه -أُراه عليًّا-، فقال: ما بَقي منه شيء يا رسولَ الله.

---

(١) أخرجه البزار ٩/ ١٤٤ (٣٧٠٠)، وابن حبان ١٤/ ٥٤١ (٦٥٨٠)، والطبراني في «الكبير» ١٨/ ٣٣٢- ٣٣٤، (٨٥٤، ٨٥٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٣٦.

قال زيد بن سَعية: فدنوت إليه، فقلتُ له: يا محمدُ، هل لك أن تَبيعني تمرًا معلومًا من حائطِ بني فلان إلى أجَل كذا وكذا؟

فقال: «**لا يا يهودي، ولكن أبيعُك تمرًا معلومًا إلى أجل كذا وكذا، ولا أسمِّي حائطَ بني فلان**».

قال: فقلت: نعم، فبايَعني، فأطلقت هِمياني[١]، فأعطيته ثمانين مِثقالًا من ذهبٍ في تمر معلوم إلى أجَل كذا وكذا، فأعطى الرجلَ، وقال: «**أعجِل عليهم وأغِثهم بها**».

قال زيد بن سَعية: فلما كان قَبل محلِّ الأجل بيَومين أو ثلاثة، خرج رسولُ الله ﷺ في جَنازةِ رجل من الأنصارِ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان في نفرٍ من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما صلَّى على الجَنازة ودنا من جدارٍ ليجلسَ إليه أتيته فأخذتُ بمَجامعِ قميصه وردائه، ونظرتُ إليه بوجه غليظٍ.

ثم قلت: ألا تَقضيني يا محمدُ حقِّي، فوالله ما علمتُكم بني عبد المطلبِ لُمطل، ولقد كان لي بمخالطتِكم علمٌ.

قال: ونظرتُ إلى عمرَ بن الخطابِ، وعيناه تَدوران في وجهِه كالفَلك المستديرِ، ثم رماني ببصرِه.

قال: أيْ عدوَّ الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمعُ، وتفعل به ما أرى؟! فوالذي بعثَه بالحقِّ لولا ما أحاذر فوتَهُ لضربت بسيفي رأسكَ.

ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكونٍ وتُؤدة وتبسم.

---

(١) (هِميَاني) الهميان: تِكَّة السراويل.

ثم قال: **«أنا وهو كنا أحوجَ إلى غيرِ هذا منك يا عمر: أن تأمرَني بحُسنِ الأداءِ، وتأمرَه بحسنِ التباعة، اذهب به يا عمرُ، فاقضِه حقَّه، وزِده عشرين صاعًا من تمر مكان ما رُعته»**.

قال زيد: فذهب بي عمر، فقضاني حقِّي وزادني عِشرين صاعًا من تمر.

فقلت: ما هذه الزِّيادة؟

فقال: أمرَني رسولُ الله ﷺ أن أزيدَك مكان ما رُعتك.

فقلت: أتعرفُني يا عمرُ؟

قال: لا، فمن أنت؟

قلت: أنا زيد بن سَعية.

قال: الحَبر؟

قلت: الحبر.

قال: فما دعاك أن تقولَ لرسولِ الله ﷺ ما قلتَ، وتفعل به ما فعلتَ؟

قلت: يا عمرُ كلُّ علامات النبوة قد عَرفتُ في وجه رسولِ الله ﷺ حين نظرتُ إليه، إلا اثنتين، لم أُخبرهما منه: يَسبق حلمُه جهلَه، ولا يزيدُه شدةُ الجهلِ عليه إلا حِلمًا فقد اختبرتُهما، فأشهدُك يا عمر أني قد رضِيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وأشهدك أن شطرَ مالي -فإني أكثرُها مالا- صدقةً على أُمة محمدٍ ﷺ.

فقال عمرُ: أو على بعضِهم، فإنك لا تَسعُهم كلَّهم؟

قلت: أو على بعضِهم.

قال: فرجَع عمرُ وزيدٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال زيدٌ: أشهدُ ألا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسولُه، فآمن به وصدَّقه وتابَعَهُ، وشهِد مع رسولِ الله ﷺ مَشاهدَ كثيرة، ثم تُوفي في غزوة تبوك مُقبلًا غير مدبرٍ، رحمَ الله زيدًا[(١)].

٢٥- عن أسامةَ بن زيدٍ قال: قال زيدُ بن عمرِو بن نُفيلٍ، قال لي حَبر من أحبار الشامِ: قد خرجَ في بلدِك نبي، أو هو خارجٌ، قد خرج نجمُه، فارجع فصدقه واتَّبعه وآمن به[(٢)].

٢٦- عن أبي سفيانَ بنِ حرب قال: قال لي هرقلُ لما سألني عن رسولِ الله ﷺ فأخبرتُه، فقال: إن يكُ ما تقولُ فيه حقًّا إنه نبيٌّ، وقد كنتُ أعلمُ أنه خارجٌ، ولم أكن أظنُّه منكم، ولو كنتُ أعلمُ أني أخلصُ إليه لأجبتُ لقاءَه، ولو كنتُ عندَه لغسلتُ عن قدمَيه، وليبلغَنَّ ملكُه ما تحتَ قَدَمي[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ١١٠ (٢٠٨٢)، وابن حبان ١/ ٥٢١، ٥٢٣ (٢٨٨)، والطبراني في «الكبير» ٥/ ٢٢٢ – ٢٢٣، (٥١٤٧)، والحاكم ٣/ ٧٠٠ – ٧٠١ (٦٥٤٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٧٨-٢٨١.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ١/ ١٩٩-٢٠٠ (٢٥٧)، والبزار ٤/ ١٦٥ (١٣٣١)، والنسائي في «الكبرى» ٧/ ٣٢٥ (٨١٣٢)، والحاكم ٣/ ٢٣٨، ٢٣٩ (٤٩٥٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٢٦.

(٣) أخرجه مطولًا البخاري (٧، ٢٩٤٠)، ومسلم (١٧٧٣).

(٨) فصل في ذكر ما سُمعَ من الجنِّ وأجواف الأصنامِ، ومن الكُهان بالإخبار عن نبوتِه ﷺ

٢٧- عن جابرِ بن عبدِ الله، أنَّ أول خبرٍ كان بالمدينة بمَبعثِ النبي ﷺ: أن امرأةً من أهل المدينة كان لها تابعٌ من الجنِّ، فجاء في صورةِ طائرٍ أبيضَ، فوقع على حائطٍ لهم فقالت له: لـمَ لا تنزِل إلينا فتُحدثنا ونحدِّثُك، وتخبرنا ونُخبرك؟ قال لها: إنه قد بُعث نبيٌّ بمكة حرَّم الزنا، ومنعَ منا القرارَ[١].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٣/ ١٣٢ (١٤٨٣٥).

(٩) فصل في ذِكر حملِ أُمه ووضعِها به، وما شاهدتْ من الآياتِ والأعلامِ على نبوته ﷺ

٢٨- عن عُتبة بن عبد: أن رجلًا سأل رسولَ الله ﷺ فقال: كيف كان أولُ شأنك يا رسولَ الله؟

قال: «كانت حاضنتي من بَني سعدِ بن بكر، فانطلقتُ أنا وابنٌ لها في بَهمٍ لنا[1]، ولم نأخذ معنا زادًا، فقلتُ يا أخي: اذهب فائتِنا بزادٍ من عند أُمِّنا، فانطلقَ أخي ومكثتُ عند البهمِ، فأقبلَ طائران أبيضانِ كأنهما نسرانِ، فقال أحدُهما لصاحبِه: أهو هو؟ قال: نعم. فأقبَلا يَبتدران، فأخذاني فبَطحاني للقفا، فشقَّا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقَّاه، فأخرجا منه عَلَقتين سوداوين.

فقال أحدُهما لصاحبه: ائتني بماء ثلجٍ، فغسلا به جَوفي، ثم قال: ائتني بماء بَردٍ فغسلا به قلبي، ثم قال: ائتِني بالسكِينة فذرَّها في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبِه: خُصَّهُ، فخَصَّه، وختم عليه بخاتَم النبوة.

فقال أحدُهما لصاحبه: اجعلْه في كِفَّةٍ، واجعل ألفًا من أمَّته في كفة، فإذا أنا أنظرُ إلى الألف فوقي أشفق أن يَخر علي بعضُهم، فقال: لو أن أُمته وُزنت به لمال بهم، ثم انطلقا وتَركاني، وفَرِقتُ فرقًا شديدًا، ثم انطلقتُ إلى أمي فأخبرتُها بالذي لَقيتُ، فأشفَقَت أن يكون قد أُلبس بي.

(١) البَهْم: جمع بَهْمَة، وهي: ولد الضأن الذكرُ والأنثى، وجمع البهم: بهام.

فقالت: أُعيذُك بالله، فرَحلت بَعيرًا لها وحملتني على الرحلِ، وركبتْ خلفي، حتى بلْغنا إلى أمي، فقالت: أدَّيتُ أمانتي وذمتي، وحدثتْها بالذي لقيتُ، فلم يرُعها ذلك، وقالت: إني رأيتُ خَرَجَ منى نورٌ أضاءت منه قصورُ الشام»[١].

٢٩- عن أبي مريم الغسَّاني قال: أقبل أعرابي حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو قاعدٌ، عنده حلقة من الناسِ فقال: ألا تُعطيني شيئًا أفعله وأحملُه ينفعني ولا يضرُّك، فقال الناس: مه، اجلسْ، فقال النبي ﷺ: «**دعوه، فإنما سألَ الرجلُ ليَعلم**». فأفرجوا له حتى جلسَ، فقال: أيُّ شيء كان أولَ نبوتك؟ فقال: «**أخذَ الله مني الميثاقَ كما أخذَ من النبيين مِيثاقَهم، قال الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ⑦﴾** [الأحزاب ٧]، **ودعوةُ أبي إبراهيم قال: ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾** [البقرة ١٢٩]، **وبُشرى المسيحِ ابن مريم، ورأت أُمي في منامِها أنه خرجَ من بين رِجلَيها سِراجٌ أضاءت له قصورُ الشامِ**»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩/ ١٩٤ (١٧٦٤٨).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ٣٩٧ (٢٤٤٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٢/ ٣٣٣ (٨٣٥).

(١٠) فصل في ذكر ما جرى على أصحاب الفيل من دلالة نبوته عام مولده ﷺ

وقصةُ الفيلِ من أشهرِ القصصِ قد نطَقَ القرآنُ بها، ورُويت الأشعارُ فيها، ولم يختلِف أحدٌ فيها لا مشركٌ ولا موحِّدٌ، صارت هذه القصةُ في جملةِ القصصِ التي لا يمكنُ إنكارُها، وذلك في العام الذي وُلد فيها رسولُ الله ﷺ، فدلَّ ظاهرُ الحالِ على أن صرفَ الله تعالى أصحابَ الفيل عن قصدِهم في تخريبِ الكعبةِ دلالةٌ على تقويةِ أمرِ الحجِّ، وتأييدٌ لمن يأمرُ به ويدَّعي أنه شريعةٌ له، فصار أمرُ الفيلِ لهذا المعنى بشارةً بالنبيِّ ﷺ، وتحقيقًا لشريعتِه، وتأيدًا لدعوتِه، ولله الحمد، وكان مولدُه ﷺ عام الفيلِ، وكان مبعثُه بعدَ الفيل بأربعين سنةً.

٣٠- عن عائشةَ قالت: رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائقَه بمكةَ أعميَينِ مقعدَينِ يستطعمانِ[(١)].

٣١- عن قيسِ بن مخرمةَ قال: وُلدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل، قال: وسألَ عثمانُ بنُ عفانَ قَباثَ بنَ أَشيم أخا بني عمرو بن ليثٍ: أنت أكبرُ أم رسولُ الله ﷺ؟ قال: رسولُ الله ﷺ أكبرُ مني، وأنا أقدمُ منه في الميلادِ، ورأيتُ خُزْقَ الفيلِ[(٢)] أخضرَ محيلًا بعدَه بعامٍ، ورأيتُ أميةَ بن عبد شمس شيخًا كبيرًا يقودُه، إمَّا قال: ابنه، وإمَّا قال: غلام له، فقال: يا قَباثُ، أنت أعلمُ وما تقولُ[(٣)].

٣٢- عن ابنِ شهابِ الزهريِّ أنه قال: أولُ ما ذُكِر مِن أمرِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشم جدِّ رسولِ الله ﷺ أن قريشًا خرجَتْ من الحرمِ فارَّةً مِن أصحابِ الفيلِ

---

(١) أخرجه البزار ١٨/ ٢٥٧ (٢٩٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ١٢٥.

(٢) خُزْق الفيل: روثه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ١/ ٤٠٧ (٥٦٦).

وهو غلامٌ شابٌّ، فقال: والله لا أخرجُ من حرمِ الله أبغي العزَّ في غيرِه، فجلَسَ عبدُ المطلب عندَ البيتِ وجلَتْ قريشٌ عنه، فقال: اللهُمَّ إن المرءَ يمنعُ رحلَه فامنَع حِلالَك لا يغلبَنَّ صليبُهم ومِحالُهم عَدْوًا مِحالَك فلم يزَل ثابتًا في الحرمِ حتى أهلكَ الله الفيلَ وأصحابَه، ورجعَت قريشٌ وقد عظمَ فيهم عبدُ المطلب لما رأوا من بصيرتِه وتعظيمِه لمحارمِ الله[1].

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ٣١٣ (٩٧١٨)،والبيهقي في «دلائل النبوة» ١/ ٨٥.

(١١) فصل في ذكرِ نُشوئه وتصرُّفِ الأحوالِ به إلى أن أكرَمه الله بالوحي فأسَّس له النبوة وهيَّأ له الرسالة، وما ظهر في قومِه من استكماله خلالَ الفضل واعترافهم به، بما يكون حُجة على من امتنع من الانقيادِ له ﷺ

كان أبوه عبدُ الله بنُ عبدِ المطلب خرج في عيرٍ لقريش تاجرًا إلى الشام -إلى غزَّة- فمرِض في مُنصرفِه بالمدينة عند أخواله، فبَقي عندهم شهرًا مريضًا فتُوفي ودُفن بها، ورسول الله ﷺ يومئذ حمل.

٣٣- عن حليمةَ بنتِ الحارث السعدية، أم رسول الله ﷺ التي أرضعَتْه، قالت: أصابَتْنا سنةٌ شهباءُ، لم تُبقِ لنا شيئًا، فخرجتُ في نسوةٍ من بني سعدِ بن بكر نلتمسُ الرضعاءَ بمكةَ على أتانٍ لي قمراءَ، فلم يبقَ منا امرأةٌ إلا عُرض عليها النبيُّ ﷺ فتأباه، وعُرِض علي فأتيتُه، وذلك أن الظؤرةَ إنما كانوا يرجون الخيرَ من قبلِ الآباء، ويقولون: لا أبَ له، وما عسى أن تفعلَ أمُّه، فلم تبقَ منهن امرأةٌ إلا أخذَتْ رضيعًا غيري، وحان انصرافهن إلى بلادهِن، فقلتُ لزوجي: لو أخذتُ ذلك الغلامَ اليتيمَ كان أمثلَ من أن أرجعَ بغير رضيعٍ، فأتيتُ أمَّه فأخذتُه، ثم جئتُ إلى منزلي، فكان لي صغيرٌ والله لا ينامُ مِن الجوع، فلما ألقيتُ رسولَ الله ﷺ على ثديي أقبلا عليه بما شاء الله من اللبنِ حتى رَوِي، ورَوي أخوه ونامَا، وقام زوجي إلى شارفٍ لنا، والله ما أن تبض بقطرةٍ فلما وقعَت يدُه على ضرعِها فإذا هي حافلٌ، فحلَبَ ثم أتاني، فقال: والله يا بنتَ أبي ذؤيب ما أظنُّ هذه النسمةَ التي أخذتِها إلا مباركةً، وأخبرني بأمر الشارفِ، وأخبرتُه بخبر ثديي وما رأيتُ منهما، ثم أصبحنا فغدَونا وكنتُ على أتانٍ قمراءَ، والله ما أن تلحقَ الحمرَ ضعفًا، فلما أن وضعتُ عليها رسولَ الله ﷺ [جعلت] تتقدَّم الركبُ، فيقولون: والله إن لأتانِك

هذي لشأننا. قالت: فقدِمنا بلادَنا بلادَ سعد بن بكر لا نتعرفُ من الله إلا البركةَ، حتى إن كان راعينا لينصرفَ بأغنامِنا حفلًا، وتأتي أغنامُ قومِنا ما أن تبض بقطرةٍ، فيقولون لرعيانهم: ويحكم! ارعوا حيث يرعى راعي ابنةِ أبي ذؤيب، فلم نزل كذلك، فبينما هما يومًا يلعبان في تهمٍ لنا وراءَ بيوتِنا إذ جاء أخوه يسعى، فقال: ذاك أخي القرشي قد قُتِلَ. فانطلقت وأبوه فاستَقبلنا وهو منتقعُ اللونِ، فجعلتُ أضمُّه إليَّ مرَّةً، وأبوه مرَّةً، ونقول: ما شأنُك؟ فيقول: لا أدري إلا أنه أتاني رجلان، فشقَّا بطني، فساطاه، فقال أبوه: ما أظن هذا الغلامَ إلا وقد أُصيب، فبادري به أهلَه مِن قبل أن [يتفاقمَ] به الأمرُ عندَنا[(١)].

قيل: فلما تُوفِّيت آمنةُ قبضَه عبدُ المطلب فضمَّه إليه، فرَقَّ له عبدُ المطلب رقةً لم يرقها على ولدِه، وكان يقربُه ويُدنيه، وكان له مجلسٌ لا يجلسُ عليه غيرُه، وكان يُفرش له في ظلِّ الكعبةِ فراشٌ ويأتي بنو عبد المطلب فيجلسون حولَ ذلك الفراشِ ينظرون إلى عبدِ المطلب، ويأتي رسولُ الله ﷺ حتى يرقى على الفراشِ فيجلسُ عليه فيقولُ له أعمامُه: مهلًا يا محمدُ عن فراشِ أبيك، فيقول عبدُ المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني، إنه ليؤنس ملكًا.

٣٤- قال الواقدي: أجمعَتْ قريشٌ أن يجهزوا عيرًا إلى الشامِ بتجاراتٍ وأموالٍ عظامٍ، وأجمع أبو طالبٍ المسيرَ في تلك العيرِ، فخرَجَ معه ﷺ، فلما نزَلَ الركبُ بصرَى من الشامِ وبها راهبٌ يُقال له: بحيرا الراهب في صومعةٍ، وكان كثيرًا ما يمرُّون به قبلَ ذلك لا يكلِّمهم، حتى كان ذلك العام فنزلوا قريبًا من صومعتِه، فلما مرُّوا عليه صنعَ لهم طعامًا ودعاهم، وإنما حملَه على ذلك أنه رآهم

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٥٠).

حينَ طلعوا وغمامةٌ تظلُّ رسولَ الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحتَ شجرةٍ، ثم نظَرَ تلك الغمامةَ قد أظلَّت الشجرةُ فتهصَّرت أغصانُ الشجرةِ على النبي ﷺ حتى استظلَّ، فلما رأى بحيرا ذلك نزَلَ من صومعتِه وأمر بذلك الطعامِ فأتى به وأرسلَ إليهم: يا معشرَ قريشٍ، إني قد صنعتُ لكم طعامًا، وأنا أريد أن تحضروا ولا يتخلفَنَّ منكم صغيرٌ ولا كبيرٌ ولا حرٌّ ولا عبدٌّ، فإن هذا شيءٌ تكرمونني به، وانقلعَت الشجرةُ من أصلِها حينَ فارقَها رسولُ الله ﷺ، وجعل بحيرا يلحظُه لحظًا شديدًا، وينظر إلى شيءٍ من جسدِه قد كان يجدُها عندَه من صفتِه، فلما تفرَّقوا عن طعامِهم جعَلَ يسألُه عن أشياءَ مِن أحوالِه فيخبرُه، وكلَّمه أن ينزعَ جبةً عليه حتى نظرَ إلى ظهرِه وإلى خاتمِ النبوةِ بينَ كتفيه عليه السلام مثلَ زر الحجلةِ متواسطًا، فاقشعرَّت كلُّ شعرةٍ في رأسِه وقبَّلَ موضعَ خاتمِ النبوةِ، ثم قال الراهبُ لأبي طالب: ارجع بابنِ أخيك إلى بلدِك واحذَر عليه اليهودَ؛ فوالله إن رأَوه أو عرفوا منه الذي أعرفُ ليبغنَّه عنتًا؛ فإنه كائنٌ لابن أخيك شأنٌ عظيمٌ نجدُه في كتبِنا وما ورثْنا مِن آبائِنا، وقد أُخِذ علينا مواثيقُ.

٣٥- عن نفيسةَ بنتِ أميةَ تقولُ: لما بلَغَ رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين سنةً وليس له بمكةَ اسمٌ إلا الأمينَ؛ لما تكاملَتْ فيه مِن خصالِ الخيرِ أرسلَتْ إليه خديجةُ فقالت: إنه قد دعاني إلى البعثةِ إليك ما بلغَنِي من حديثِك وعظمِ أمانتِك وكرمِ أخلاقِك، وأنا أُعطيك ضعفَ ما أُعطي رجلًا من قومِك، ففعَلَ رسولُ الله ﷺ، فخرَجَ مع غلامِها ميسرةَ حتى قَدِم الشامَ، فنزلا في سوق بصرى في ظلِّ شجرةٍ قريبًا من صومعةِ راهبٍ من الرهبانِ يُقال له: نسطور، قال: فاطلَعَ الراهبُ إلى ميسرةَ وكان يعرفُه فقال: يا ميسرةُ، مَن هذا الذي نزَلَ تحتَ الشجرةِ؟ فقال ميسرةُ: رجلٌ من قريشٍ مِن أهلِ الحرمِ، قال له الراهبُ: ما نَزَلَ تحت هذه الشجرةِ

قطُّ إلا نبيٌّ، ثم قال: أفي عينيه حمرةٌ؟ قال ميسرةُ: نعم، لا تُفارِقه قطُّ. قال الراهبُ: [هذا] هو، وهو آخرُ الأنبياءِ، ويا ليت أنِّي [أُدرِكه] حين يُؤمر بالخروج، وكان ميسرةُ يرى رسولَ الله ﷺ إذا كانت الهاجرةُ واشتدَّ الحرُّ يرى ملكَينِ يُظلَّانه من الشمسِ وهو على بعيرِه[1].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما تضمَّن هذا الفصل من أحوالِه ﷺ مِن حين تزوَّجت آمنةُ وحملِها ووضعِها به واسترضاعِه [وحضانةِ حليمةَ] ظئرِه، إلى أن بلَغَ خمسًا وعشرين سنةً المقرونة بالآياتِ [دلالةً] على نبوتِه ﷺ بخروجِها عن المتعارفِ والمعتادِ، مع توسمِ أهلِ الكتبِ وغيرِهم الأماراتِ التي دونَتْها الكتبُ المتقدمةُ والأخبارُ السالفةُ بالبشاراتِ به، وترقبُهم لمبعثِه ومخرجِه علاماتٌ ودلائل لمن منَّ الله عليه بالإيمان به وصار به موقنًا ولنبوتِه محققًا ﷺ، وكان يُشاهدُ منه في صباه مخائلُ السؤددِ والرياسةِ.

٣٦- عن وهبِ بن كَيسان مولى الزبيرِ سمعتُ عبدَ الله بنَ الزبيرِ، وهو يقولُ لعُبيدِ بن عُميرِ بن قَتادةَ الليثي: حدِّثنا يا عبيدُ كيف كان بدء ما ابتدأ الله به رسولَه من النبوة حين جاءه جبريلُ عليهما السلامُ؟ قال: كان رسولُ الله ﷺ يُجاورُ في حِراء كلَّ سنة شهرًا، فأتاه جبريلُ ﷺ وأنزل عليه «سورةَ اقرأ»، فرجَع إلى خديجةَ، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فلقد بَعثتُ رسلي في طلبِك حتى بَلَغوا مكةَ، ورجَعوا إلي.

قال: «**قلت لها: إن الأبعدَ لَشاعرٌ مجنونٌ**».

---

(١) أخرجه بمعناه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٨١).

فقالت: أُعيذكَ بالله من ذلك، ما كان الله ليَصنعَ ذلك بك مع صدقِ حديثِك، وعِظم أمانتِك، وحُسن خلقِك، وصلتِك رحمَك[1].

٣٧- عن أم سلمةَ بنتِ أبي أُمية بن المُغيرة زوجِ النبي ﷺ قالت: لما نزلنا أرضَ الحبشةِ جاوَرنا بها خيرَ جارٍ: النجاشيَّ، أمَّنَّا على دينِنا، وعبَدنا الله لا نُؤذى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهُه.

فأرسلَ إلى أصحابِ رسول الله ﷺ فدعاهم، فكان الذي كلَّمه: جعفرُ بن أبي طالب، فقال له: أيُّها الملكُ كنا قومًا أهلَ جاهلية نعبدُ الأصنامَ، ونأكل الميتَة، ونأتي الفواحشَ، ونقطع الأرحامَ، ونُسيء الجوارَ، ويأكُل القويُّ منا الضعيفَ، فكنا على ذلك حتى بعثَ الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبَهُ، وصدقَه وأمانتَهُ، وعفافَه، فدعانا إلى الله لنعبدَ الله ونوحِّدَه، ونخلعَ ما كنا نعبُد نحن وآباؤنا من دونِه من الحجارةِ والأوثانِ، وأَمَرَنا بصدقِ الحديث، وأداءِ الأمانةِ، وصلةِ الرحم، وحُسن الجوارِ، والكفِّ عن المحارمِ والدماء، ونهانا عن الفُحشِ، وقولِ الزورِ، وأكلِ مال اليتيمِ، وقذف المُحصنةِ.

وأمرنا أن نعبدَ الله لا نشركَ به شيئًا، وأمرنا بالصلاةِ، والزكاةِ، والصيامِ - قالت: فعدَّد عليه أُمورَ الإسلامِ- فصدقناهُ وآمنَّا به، واتَّبعناه على ما جاء به من الله، فعبَدنَا الله وحدَه فلم نُشرك به شيئًا.

فقال النجاشي: إن هذا والذي جاءَ به مُوسى يَخرُج من مِشكاةٍ واحدةٍ[2].

---

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» ٤/ ٥٤ (٢٤٢٠)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٠-٣٠٢، والآجري في «الشريعة» ٣/ ١٤٣٨ (٩٧١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٤٨.

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٦٣ (١٧٤٠).

(١٢) ذكرُ الأخبارِ فيما قُيِّضَ له ﷺ من الرياضةِ السماويةِ قبلَ الوحيِ برعايتِه البهائمَ العجمَ التي لا تعقلُ ولا تعربُ عن نفسِها؛ تهذيبا وتأديبا للقيام بثقل النبوة والصبر على مكاره ما يَلقَى فيها من المكذبين وغيرهم

عن أبي هريرةَ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يقولُ: ما بَعَثَ الله نبيًّا إلا راعي غنمٍ، قالوا: ولا أنت يا رسولَ الله؟ قال: وأنا كنتُ أرعاها لأهلي بالقراريط[(١)].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومِمَّا يدخلُ في هذا البابِ ما خصَّ الله به نبيَّه ﷺ في الجاهليةِ الجهلاءِ، أن وفَّقَه ﷺ لوضعِ الحجرِ الأسودِ موضعَه بيدِه لما اختلفَتْ قريشٌ في وضعِه دلالةً لصحةِ نبوتِه.

٣٨- عن عليٍّ قال: لما بنَتْ قريشٌ البيتَ فبلَغُوا موضعَ الحجرِ اختلفوا في وضعِه، فقالوا: إن أولَ مَن يطلعُ من البابِ، قال: فطلع النبيُّ ﷺ، فقالوا: قد طلَعَ الأمينُ، فبسط ثوبًا ووضَعَ الحجرَ وسطَه وأمرَ بطونَ قريشٍ فأخَذَ كلُّ بطنٍ منهم ناحيةً من الثوبِ ووضعَه بيدِه ﷺ[(٢)].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد حصلَتْ من قريشٍ شهادةٌ مثلها بعدَ بعثتِه ﷺ اعترافًا منهم أنهم لم يجربوا عليه كذبًا قطُّ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٦٢).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» ١/ ١٠٨ (١١٥)، والبيهقي في «الكبرى» ٥/ ١١٦، وفي «دلائل النبوة» ٢/ ٥٦.

٣٩- عن ابن عباس قال: لما نزلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] نادى رسولُ الله ﷺ في قريشٍ بطنًا بطنًا، وقال: أرأَيتم لو قلتُ لكم إن خيلًا تُغيرُ عليكم، أكنتم مصدقيَّ، قالوا: نعم، ما جرَّبنا عليك من كذبٍ قطُّ، قال: فإني نذيرٌ لكم مِن بين يدي عذابٍ شديدٍ، فقال أبو لهبٍ: ألهذا جمَعْتنا، تبًّا لك سائرَ اليوم، فأنزل الله ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١](١).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولقد شهدَتْ قريشٌ له ﷺ واعترفَتْ قبلَ مبعثِه ﷺ في غير موطنٍ.

٤٠- ومن شهاداتِهم له ﷺ بيُمن النقيبةِ ما رُوي عن عبدِ الله بن السائبِ قال: كنتُ شريكَ النبي ﷺ في الجاهليةِ، فلما قدمتُ المدينة قال: تعرفني؟ قلت: نعم، كنتَ شريكي، فنعم الشريكُ لا تُدارِي ولا تُمارِي(٢).

---

(١) أخرجه بنحوه البخاري في «صحيحه» (٤٧٧٠، ٤٩٧١)، ومسلم في «صحيحه» (٢٠٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٤٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٢/ ٣٣ (٧٠٨).

(١٣) فصل في ذِكر أخلاقه وصفاته وذكر الخاتم بين كتفيه

ولأخلاقِه ﷺ فصولٌ كثيرة ذات شُعبٍ وأنواع يحتوي مجموعُه بطرقه على كتاب مبسوطٍ، اقتصرنا منه على نوعين أو ثلاثةِ ائتساءً بمن تَقدمَنا من سلفنا في حشوِهم هذا الكتابِ، وبمَن جانسه من عفوه، وصفحه، وكرمِه، وجوده، وسخائِه، وكثرة احتمالِه وحلمه، وصبره، ورفقِه، وكظمه الغضبَ، وتواضعه، وما شاكلَه من حميد أخلاقِه، وشريف أفعاله إذ كان مهذبًا بتهذيب الله له، مؤدبًا بتأديب الله.

٤١- كما رُوي عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عن جُبير بنِ نفير، قال: حججتُ فدخلت على عائشةَ فسألتُها عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقُ رسول الله ﷺ القرآنَ[(١)].

٤٢- عن أبي عبدِ الله الجدلي: سألتُ عائشة عن خلق رسولِ الله ﷺ فقالَت: لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا سخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئةَ، ولكنْ يعفو ويصفحُ[(٢)].

٤٣- عن عائشةَ، قالت: ما خُيِّر رسولُ الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنتهك حرمةُ الله، فينتقم لله[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد ٤٢/ ٣٥٣ (٢٥٥٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦١٢٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

٤٤- عن عائشةَ، قالت: ما ضرب رسولُ الله ﷺ امرأةً قط، ولا ضرب خادمًا قط، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يُجاهِد في سبيل الله، وما نيل منه شيءٌ فانتقم من صاحبه إلا أن تُنتهك محارمُ الله فينتقم[١].

٤٥- قال أنسُ بن مالك: إن كانت الوليدةُ من ولائد المدينة تجيءُ فتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فما ينزع يدَه من يدها حتى تذهبَ به حيث شاءَت[٢].

٤٦- عن أنسٍ، أن امرأةً كانت في عقلها شيءٌ، فقالت: يا رسولَ الله، إن لي إليك حاجةً، فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أمَّ فلان، خذي في أي الطريقِ شئتِ، قُومي فيه حتى أقومَ معك**» فخَلا رسولُ الله ﷺ يناجيها حتى قضَت حاجتَها[٣].

٤٧- عن أنسِ بن مالك، قال: كنتُ أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظُ الحاشيةِ، فأدركه أعرابيٌّ فجبذه جبذةً شديدةً، حتى نظرتُ إلى صَفحةِ عنقِ رسول الله ﷺ، وقد أثَّرت به حاشيةُ الرداء من شدة جبذتِه، ثم قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتَفتَ إليه رسولُ الله ﷺ فضحَك، وأمر له بعطاء[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٣)، ومسلم (٢٣٢٨).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٧٧)، وأحمد ٢٠/ ١٧٨ (١٢٧٨٠).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٢٦).
(٤) أخرجه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(١٤) فصل في ذِكر ما خصَّه الله به من العِصمةِ، وحماه به من التديُّن بدين الجاهليةِ، وحراسَته إياه عن مكائدِ الجن والإنس، واحتِيالهم عليه

٤٨- عن شريكِ بن طارقٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليس أحدٌ منكم إلَّا وله شيطانٌ» قالوا: ولك؟ قال: «ولي، إلَّا أن الله أعانَني عليه فأسلَم»[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما رُوي في عِصمة الله نبيَه ﷺ من مشاركة أهلِ الجاهلية في شِركهم، وحراستِه له عليه السلام من تعاطي ما كانوا يتَعاطَونه، ويَحضرونه من الأباطيلِ، والفواحشِ.

٤٩- عن عليِّ بن أبي طالبٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما هَممتُ بقبيحٍ مما كان أهلُ الجاهلية يهمون بها إلا مرَّتين من الدَّهرِ، كلتاهما يَعصمُني الله منها، قلتُ ليلةً لفَتى كان معي من قريشٍ بأعلى مكةَ في أغنام لأهلنا نرعاها: أبصِر لي غنمي حتَّى أسمَر هذه الليلةَ بمكةَ كما يسمر الفتيانُ، قال: نعم، فخرجتُ فجئت أدنى دارٍ من دور مكةَ، سَمِعت غناءً، وضرب دفوفٍ، وزمرًا، فقلت: ما هذا؟ قالوا: فلانٌ تزوَّج فلانةً، لرجلٍ من قريشٍ، تزوج امرأةً من قريش، فَلَهَوتُ بذلك الغناءِ، وبذلك الصوتِ، حتى غلبَتني عيني، فما أيقظَني إلا مسُّ الشمسِ، ثم رجعتُ إلى صاحبي، فقال لي: ما فعلتَ؟ فقلت: ما فعلتُ شيئًا» قال رسول الله ﷺ: «فوالله ما هَممت بعدَهما بسوءٍ مما يعمل أهلُ الجاهلية، حتى أكرَمني الله بنبوَّته»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، وابن حبان (٦٤١٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن حبان (٦٢٧٢)، والحاكم ٤/ ٢٧٣.

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومما عُصم به ﷺ وحُرس منه أن لا يَتعرى كفِعل قومِه وأَهلِه، وإذا أُحفِظ من التعري؛ فما فوقَه أولى أن يُعصمَ منه ويُنهى عنه.

٥٠- عن جابرِ بن عبد الله: إن رسولَ الله ﷺ كان ينقلُ معهم الحجارةَ للكعبةِ، وعليه إزارٌ، فقال له العباسُ عمه: يا ابنَ أخي، لو حللتَ إزارك فجعلتَه على مَنكِبيك دون الحجارةِ. قال: فحلَّه فجعلَه على مَنكِبيه، فسقطَ مَغشِيًّا عليه، فما رُئيَ بعدَ ذلك عريانًا[١].

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤)، ومسلم (٣٤٠).

(١٥) ذِكرُ عِصمة الله تعالى رسولَه ﷺ حين تعاقَد المُشركون على قتلِه

٥١- عن ابن عباسٍ، أن الملأ من قريشٍ اجتمعوا في الحِجر فتعاقدوا باللاتِ والعُزَّى ومَناةِ الثالثةِ الأُخرى ونائلةَ وإسافٍ: لو قد رأينا محمدًا لقد قُمنا إليه قيامَ رجلٍ واحد، فلم نفارقْه حتى نقتلَه، فأقبَلَت ابنتُه فاطمةُ تبكي، حتى دخلتْ على النبيِّ ﷺ، فقالت: هؤلاء المَلأُ من قومِك قد تعاقدوا عليك، لو قد رَأَوكَ، لقد قاموا إليك فقَتلوك، فليس منهم رجلٌ إلا قد عرفَ نصيبَه من دمِك.

قال: «**يا بُنية ائتني بوَضوءٍ**». فتوضأ ثم دخلَ المسجد، فلما رأوه قالوا: ها هو ذا، وخفضوا أبصارَهم، وسقطت أذقانُهم في صدورِهم، وعرقوا في مجالِسهم، ولم يرفعوا إليه أبصارَهم، ولم يقُم منهم إليه رجلٌ، فأقبلَ رسول الله ﷺ حتى قامَ على رؤوسهم، فأخذ من تُرابٍ، فقال: «**شاهتِ الوجوهُ**». ثم حصَبهم، فما أصاب رجلًا منهم من ذلك الحَصى حصاةٌ إلا قُتل يوم بدرٍ(١).

٥٢- عن أسماءَ بنت أبي بكر، قالت: لما نزَلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ أقبلتِ العوراءُ أمُّ جميل بنتُ حرب، ولها ولولةٌ وبيدها فِهرٌ، وهي تقول:

مُـــــذَمَّمًا أبَيْنـــــا
ودينَـــــه قَلَيْنـــــا
وأمـــــرَه عَصَـــــينا

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤٨٦ (٢٧٦٢).

ورسول الله ﷺ جالسٌ في المسجدِ ومعه أبو بكرٍ، فلما رآها أبو بكر قال: يا رسول الله قد أقبلَتْ، وأنا أخافُ أن تراكَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنها لن تراني**». وقرأ قرآنًا اعتصَمَ به، كما قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥] فأقبَلَتْ حتى وقفت على أبي بكرٍ، ولم ترَ رسولَ الله ﷺ.

فقالت: يا أبا بكرٍ إني خُبِّرت أن صاحبَك هجاني.

فقال: لا وربِّ هذا البيتِ ما هجاكِ.

قال: فولَّت وهي تقولُ:

قد علِمت قريشٌ أني بنتُ سيدِها

فعثَرَت أم جميلٍ وهي تطوفُ بالبيت في مِرطها، فقالت: تعِس مُذمَّم[(١)].

ومما لطفَ الله تعالى لنبيه ﷺ صرفُ شتمِ قريشٍ ولعنِهم عنه:

٥٣- عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا تَعجبون كيف يَصرِفُ الله عنِّي شتمَ قريشٍ، ولعنَهم! يَشتمون مذمَّما، ويَلعنون مذمَّما، وأنا محمَّد**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» ١/ ٣٢٣ (٣٢٥)، وأبو يعلى في «مسنده» ١/ ٥٣ (٥٣)، والحاكم ٢/ ٣٩٣ (٣٣٧٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٩٥.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٣).

(١٦) ذكرُ عِصمة الله تعالى رسولَه ﷺ من كيدِ الكائدين، وغائلة المُغتالين القاصدين له بالأسواء

٥٤- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: غزَونا مع رسول الله غزوةً قِبلَ نجدٍ، فأدركنا القائلة في وادٍ كثير العِضاهِ[(١)]، فنزل رسولُ الله ﷺ تحت شجرةٍ يعلق سيفَه بغصن من أغصانها، قال: وتفرَّق الناس في الوادي، يستظلُّون بالشجرِ، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن رجلًا أتاني وأنا نائمٌ، وأخذ السيفَ، واستيقظتُ وهو قائم على رأسي، فلم أشعرْ إلا والسيف صَلتًا[(٢)] في يده، فقال: من يمنعُك مني؟ قلت: الله. فشام السيفَ**». ها هو ذا لم يعرض له رسولُ الله ﷺ[(٣)].

٥٥- عن جَعدة، قال: شهدت النبي ﷺ، وأُتي برجلٍ فقيلَ: يا رسولَ الله، هذا أرادَ أن يقتُلك، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**لم تُرَع، لم ترع، لو أردتَ ذلك لم يسلِّطك الله على قتلي**»[(٤)].

٥٦- عن عائشةَ، قالت: مكثَ رسول الله ﷺ كذا وكذا يُخيل إليه أنه يأتي أهلَه ولا يأتيهم، قالت: فقال ذاتَ يوم: «**يا عائشةُ، أعلِمتِ أن الله أفتاني في أمرٍ استفتيتُه فيه: أتاني رجلان، فجلس أحدُهما عند رجلي، والآخرُ عند رأسي، فقال الذي عند رِجلي للذي عند رأسي: ما بالُ الرجل؟**

قال: مَطبوب[(٥)].

---

(١) (العِضَاه): كل شجر يعظم له شوك، وقيل: هو العظيم من السمر مطلقا.
(٢) (صَلتًا) أي: مجردًا عن غمده.
(٣) أخرجه البخاري (٢٩١٣)، ومسلم (٨٤٣).
(٤) أخرجه أحمد ٢٥/ ٢٠٣ (١٥٨٦٨).
(٥) (مَطبُوب) أي: مسحور.

قال: ومن طبَّه؟

قال: لَبيد بن أعصم.

قال: وفيم؟

قال: في جُفِّ طَلْعة ذكَر[١]**، في مُشط ومُشاطة**[٢] **تحت رَاعوفَةٍ**[٣] **في بئر ذَروان**».

قالت: فجاءه رسولُ الله ﷺ فقال: «**هذه البئرُ التي أُريتها كأن رؤوس نخلِها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نُقاعةُ الحِنَّاء**».

قالت: فأمر به رسول الله ﷺ فأُخرج، قالت عائشة: فقلت: يا رسولَ الله، فهلا؟ يعني: تَنَشَّرت.

فقال: «**أمَّا الله فقد شفاني، وأما أنا فأكرَه أن أُثيرَ على الناسِ منه شرًّا**»[٤].

٥٧- عن زيدِ بن أرقمَ، قال: سحرَ النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا، قال: فأتاه جِبريلُ عليهما السلامُ، فقال: إن رجلًا من اليهود سحرَك، عقد لك عُقدًا، فأرسل إليها رسولُ الله ﷺ فاستخرجَها، فجاء بها فجعل كلما حلَّ عقدةً وجد لذلك خفَّةً.

فقام النبيُّ ﷺ كأنما نَشط من عِقالٍ، فما ذكر النبي ﷺ ذلك لليَهودي، ولا رآه في وجهِه قط[٥].

---

(١) (الجُفُّ): الغشاء الذي يكون على الطلع.

(٢) (المُشَاطة) ما يخرج من الشعر الذي سقط من الرأس إذا سرح بالمشط، وكذا من اللحية.

(٣) (رَاعوفَة): حجر يوضع على رأس البئر لا يستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩).

(٥) أخرجه النسائي (٤٠٨٠).

٥٨- قال محمدُ بن إسحاق: عن ابن عباسٍ، قال: لما عرفَت قريشٌ أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيعةٌ وأصحابٌ من غير بلدِهم ورأوا خروجَ أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا دارًا أصابوا منهم منعةً، فحَذِروا خروجَ رسولِ الله ﷺ، وعرفوا أنه قد أَجمعَ لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوةِ، وهي دارُ قصي بن كِلابٍ، التي كانت قريشٌ لا تقضي أمرًا إلا فيها، يتشاورون فيها ما يَصنعون في أمرِ رسول الله ﷺ حين خافوه، فلما اجتَمعوا لذلك في ذلك اليومِ الذي اتَّعَدوا له، وكان ذلك اليومُ يُسمى الزحمةَ، اعترض لهم إبليسُ في هيئة شيخٍ جليلٍ عليه بت له، فوقف على باب الدارِ، فلما رأوه واقفًا على بابها قالوا: من الشيخُ؟

[قال]: شيخٌ من أهل نجد، سمع بالذي اتعدتُم له فحضر معكم ليسمعَ ما تَقولون، وعسى أن لا يَعدمَكم منه رأيٌ ونُصح.

قالوا: أجل فادخُل؛ فدخلَ معهم، فقد اجتمع فيها أشرافُ قريش من كل قبيلةٍ، من بني عبدِ شمس: عتبةُ وشيبة أبناءُ ربيعة، وسفيانُ بن حرب، ومن بني نوفلَ بن عبد مناف: طُعيمة بن عدي، وجُبير بن مُطعم، والحارثُ بن عامر بن نوفلَ، ومن بني عبد الدار بن قُصي: النَّضر بن الحارثِ بن كَلَدةَ، ومن بني أسدِ بن عبدِ العُزى: أبو البَختري ابن هشام، وزَمعةُ بن الأسودِ بن عبد المطلبِ، وحكيمُ بن حِزام، ومن بني مخزوم: أبو جهلِ بن هشام، ومن بني سهم: مُنية ونُبيه أبناء الحجاج، ومن بني جمح: أميةُ بن خلف، ومن [كان معهم ممن] لا يُعد من قريشٍ.

فقال بعضُهم لبعض: إن هذا الرجلَ قد كان من أمرِه ما قد رأيتُم، وإنَّا والله، لا نأمنُه من الوثوبِ علينا بمَن قد اتَّبعه من غيرنا، فأَجمِعوا رأيًا فتشاوروا،

فقال قائلٌ منهم: احبِسوه في الحديدِ، وأغلِقوا عليه بابًا، ثم تربَّصوا به ما أصابَ أشباهُهُ من الشُّعراء الذين قبله: زهيرَ، والنابغةَ، ومن مضى منهم من هذا الموتِ، حتى يصيبَه منه ما أصابَهم.

فقال الشيخُ النَّجدي: لا والله، ما هذا لكم برأيٍ، والله لو حبستُموه كما تقولون، لخرجَ أمرُه من وراء الباب الذي أَغلقتم عليه دونه إلى أصحابه، فلأَوشَكوا أن يَثبوا عليكم، فينتَزعوه من أيديكم، ثم يُكابرونكم حتى يغلِبوكم على أمرِهم، ما هذا لكم برأيٍ، فانظروا في غيره.

ثم تَشاوروا، فقال قائلٌ منهم: نُخرجه من بين أظهُرنا فننفيه من بلدِنا، فإذا خرج عنَّا فوالله ما نبالي أين يذهبُ، ولا حيث وَقَعَ، غاب عنَّا أذاه، وفرغنا منه، وأصلَحنا أمرَه.

قال الشيخُ النجديُّ: لا والله، ما هذا لكم برأيٍ، ألم تَروا حسنَ حديثِه، وحلاوةَ منطقِه، وغلبَته على قلوبِ الرجال بما أَتى به، والله لو فَعَلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلَّ على حيٍّ من أحياء العربِ فيغلبُ بذلك من قوله عليهم، وبحديثِه حتى يتابِعوه عليه، ثم يسيرُ إليكم حتى يطأَكم به، فيأخذ أمرَكم من أيديكم، ثم يفعلُ بكم ما أراد، دبِّروا فيه رأيًا غير هذا.

فقال أبو جهلٍ: إن لي فيه رأيًا ما أراكم وَقعتم عليه بعدُ، قالوا: وما هو يا أبا الحكمِ؟ قال: أرى أن تأخُذوا من كل قبيلةٍ شابًّا جليدًا، نسيبًا وسيطًا، ثم يُعطى كلُّ فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يَعمدون إليه، ثم يَضربونه بها ضربةَ رجل واحدٍ، فيقتُلونه جميعًا، فنستريحُ منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمُه في القبائل كلِّها، فلم يقدِر بنو عبدِ مناف على حرب قومِهم جميعًا، ورضوا منا بالعقلِ فعقلناه لهم.

فقال الشيخُ النجديُّ: القولُ ما قال الرجلُ، هذا الرأيُ لا رأيَ لكم غيرُه، فتفرَّق القومُ بعد ذلك وهم مُجتمعون له.

فأتاه جبريلُ عليهما السلام، فقال: لا تَبت هذه الليلةَ على فراشِك الذي كنتَ تبيتُ عليه، فلمَّا كان عتمةٌ من الليلِ اجتمعوا على بابه يَرصدونه، حتى ينامَ فيَثبون عليه، فلما رأى رسولُ الله ﷺ مكانَهم، قال لعليِّ بن أبي طالب: «**نَم على فراشي، واتَّشِح ببُردي هذا الأخضرِ الحضرميِّ، فإنه لا يَخلصُ إليك شيءٌ تكرهه منهم**» وكان رسول الله ﷺ ينام في بُرده ذلك إذا نامَ.

قال ابنُ إسحاقَ، فحدثني يزيدُ بن أبي زياد، عن محمدِ بن كعب القرظي، قال: اجتَمعوا له وفيهم أبو جهلٍ، فقالوا على بابه: إن محمدًا يزعمُ أنكم إن تابعتُموه على أمره كنتمُ ملوكَ العرب والعجم، ثم بُعثتم من بعد موتِكم، لكم جنانٌ كجنانِ الأردُنِّ، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبحٌ، ثم بُعثتم من بعد موتِكم فجُعِلَت لكم نارٌ تُحرقون فيها.

فخرج رسول الله ﷺ وأخذ حَفنةً من تراب في يده، ثم قال: نعم، أنا أقولُ ذلك وأنت أحدُهم، وأخذ الله على أبصارِهم، فلا يرونَه فجعل يُثيرُ ذلك الترابَ على رؤوسِهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ [يس:١ - ٢] إلى قوله: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ٩﴾ [يس:٩] حتى فرغ رسولُ الله ﷺ من هؤلاء الآياتِ، فلم يبقَ رجلٌ إلَّا وضَع على رأسه ترابًا.

ثم انصرفَ إلى حيث أرادَ أن يذهبَ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكنْ معهم، فقال: ما ينتظرُ هؤلاء؟ قالوا: محمدًا، قال: خيَّبكم الله، قد والله خرجَ عليكم محمدٌ، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وضعَ على رأسِه ترابًا، وانطلق لحاجتِه، أفلا ترونَ ما بكم؟!

فوضعَ كلُّ رجل منهم يدَه على رأسه فإذا عليه ترابٌ، ثم جعلوا يتطلَّعون، فيَرون عليًّا على الفراشِ مُتشحًا ببُرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمدٌ نائم على بُرده، فلم يَبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ عن الفراش.

فقالوا: والله لقد صدَقنا الذي كان حدَّثنا، فكان مما نزلَ من القرآن في ذلك اليومِ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال:٣٠] وقول الله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور:٣٠][(١)].

٥٩- عن عبدِ الله بن عباس، أن عتبةَ، وشيبةَ، وأبا سفيانَ بن حربٍ، والنضرَ بن الحارثِ، وأبا البَختري، والأسودَ بن المطلب، وزمعةَ بن الأسودِ، والوليدَ بن المغيرةِ، وأبا جهلِ بن هشام، وعبدَ الله بن أبي أميَّة، وأميةَ بن خلف، والعاصِ بن وائل، ونَبيه ومُنبه أبناء الحجاجِ، اجتَمعوا -أو مَن اجتمع منهم- بعد غروبِ الشمسِ على ظهرِ الكعبةِ، فقال بعضُهم لبعض: ابعثوا إلى محمدٍ فكلموه، وخاصِموه حتى تُعذروا فيه، فبَعثوا إليه: إن أشرافَ قومِك قد اجتمعوا لك ليُكلموك، قال: فجاءهم رسولُ الله ﷺ سريعًا، وهو يظن أنْ قد بدا لقومِه في أمره بُدُوٌّ، وكان عليهم حريصًا يُحبُّ رُشدَهم، ويعزُّ عليه عنتُهم، وذَكَرَ القصة.

فلما قام عنهم رسولُ الله ﷺ، قال أبو جهلٍ: يا معشرَ قريش، إن محمدًا قد أَبى، إلا ما تَرون من عيبِ ديننا، وشتم آبائِنا، وتَسفيه أحلامِنا، وسب آلهتِنا، وإني أعاهدُ الله لأجلِسن له غدًا بحجرٍ ما أطيقُ حمله -أو كما قال- فإذا سجدَ في

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٣٧٠، وانظر: سيرة ابن هشام ١/ ٤٨٠-٤٨١.

صلاتِه، رضختُ به رأسَه، فأسلِموني عند ذلك أو امنَعوني، فليَصنع بعد ذلك بنو عبدِ منافٍ ما بدا لهم، قالوا: والله لا نُسلمك لشيءٍ أبدًا، فامض لما تريدُ.

فلما أصبح أبو جهلٍ أخذَ حجرًا كما وَصف وجلسَ لرسولِ الله ﷺ ينتظرُه، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يَغدو، وكان رسولُ الله ﷺ بمكةَ وقبلتُه إلى الشام، فكان إذا صلى، صلى بين الركنين اليماني والأسودِ، وجعلَ الكعبةَ بينه وبين الشامِ، فقام رسول اللهُ ﷺ يصلي، وقد قعَدت قريشٌ في أنديَتهم ينتظرون ما أبو جهلٍ فاعلُ؟!

فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتمل أبو جهلٍ الحجرَ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع مُنهزمًا، منتقعًا لونه، مرعوبًا قد يَبست يداه على حجرٍ، فقذفَ الحجرَ من يده، وقامت إليه رجالُ قريشٍ، فقالوا له: ما لك يا أبا الحكمِ؟

قال: قُمت إليه لأفعلَ له ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنَوت منه عرضَ دونه فحلٌ من الإبلِ، لا والله، ما رأيتُ مثل هامتِه، ولا قصرتِه، ولا أنيابِه لفحلٍ قطٌّ، فهمَّ بأن يأكلَني.

فذُكِر لي أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ذلك جبريلُ عليه السلام، لو دنا منه لأخذَه**»، فلما قال ذلك لهم أبو جهلٍ قام النضرُ بن الحارثِ، فقال: يا معشرَ قريش، إنه والله لقد نزلَ بكم أمرٌ ما ابتُليتم بمثله قط[(١)].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٩٧-٢٠٠).

٦٠- عن محمدِ بن إسحاق، قال: وقدمَ على رسولِ الله ﷺ، وفدُ بني عامر، فيهم عامرُ بن الطُّفيلِ، وإربدُ بن قيسِ بن خالدِ بن جعفر، وجبارُ بن سلمى بن مالك بن جعفر، وكان هؤلاء الثلاثةُ رؤوسَ القوم وشياطينَهم، فقدِم عامرُ بن الطفيل عدو الله، على رسولِ الله ﷺ وهو يريد الغدرَ به، وقد قال له قومُه: يا عامرُ، إن الناسَ قد أسلموا، فأسلِم، قال: والله، لقد كنت آليتُ أن لا أنتهي حتى يتبعَ العربُ عقبي، فأنا أتبعُ عقبَ هذا الفتى من قريشٍ؟!

ثم قال لإربد: إذا قَدمنا على الرجلِ فإني سأشغلُ عنك وجهه، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسيف، فلما قدِموا على رسول الله ﷺ قال عامرُ بن الطفيل: يا محمدُ، خالِني، قال: «**لا والله، حتى تؤمنَ بالله وحدَه لا شريكَ له**».

قال: يا محمدُ، خالِني، وجعل يكلمُه، ويَنتظِرُ من إربدَ ما كان أمَرَه به، فجعل إربدُ لا يُحير شيئًا، فلما رأى عامرُ ما يَصنع إربدُ، قال يا محمد: خالِني، قال: «**لا والله، حتى تؤمنَ بالله وحده لا شريكَ له**».

فلما أبى عليه رسولُ الله ﷺ، قال: أما والله لأملأنها عليك خيلًا حمرًا، ورجالًا شقرًا، فلما ولَّى، قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم اكفني عامرَ بن الطفيلِ**» فلما خرجوا من عند رسولِ الله، قال عامرُ لإربدَ: أين ما كنتُ أوصيتُك به، والله ما كان على ظهرِ الأرض رجلٌ هو أخوف عندي على نفسي منك، وايمُ الله، لا أخافُك بعد اليوم أبدًا، قال: لا أبا لك، لا تعجل عليَّ، والله ما هَممتُ بالذي أمرتَني به، إلا دخلتَ بيني وبين الرجلِ، حتى ما أرى غيرَك، فأَضربُك بالسيف؟! فقال عامرُ بن الطفيل:

بُعـثَ الرسـولُ بـما تَـرى فكـأنما ❋❋ عمـدًا يشـد عـلى المقانـبِ غـارَا
ولقـد ورَدنَ بنـا المدينـةَ شُـزَّبًا ❋❋ ولقـد قتلنـا بجوهـا الأنصـارَ

وخرجوا راجعين إلى بلادِهم، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريق بعث اللهُ على عامر بن الطفيل الطاعون في عُنقه، فقتَله الله به في بيت امرأةٍ سَلولية، فجعل يقولُ: يا بني عامر غُدة كغُدة البكرِ في بيت امرأةٍ من بني سلول!

ثم خرج أصحابُه حين وارَوه حتى قدِموا أرضَ بني عامر، فلما قدموا أتاهم قومُهم فقالوا: ما وراءَك يا إربدُ؟ قال: لا شيءَ والله، لقد دعانا إلى عبادةِ شيء لودِدت أنه عندي الآن، فأرميه بالنبلِ منه حتى أقتلَه، فخرج بعد مقالتِه بيومٍ أو يومين معه جملٌ له يبيعُه، فأرسلَ الله عليه وعلى جملِه صاعقةً فأحرقَتهما، وكان إربدُ بن قيس أخا لبيدِ بن ربيعة لأمه[1].

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٣/ ١٤٥، وانظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٦٨-٥٦٩.

(١٧) ذكرُ إعلامِ الله تعالى نبيَّه عليه السلام اليهوديَّة بإنطاقِ الشاة المسمومة له، وعصمتِه مما كادَته به

٦١- عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: لما افتُتِحت خيبرُ أُهديت لرسولِ الله ﷺ شاةٌ فيها سم، فقال رسولُ الله ﷺ: اجمعوا إليَّ من كان هاهنا من اليَهودِ، فجمعوا له فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إنِّي سائلُكم عن شيء، فهل أنتم صادقيَّ عنه؟**».

قالوا: نعم يا أبا القاسم.

قال: «**هل جعلْتم في هذه الشاةِ سمًّا؟**»

قالوا: نعم.

فقال: «**ما حملَكم على ذلك؟**»

قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريحُ منك، وإن كنت نبيًّا لم يَضرَّك[(١)].

٦٢- عن أنسٍ، أن امرأةً يهودية أتتِ النبيَّ ﷺ بشاة مسمومةٍ، فأكل منها، فجِيءَ بها النبيَّ ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردتُ قتلك.

فقال: «**ما كان الله ليسلِّطَك على ذلك**».

فقالوا: أفلا تقتُلها؟!

قال: «**لا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

(١٨) ذكر خبر آخر فيما رد الله به عن نبيه ﷺ كيد أبي جهل حين حلف ليطأن رقبته إن رآه ساجدًا

٦٣- عن أبي هريرة، قال: قال أبو جهلٍ: أيعفِّرُ محمدٌ وجهَه بين أظهُركم؟

قالوا: نعم.

قال: والله لئن رأيتُه يفعلُ لأطَأنَّ على رقبتِه، ولأعفِّرَنَّ وجهَه في الترابِ.

قال: فأتاهُ وهو يصلي ليَطَأَ على رقبتِه، فما عُلِمَ به إلا وهو ينكِصُ على عقبِه، ويرجعُ إلى خلفِه، ويتَّقي بيده، فقِيل له: ما لك؟

قال: رأيت بيني وبينَه خندَقًا من نار وهَوْلًا، ورأيتُ ملائكةً دون أجنحةٍ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أما لو دنا مني لاختَطَفَتهُ الملائكةُ عُضوًا عُضوًا**»، وأنزلَ الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣﴾ [العلق: ٦: ١٣] يعني: أبا جهل، ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧﴾ قومَه، ﴿سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨﴾ الملائكةَ[(١)].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٧).

(١٩) ذكرُ خبرٍ في دعائه ﷺ على مَشيَخةِ قُريشٍ المَقتولين يومَ بدر، فسُحبوا إلى القَليب

٦٤- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ قال: بينما رسولُ الله ﷺ يُصلي عند الكعبةِ، وجمعُ قريش ينظرون، قال قائلٌ منهم: ألا تَرَون إلى هذا المُرائي؟! أيُّكُم يقومُ إلى جَزورِ آل فلان، فيعمِد إلى فرثِها[1]، ودمِها، وسَلاها[2]، حتى إذا سجدَ وَضَعَه بين كتِفيه؟

وثبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا، وضحِكوا حتى مال بعضُهم على بعضٍ من الضحكِ، فانطلق مُنطلقٌ إلى فاطمة وهي جُويرية، فأقبلت تَسعى، وثبتَ النبي ﷺ ساجدًا، حتى نَحَّتهُ عنه، فأقبلت عليهم تسبُّهم.

فلما قَضى النبيُّ ﷺ صلاتَه استقبَلَ الكعبةَ، وقال: «**اللهم عليكَ بقريشٍ**».

ثم سمَّاهم فقال: «**اللهمَّ عليك بعمرِو بن هشامٍ، وشيبةَ، والوليدِ بن عتبة، وأُميةَ بن خلفٍ، وعقبةَ بن أبي مُعيط، وعمارةَ بن الوليد**».

قال عبد الله: فوالذي توفَّى نفسه، لقد رأيتُهم صَرعى، يُسحبون إلى القَليب -قليبِ بدر- ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهم أتْبِع أهلَ القليب لعنةً**»[3].

---

(١) (فَرثها) أي: ما في الكرش

(٢) (سَلاها) السَّلا: اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان.

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٠)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢٠) ذِكر خبر آخر فيما أنجحَ الله به أمرَ نبيه عليه السلام لما كلم أبا جهلٍ أن يوفرَ على غريمِه حقه لما تقاعدَ، فما أراه من العبر والآيات

٦٥- عن محمدِ بن إسحاق، عن عبدِ الله بن عبدِ الملك بن سفيانَ الثقفي -وكان واعيةً- قال: قدمَ رجلٌ من إراش بإبل له مكةَ، فابتاعَها أبو جهل بن هشام، فمَطله بأثمانها، وأقبلَ الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في ناحية المسجدِ، فقال: يا معشرَ قريشٍ، من رجلٌ يؤديني على أبي الحكمِ بن هشام، فإني رجلٌ غريبٌ ابنُ سبيلٍ، وقد غلبني على حقي، قال: فقال أهلُ المجلس: ترى ذلك الرجلَ، لَرسول الله ﷺ -وهم يَهزئون به، لِما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة- اذهَب إليه فهو يؤديك عليه.

فأقبلَ الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا عبدَ الله، إن أبا الحكمِ بن هشام غَلبني على حقٍّ لي قِبله، وأنا غريبٌ ابنُ سبيلٍ، وقد سألتُ هؤلاء القومَ عن رجل يؤديني عليه، يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك فخُذ لي حقي منه، رحمَك الله.

قال: «**انطلِق إليه**» وقام رسولُ الله ﷺ معه، فلما رَأوه قام معه، قالوا لرجلٍ ممن كان معهم: اتبعهم؛ انظر ماذا يصنعُ؟ قال: وخرج رسولُ الله ﷺ حتى جاءَه فضرب عليه بابَه، فقال: مَن هذا الرجل؟ فقال: «**محمدٌ، فاخرج إليَّ**» قال: فخرجَ وما في وجهه رائحةٌ، قد انتَقع لونُه.

فقال له: «**أَعط هذا الرجلَ حقه**» قال: نَعم، لا تبرح حتى أعطيَه الذي له، فدخلَ فخرج إليه بحقِّه فدفعه إليه، قال: ثم انصرف رسولُ الله ﷺ، وقال للإراشيِّ: «**الحق شأنَك**».

قال: فأقبلَ الإراشيُّ حتى وقفَ على ذلك المجلسِ، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذَ لي الذي لي، قال: وجاء الرجلُ الذي بعثوا معه، فقالوا: ويحكَ ماذا رأيتَ؟ قال: رأيتُ عجبًا من العجبِ، والله إن هو إلا أن يضربَ عليه بابه، فخرج إليه وما معه رُوحه، فقال: «**أعطِ هذا حقَّه**» قال: نعم، لا تبرحُ حتى أُخرجَ إليه حقه، فدخل فخرجَ إليه بحقِّه فأعطاه إيَّاه، قال: ثم لم يَلبثوا أن جاءَ أبو جهلٍ فقالوا له: ويلَك، والله ما رأينا مثلَ ما صنعتَ.

فقال: ويحَكم، والله، إن هو إلا أن ضربَ علي بابي، وسمعتُ صوتَه فمُلئت رعبًا، ثم خرجتُ إليه، وإن فوق رأسِه لفحلًا من الإبل ما رأيتُ مثل هامتِه، ولا قَصَرته، ولا أنيابِه لفحلٍ قط، والله لو أبيتُ لأكلني[(١)].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص ١٩٥- ١٩٦).

(٢١) فصل في ذِكرِ بُدوِّ الوحيِ وكيفيةِ ترائي الملَكِ له، وإلقائه الوحيَ إليه، وتقريرِه عندَه أنه يأتيه من عِندِ اللهِ، وما كان فيه من شَقِّ صدرِه

٦٦- عن عائشةَ أنها قالت: أولُ ما بُدِئ به رسولُ الله ﷺ من الوحيِ الرؤيا الصادقةُ في النومِ، فكان لا يرى رؤيا إلا جائَتْ مثلَ فلقِ الصبحِ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، فكان يأتي حراءَ فيتحنَّثُ فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العددِ ويتزودُ لذلك، ثم يرجعُ إلى خديجةَ فتزودُه لمثلِها، حتى فاجأه وهو على غارِ حراءَ، فجاء الملكُ فيه فقال: يا رسولَ الله، اقرَأ، قال النبي ﷺ: فقلت: **ما أنا بقارئٍ**، فأخذني فغطَّني الثانيةَ حتى بلغَ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرَأ، فقلت: **ما أنا بقارئٍ**، فأخذني فغطَّني الثالثةَ حتى بلغَ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:١-٥].

فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ ترجفُ بوادرُه حتى دخلَ على خديجةَ فقال: «**ما لي؟!**» فأخبرَها الخبرَ وقال: «**قد خشيتُ عليَّ**»، فقالت له: أبشِرْ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصلُ الرحمَ، وتصدقُ الحديثَ، وتحملُ الكلَّ، وتَقرِي الضيفَ، وتعينُ على نوائبِ الحقِّ، ثم انطلقَتْ به خديجةُ حتى أتَتْ ورقةَ بنَ نوفل بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي وهو عمُّ خديجة أخو أبيها، وكان امرءًا تنصَّرَ في الجاهلية، وكان يكتبُ الكتاب بالعربي، فكتب بالعبريةِ في الإنجيل ما شاءَ الله أن يكتبَ، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالَت له خديجةُ: ابنَ عمِّ اسمع من ابن أخيك، فقال ورقةُ: أخي ما ترى؟ فأخبرَه رسولُ الله ﷺ بما رآه، فقال ورقةُ: الناموس الذي أنزِل على موسى عليه السلام، يا ليَتني فيها جَذَعًا أكون حيًّا، حتى يُخرجَك قومُك، فقال النبي ﷺ: «**أو مُخرجيَّ هم؟**»

قال: نعم، لم يأت أحدٌ قط بمثلِ الذي جئتَ به إلا عُودي وأوذي، وإن يُدركني يومُك، أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقةُ أن توفي، وفتر الوحيُ فترة حتى حزنَ رسول الله ﷺ -فيما بلغَنا- حزنًا غدى منه مرارًا كي يتردى من شواهق الجبالِ، فكلما أوفى بذروةِ جبل كي يُلقي نفسه، تبدَّا له جبريلُ عليه السلام، فقال: يا محمدُ، إنك لرسولُ الله حقًّا، فيسكن لذلك جأشُه، وتقر نفسُه فيَرجع، فإذا طالت عليه فترةُ الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا أَوفى بذروة جبل تبدَّى له جبريلُ عليه السلام، فقال له مثلَ ذلك[(١)].

قال الشيخُ: وفيما رَوينا من اختلاف الرواياتِ في شأن نزولِ سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ أن عائشةَ وغيرها رَووا أن جبريل ألقاها إلى رسول الله ﷺ في اليقظةِ، وفي رواية غيرها أن ذلك في المنامِ، احتمالُ الأمرين جميعًا، بأن أُري ذلك في النوم حتى حفظَه، وذكره بعد انتباهه ﷺ، وأُعيد الإلقاء إليه ثانيًا في اليقظة، كما قال تعالى: ﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ...﴾ [الأعلى:٦ - ٧] وقال: ﴿۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ...۝١٠٦﴾ [البقرة:١٠٦] فيكونُ هذا ضربًا من البرهانِ له عليه السلام، وتثبيتًا وتبصيرًا له على صحةِ مجيء جبريلَ عليه السلام إليه، وتعليمِه له، واللهُ أعلم.

٦٧- عن عُبيد بن عميرِ بن قَتادةَ الليثي قال: كان رسولُ الله ﷺ يجاورُ في حِراءَ من كل سنةٍ شهرًا، أو كان ذلك مما تتحنَّثُ به قريشٌ في الجاهلية، والتحنُّث: التبرر.

وقد قال أبو طالب:

وراقٍ ليرقى في حراءٍ ونازلِ

(١) أخرجه البخاري (٦٩٨٢).

فكان رسولُ الله ﷺ يجاورُ ذلك الشهرَ، من كل سنة يُطعمُ من جاءه من المساكين، فإذا قضَى رسولُ الله ﷺ جوارَه من شهره ذلك، كان أولُ ما يبدأُ به -إذا انصرفَ من جوارِه- الكعبةَ قبل أن يدخلَ بيته، يطوفُ بها سبعًا، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجِع إلى بيته، حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله تعالى به ما أرادَ من كرامته من السَّنةِ التي بعثَه فيها، وذلك الشهرُ شهر رمضانَ، خرجَ رسول الله ﷺ إلى حراءٍ كما كان يخرج لجواره، معه أهلُه حتى إذا كانت الليلةُ التي أكرَمه الله تعالى فيها برسالَته، ورحِم العبادَ بها، جاءه جبريلُ عليهما السلام من الله تعالى.

قال رسولُ الله ﷺ: «**فجاءَني وأنا نائمٌ بنمطٍ من ديباجٍ فيه كتاب، فقال: اقرأْ**».

قال: «**قلت: ما أقرأ؟**»

قال: «**فغتَّني حتى ظننتُ أنه الموتُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ**».

قال: «**قلتُ: ما أقرأ؟**»

قال: «**فغتَّني حتى ظننتُه الموتَ، ثم أرسلني قال: اقرأْ؟**»

قال: «**قلت: ما أقرأُ؟**»

قال: «**فغَتَّني حتى ظننت أنه الموتُ، ثم أرسلني قال: اقرأْ**».

قال: «**قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا لأَفتَدِيَ منه أن يعودَ لي بمثلِ ما صنعَ بي، قال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ **إلى قوله:** ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق:١: ٥]»

قال: «فقرأتُها، ثم انتهى فانصرفَ عنِّي، وهبَبتُ من نَومي، فكأنما كُتبت في قلبي كتابًا».

قال: «ولم يكن من خلق الله أحدٌ أبغضَ إليَّ من شاعرٍ أو مجنونٍ، كنت لا أُطيقُ أن أنظرَ إليهما».

قال: «قلت: إن الأبعدَ، -يعني: نفسَه- لشاعرٌ أو مجنونٌ، لا تُحدِّثُ بهذا قريشٌ عني أبدًا، لأعمدنَّ إلى حالقٍ من الجبلِ(١)، ولأطَرحنَّ نفسي منه، فلأقتلَنَّها فلأستريحَنَّ».

قال: «فخرجت أريدُ ذلك، حتى إذا كنتُ في وسَطٍ من الجبلِ، سمعتُ صوتًا من السماءِ يقولُ: يا محمدُ، أنت رسولُ الله، وأنا جبريلُ».

قال: «فرفعتُ رأسي إلى السماءِ أنظرُ، فإذا جِبريل في صورة رجلٍ صافٌّ قدميه في أُفق السماء، يقولُ: يا محمد، أنت رسولُ الله، وأنا جِبريلُ».

قال: فوقفتُ أنظرُ إليه، وشغَلني ذلك عما أردتُ، ما أتقدمُ ولا أتأخَّر، وجعلت أصرِف وجهي في آفاقِ السماءِ، ولا أنظرُ في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك، فما زِلتُ واقفًا ما أتقدَّم أمامي ولا أرجعُ ورائي، حتى بعَثَت خديجةُ رُسلها في طلبي، فبلغوا مكةَ، ورَجَعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك، ثم انصرَف عني، وانصرفْت راجعًا إلى أهلي، حتى أتيتُ خديجة، فجلست إلى فخِذها مضيفًا، فقالت: يا أبا القاسمِ، أين كنت؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك حتى بَلَغوا مكةَ ورجَعوا إليَّ».

---

(١) (حَالِق): أي: من جبل عال.

قال: «**قلت لها: إن الأبعدَ لشاعرٌ أو مجنونٌ، فقالت: أُعيذُك بالله من ذلك يا أبا القاسمِ، ما كان الله لِيصنَع ذلك بك، مع صدقِ حديثك، وعِظَم أمانتِك وحُسن خُلقُك، وصلتِك رحمَك.**

وما ذاك يا ابنَ عم؟ لقد رأيتَ شيئا؟»

قال: «**قلتُ: نعم، ثم حدثتُها الذي رأيت.**

فقالت: أبْشِر يا ابنَ عمٍّ، واثبُت فوالذي نفسُ خديجة بيدِه، إني لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأُمة».

قال: ثم قامت فجمَعت عليها ثيابَها، ثم انطلَقت إلى ورقةَ بنِ نوفلَ بن أسَدٍ -وهو ابنُ عمها- وكان ورقةُ قد تنصَّر وقرأ الكتب، وسمع من أهلِ التوراةِ وأهل الإنجيلِ، فأخبرَته بما أخبرَها به رسولُ الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قُدُّوسٌ، قدوس، والذي نفسُ ورقةَ بيدِه، لئن كنتِ صدقتِني يا خديجةُ، لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ، الذي كان يأتي مُوسى، وإنه لنبيُّ هذه الأمةِ، فقولي له: فليثبُت.

فرجعتْ خديجةُ إلى رسولِ الله ﷺ، فأخبرَته بقول ورقةَ، وسهَّل عليه ذلك بعضَ ما كان فيه من الهمِّ بما جاءه، فلما قَضى رسول الله ﷺ على جِواره وانصرفَ، صنعَ فيه كما يصنَع، بدأ بالكعبَة، فطاف بها فلقِيه ورقةُ بن نَوفل وهو يطوفُ بالكعبة، فقال: يا أخي أخبرني بما رأيتَ وسمِعت، فأخبره رسولُ الله ﷺ.

فقال له ورقةُ: والذي نفسي بيدِه إنك لنبيُّ هذه الأُمة، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ، الذي جاء موسى، ولتُكذَّبنَّ، ولتُؤذينَّ، ولتُخرَجنَّ، ولتُقاتَلن، ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرنَّ الله تعالى نصرًا يعلمُه، ثم أدنى رأسه فقبَّل يافوخَه، ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى منزلِه، وقد زاده ذلك من قولِ ورقة ثباتًا، وخفَّف عنه

بعضَ ما كان فيه من الهمِّ[(١)].

٦٨- عن أنسِ بن مالكٍ، قال: كان أبو ذرٍّ يُحدِّث أن رسولَ الله ﷺ قال: «**فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكَّة، فنزل جِبريلُ عليه السلام، ففَرَجَ صدري حتى غسلَه من ماءِ زمزمَ، ثم جاءَ بطستٍ من ذَهب مُمتلئ حكمةً، وإيمانًا، فأفرَغها في صدري، ثم أطبَقه**»[(٢)].

٦٩- عن أنسٍ -وهو يُحدثُ عن ليلةِ أُسرِيَ بالنبي ﷺ- قال: بينَا رسولُ الله ﷺ نائمٌ أتاه ثلاثةُ نفرٍ قبل أن يُوحَى إليه وهو نائمٌ في المسجدِ الحرامِ، فقال أولهم: أيُّهم هو؟

فقال أوسَطُهم: هو خيرُهم.

فقال آخرهم: خذوا خيرَهم.

فلم يُكلِّموه حتى احتَمَلُوه فوضَعُوه عند بئرِ زمزم، فتولاه منهم جِبريلُ، فشقَّ جبريلُ عليه السلام ما بين نحرِه إلى لَبَّتِه[(٣)] حتى فرغَ من صدرِه وجوفِه، فغسلَهُ بماء زمزم حتى أنقى جوفَه، ثم أُتيَ بطستٍ من ذهب فيه تورٌ من ذهبٍ محشوًّا إيمانا وحكمةً، فحشَا به صدرَه ثم أطبَقَهُ[(٤)].

---

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» ٤/ ٥٤ (٢٤٢٠)، والطبري في «تاريخه» ٢/ ٣٠٠-٣٠٢، والآجري في «الشريعة» ٣/ ١٤٣٨ (٩٧١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ١٤٨، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٣/ ١٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٣) (لَبَّتِه) اللَّبَّة: موضع القلادة من الصدر.

(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٠)، ومسلم (١٦٢).

(٢٢) ذِكر إتيان جبريلَ النبيَّ صلى الله عليهما في صورته التي هي صورتُه

٧٠- عن سليمانَ الشيبانيِّ قال: مَرَّ بنا زرُّ بن حبيشٍ، فقمتُ إليه، فسألتُه عن قول الله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم:١٨] فقال زرٌّ: قال عبدُ الله: رأى جبريلَ عليه السلام في صورته، له ستُّمئة جناحٍ[(١)].

فأما كيفيةُ إلقاء الوحي إلى النبيِّ ﷺ:

٧١- فعن عائشةَ، أن الحارثَ بن هشام، سأل رسولَ الله ﷺ، قال: كيف يأتيك الوحيُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني في مثلِ صلصلةِ الجرسِ، وهو أشده عليَّ، فيُفصم عني، وقد وعيتُ ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملكُ رجلًا، ويكلمني وأعي ما يقول**»

قالت عائشةُ: ولقد رأيتُه ينزل عليه الوحيُ في اليوم الشديدِ البرد، فينفصمُ عنه، وإن جبينَه ليتفصدُ عرقًا[(٢)].

فأما كيفيةُ أخذ النبيِّ ﷺ القرآنَ عن جبريلَ عليه السلام:

٧٢- فعن ابنِ عباسٍ، في قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾[القيامة:١٦ - ١٧] قال: كان النبيُّ ﷺ يعالج من التنزيلِ شدةً، فكان يحركُ شفتيه.

قال ابنُ عباس: إنما أُحرك شفتي، كما رأيتُ رسول الله يحرك شفتَيه، فأنزل الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾[القيامة:١٦ - ١٧] قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٢) أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

يَجمعه في قلبك، ثم تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة:١٨] يقول: استمِع، وأنصِت ﴿... إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة:١٩] قال: فكان النبيُّ ﷺ بعد ذاك إذا انطلق جبريلُ قرأه كما أقرأه[1].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وجميعُ ما تقدَّمَ ذِكرُنا له من هذه الأخبارِ داخلٌ في المعجزاتِ، وجرى الأمر فيه مرتبًا، فأوله: ما كان عليه السلام يراه في منامه، كما رَوت عائشةُ أن أولَ ما بُدئ به: الرؤيا الصادقةُ، إذ الرؤيا الصادقة جزءٌ من أجزاءِ النبوة، فكانت الرُّؤيا التي تجيءُ مثل فلق الصبحِ، مقدمةَ النبوة، ثم وجبَ أن يكون عليه السلام عالما بمَن يأتيه، فكان التَّخلي، والتوحيد في الجبال والغيران محببًا إليه، لوقوع ترائي الملك له خاليًا، وليقع له عليه السلام المعرفةُ بمن يأتيه ويناديه، فأراه جبريلُ عليه السلام له نفسَه على صورةٍ مختلفة من جملتها: صورتُه التي هي صورته، لتكون صورةُ المباينةِ لصورةِ الآدميين آيةً له في صدق ما ادعاه، أنه مرسلٌ بالوحي إلى النبيِّ ﷺ، ويكون ما عدا هذه الصورةِ التي هي صورتُه تقريرًا عنده لإتيانِه إليه في صورة مختلفةٍ، حتى كان أكثرُ ما كان يراه في صورة دِحية الكلبيِّ، وفيما تأول عبدُ الله بن مسعود، وعائشةُ، في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨﴾ [النجم:٨] ببيان أن جبريلَ ترائى للنبي ﷺ بين السماءِ والأرضِ، في صورتِه التي عليها خُلق، وإن نظرَ النبيُّ ﷺ إليه حين دنا منه متدليًا، حتى كان قربُ المجلسِ منه قابَ قوسين أو أدنى، وأنه لم يلاقِه في هذه الحالةِ، بل جلس منتبذًا عنه على سبيلِ التعظيمِ له، كالمجالس منَّا إلى سلطانه، وملكه مباينًا له مباعدًا عنه، ففعل جبريلُ ذلك به ﷺ معظمًا له، ثم عرَّفه حقيقةَ ما كان ناجاه به، فيُقرر بهذا

(١) أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

عند رسولِ الله ﷺ إليه أنه ملكٌ، وهو رسولُ الله ﷺ إليه، آتاه الوحيَ من قِبَل الله، ولم يكن التدالي والدُّنو في ترائيه له، بل كان ذلك بعد الأولِ، ليكونَ التعريف على تدريج، إذ في المفاجأةِ غير مأمونٍ من دهشة تلحقُه، فجرى الأمرُ فيه على المعقول من الأمر الجميلِ.

فأما غطُّ جبريلَ عليه السلام غير مرةٍ، وقوله: اقرأ، فيقولُ: «**ما أنا بقارئ**» فيحتمل أن يكون منه على وجه التقريرِ له، لما كان عليه من الأُميَّةِ، فقرره بذلك، ثم أقرَأه، كما قرر الله موسى عليه السلام بالعصا، حين أراد أن يجعلَها حيةً، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:١٧] ليخبرَه بحقيقةِ ما في يمينِه، حتى إذا قلبها حيةً تسعى، كان أبلغَ له في الحُجة، والتشجعِ في أداء الرسالةِ وتحملِها.

ويحتمل أن يكون غطُّه إياه إشارةٌ إلى ثقل الوحي، وأن وراءَ هذه القراءة وجهًا آخر، لا يظهر له فيه جبريلُ، وإنما يَعرف عليه السلام نزوله، بما يحدثُ له من الثقلِ، والغطيط، والبُرَحاءِ، وما في معناه وغير ذلك.

ويحتمل أن يكون الغطُّ تَهْيئةً لقبولِ الوحي، كما فعله في شَقِّه قلبه، وشرحِ من صدره، والله أعلم.

وجميعُ ذلك من الأدلةِ والآيات، والمعجزاتِ التي يكون له ﷺ خاصةً في نفسِه، إذ الواجبُ في إثبات النبوةِ إقامةُ البرهان للرسولِ في نفسه، ليتقررَ عنده حقيقةُ رسالته، فيُؤذن له عند ذلك في الدعوة، ثم يُمد بالبراهين لأمتِه، وأهلِ دعوته، والله أعلم.

(٢٣) فصل في ذكرِ حراسة السماءِ من استراقِ السمعِ، لثبوت بعثِه، وعلوِّ دعوتِه

٧٣- عن ابنِ عباسٍ، قال: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ، وما رآهم، انطلقَ رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابِه عامدينَ إلى سوقِ عُكاظ، وقد حِيْلَ بين الشياطين، وبين خبرِ السماءِ، وأُرسل عليهم الشُّهب، فرجعت الشياطينُ إلى قومِهم، فقالوا: ما لكم؟

قالوا: حيلَ بيننا وبينَ السماء، وأرسلت علينا الشُّهب.

قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدثَ، فاضرِبوا مَشارقَ الأرض ومغاربَها، فمَرَّ النفرُ الذين أخذوا نحو تِهامة، وهو بنخلٍ عامدين إلى سوقِ عُكاظ، وهو يصلِّي بأصحابه صلاةَ الفجرِ، فلما سمِعوا القرآنَ، استمعوا له، وقالوا: هذا الذي حالَ بيننا وبين خبرِ السماءِ، فرجَعوا إلى قومِهم، فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ - ٢] فأوحى الله إلى نبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾ الآية [الجن: ١][(١)].

٧٤- عن عليِّ بن الحسينِ، أن ابنَ عباسٍ أخبرَه عن رجلٍ من الأنصارِ، قال: بينما نحن جلوسٌ عند رسولِ الله ﷺ، إذ رُمي بنجمٍ فاستنارَ، فقال النبي ﷺ: «**ما كنتُم تقولونَ لمثلِ هذا إذا رُمي؟**».

قالوا: الله ورسولُه أعلمُ، كنا نقولُ: وُلد الليلةَ رجلٌ عظيمٌ، ومات الليلةَ رجل عظيمٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

فقال رسولُ الله ﷺ: «فإنها لا يُرمى بها لموتِ أحدٍ، ولا لحياتِه، ولكن ربُّنا إذا قَضى أمرًا سبَّحه حَمَلة العرشِ، ثم أهلُ السماءِ الذين يَلونَهم، ثم سبَّحه أهلُ السماءِ الذين يَلونهم، حتى يبلُغَ التسبيحُ أهل سماءِ الدنيا، ثم يقول الذين يَلون حَمَلةَ العرشِ لحملة العرشِ: ماذا قال ربُّكم؟ فيجيبونَهم، فيستخبرُ أهلُ السموات بعضُهم بعضًا، حتى يبلغَ الخبرُ هذه السماءَ الدنيا، فتخطفُ الجنُّ السمعَ، فيُلقونه إلى أوليائهم، فما جاؤوا به على وجهِه فهو صحيحٌ، ولكنهم يَقرِفونَ فيه ويَزيدون، فترُمى الشياطينُ بالنجومِ»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٩).

(٢٤) فصل في ذكر أخذِ القرآن ورؤيةِ النبي ﷺ بالقلوبِ، حتى دخل كثيرٌ من العُقلاء في الإسلام في أوَّل المُلاقاة

إن الله جلَّت عظَمته أيَّد محمدًا ﷺ بما لم يؤيِّد به أحدًا من العالمين، وخصَّه من خصائصِه بما يَفوقُ حد كراماتِ الأنبياء، ومَراتِبِ الأولياء، فكانت علاماتُ نبوَّته على حسب منزلتِه ومحلِّه عندَ الله، فليس من آيةٍ ولا علامةٍ أبدعَ ولا أروعَ من آيات محمدٍ ﷺ، وهو القرآن المُبين، والذكرُ الحكيم، والكتابُ العزيز، الذي لم يُجعل له عوجًا، قيِّما، أنزله عليه في أوانٍ وزمان فيه الخلقُ الكثير، والجمُّ الغفير، أولو الأحلامِ والنُّهى والأفهام، والألسُن الحداد، والقرائحِ الجيادِ، والعقولِ الفِذاذ، أولو الحِنك والتجاربِ والدهاءِ والمكرِ.

فلما سمِعوا القرآن قَدَّروا أن في وُسعِهم معارضتَه، فقالوا: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآۙ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣١﴾ [الأنفال: ٣١].

فتحدَّاهم ﷺ بالقرآن، يَقرعُ به أسماعَهم أن ائتوا ﴿بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٣﴾ [هود: ١٣].

فشحَذوا البصائرَ، واستخرَجوا الذخائرَ، وبَذلوا المُهجَ والأموالَ، وترصَّدوا للقتل والقِتالِ، وبذلوا الأهلَ والولدَ والعِيال يقتلون ويَستأسرونَ ويسترقونَ، تُستباحُ ديارُهم، وتُستملَك رقابُهم، ويُنالون بالذل والصَّغار، ويؤوبون بالخِزي والخَسار، لعجزِهم مع ما لهم من الفصاحةِ واللِّسان، والبلاغة والبَيان، أن يأتوا بِسورة يخترعونَها بأهون سعي، وأدنى كُلفة، لا يَرزأُهم ذلك مالًا، فيُبطلون به مغزاه، ويَدفعون به دَعواه، ويُريحون أنفسَهم من عظيم البَليَّة، وجَسيم الأذيَّة.

وأنَّى لهم ذلك والله يقول: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]، مع دعائه ﷺ إيَّاهم أن يأتوا بِسورةٍ من مثلِه، فلم يَقدروا عليه؛ لأنه كلامُ الله المنزَّل عليه، وهو كما أخبر الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٣، ١٤] وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

٧٥- عن عكرمةَ، أو سعيدِ بن جبير، أن الوليدَ بن المغيرة، اجتمعَ إليه نفرٌ من قريش، وكان ذا سِنٍّ منهم، وقد حضر الموسمُ، فقال لهم: يا معشرَ قريش، إنه قد حضر هذا الموسمُ، وإن وفودَ العرب ستقدمُ عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبِكم، فأجمِعوا فيه رأيًا واحدًا ولا تختلفوا، فيُكذب بعضُكم بعضًا، ويرد قولَكم بعضُه بعضًا.

قالوا: فأنت يا أبا عبدِ شمس، فقل، وأقم لنا رأيًا نقل به.

قال: بل أنتم، فقولوا وأسمع.

قالوا: نقول: إنه كاهنٌ.

قال: ما هو بكاهنٍ، لقد رأينا الكهانَ، فما هو بزمزمةِ الكهان ولا سجعِه.

قالوا: فنقول: إنه مجنونٌ.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنونَ وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخالجِه، ولا وسوستِه.

قالوا: فنقول: شاعرٌ.

قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعرَ كله، رجزَه، وهزجَه، وقريضَه، ومقبوضَه، ومبسوطَه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول: ساحرٌ.

قال: ما هو بساحرٍ، لقد رأينا السحارَ وسحرَهم، فما هو بنفثِه ولا عقدِه.

قالوا: فما تقول يا أبا عبدِ شمس؟

قال: إن لقولِه لحلاوة، وإن أصلَه لَغَدِقٌ، وإن فرعَه لجَناةٌ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرف أنه باطلٌ، وإن أقربَ القول فيه لأن تقولوا: هو ساحرٌ، يُفَرِّق بين المرء وابنه، وبين المرءِ وأخيه، وبين المرءِ وزوجته، وبين المرء وعشيرتِه، فتفرقوا عنه بذلك[(١)].

٧٦- عن عبدِ الله بن عمر، أن قريشًا اجتمعت لرسول الله ﷺ، ورسولُ الله جالس في المسجد، فقال عتبةُ بن ربيعة لهم: دَعوني حتى أقومَ إليه، فأكلمه، فإني عسى أن أكونَ أرفق به منكم، فقام عتبةُ حتى جلس إليه، فقال: يا ابنَ أخي، أراك أوسطنا بيتًا وأفضَلنا مكانًا، وقد أدخلتَ على قومك ما لم يُدخل رجل على قومه مثلَه، فإن كنتَ تطلب بهذا الحديث مالًا، فذلك لك، على قومك أن تجمعَ لك، حتى تكونَ أكثرنا مالًا، وإن كنتَ تطلب شرفًا، فنحن مشرفوك، حتى لا يكون أحدٌ من قومك فوقَك، ولا يَقطع الأمر دونك، وإن كان هذا عن لَمَم يصيبُك لا نقدر عن النزوعِ منه؛ بذَلنا لك خزائنَنا حتى تعذرَ في طلب الطب لذلك منك، وإن كنتَ تريد ملكًا ملكناك.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٥٠-١٥١).

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أَفرغت يا أبا الوليدِ**»؟ قال: نعم. فقرأ عليه النبيُّ ﷺ: «**الم السجدة**» حتى مر بالسجدة فسجدَ، وعتبةُ ملقٍ يده خلف ظهرِه، حتى فرغَ من قرائتها، ثم قام عتبةُ، ما يدري ما يراجعه به إلى نادي قومِه، فلما رأوه مقبلًا قالوا: لقد رجع إليكم بوجه غير ما قام من عندكم، فجلسَ إليهم، فقال: يا معشرَ قريش، قد كلمتُه بالذي أمرتُموني به، حتى إذا فرغتُ، كلمني بكلام لا والله ما سمعَت أُذناي مثلَه قط، وما دريتُ ما أقول له، يا معشرَ قريش فأطيعوني اليومَ، واعصوني فيما بعدَه، اتركوا الرجلَ واعتزِلوه، فوالله، ما هو بتارك ما هو عليه، وخلوا بينه وبين سائر العربِ، فإن يظهرَ عليه يكون شرفُه شرفكم، وعزُّه عزكم، وإن يظهروا عليه تكونوا قد كفيتُموه بغيركم، قالوا: صبأتَ يا أبا الوليدِ(١)!

٧٧- عن ابنِ عباسٍ: أن رجلًا من أزد شَنوءةَ يُقال له: ضِماد، كان يُعالج من الأرواحِ، فقدِمَ مكة، فسمِعهم يقولون للنبي ﷺ: ساحرٌ، وكاهنٌ، ومجنونٌ.

فقال: لو أني أتيت هذا الرجلَ لعلَّ الله يَشفِيَه على يديَّ، قال: فلقيه، فقال: يا محمدُ، إني أرقي من هذا الرِّيح، فإن الله يشفي على يديَّ مَن شاءَ، فهل فيَّ؟!

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسوله، أما بعد**».

فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء، ولقد بلغنَ قاموسَ البحر، هات يدك أبايعْك على الإسلامِ، قال: فبايعه رسولُ الله ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٨/ ٢٤٤.

فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومِك؟»

قال: وعلى قومِي.

قال: فبعثَ رسول الله ﷺ سَريةً، فمروا بقومه، فقال صاحبُ السرية للجيشِ: هل أصبتُم من هؤلاء شيئًا؟

فقال رَجلٌ من القَومِ: أصبتُ منهم مَطهرةً.

قال: «رُدَّها، فإن هؤلاء قومُ ضمادٍ»(١).

٧٨- عن جُبيرِ بن مُطعِمٍ، قال: قدِمت المدينة -إذ قدمتُها- وأنا غيرُ مسلمٍ يومئذ، فأقدمُ وقد أصابني كرًى شديدٌ، فنِمت في المسجدِ، حتى فزِعت بقراءةِ رسولِ الله ﷺ للمغربِ، وهو يقرأ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢﴾ [الطور: ١، ٢]، فاسترجعتُ حتى خرجتُ من المَسجدِ، وكان أولَّ ما دخل قلبي الإسلامَ(٢).

٧٩- عن محمدِ بن إسحاق، قال: وكان رسولُ الله ﷺ على ما يَرى من قومه، يبذلُ لهم النصيحةَ، ويدعوهم إلى النجاةِ فيما هم فيه، وجعلَت قريشٌ حين منعه الله منهم، يحذرونَه الناس، ومن قدمَ عليهم من العرب، فكان الطُّفيل بن عمرو الدوسي يُحدث، أنه قدم مكةَ ورسولُ الله ﷺ بها، ومشى إليه رجالٌ من قريش، وكان الطفيلُ رجلًا شريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طُفيلُ، إنك قدمت بلادَنا، وهذا الرجلُ الذي بين أظهُرنا قد عضلَ بنا، وفرق جماعتَنا، وإنما قولُه كالسحر، يُفرق بين الرجل وبين ابنه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نَخشى عليك وعلى قومِك، ما قد دخل علينا، فلا تكلمنَّه، ولا

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٢/ ١٣٨ (١٥٨٥)، وأصله مختصرًا في البخاري (٤٠٢٣)، ومسلم (٤٦٣).

تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمعَ منه شيئًا، ولا أُكلمُه حتى حشوتُ أذني -حين غدوتُ إلى المسجد- كرسفًا فَرقًا، من أن يَبلغني من قوله، وأنا لا أريدُ أن أسمعَه.

قال: فغدوتُ إلى المسجد، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلي عند الكعبةِ، قال: فقمتُ قريبًا منه، فأبى الله إلَّا أن يُسمعني بعضَ قوله، قال: فسمعتُ كلامًا حسنًا، قال: فقلتُ في نفسي: واثُكلَ أمي، والله، إني لرجلٌ لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ الحسنُ من القبيحِ، فما يَمنعُني من أن أسمعَ من هذا الرجلِ ما يقول، فإن كان هذا الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته.

قال: فمكثتُ حتى انصرف رسولُ الله ﷺ إلى بيته، فاتبعتُه حتى إذا دخل بيتَه دخلتُ عليه، فقلت: يا محمدُ، إن قومَك قالوا لي: كذا وكذا، الذي قالوا، فوالله ما برِحوا يُخوفوني أمرَك، حتى سددتُ أذني بكُرسفٍ؛ لئلا أسمعَ قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعَنيه، فسمعت قولًا حسنًا، فاعرِض عليَّ أمرك، قال: فعرضَ عليَّ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن.

قال: فوالله ما سمعت قولًا قط أحسنَ، ولا أمرًا أعدل منه، قال: فأسلمتُ، وشهدت شهادةَ الحق، وقلتُ: يا نبي الله، إني امرؤٌ مطاع في قومي، وأنا راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادعُ الله أن يجعلَ لي آية، يكون لي عونًا عليهم، فيما أدعوهم إليه، قال: «**فقال: اللهمَّ اجعل له آيةً**».

قال: فخرجتُ إلى قومي، حتى إذا كنتُ بثنية تُطلعني على الحاضر، وقع نورٌ بين عيني مثل المصباح، قال: فقلتُ: اللهم في غير وجهي، فإني أخشى أن يَظنوا أنها مُثلةٌ، وقعت في وجهي لفراق دينهم، قال: فتحول، فوقعَ في رأس سوطي،

فجعل الحاضرون يتراءَون ذلك النورَ في سوطي كالقِنديل المُعلق، وأنا أنهبطُ إليهم من الثنية، قال: حتى جئتَهم، فأصبحت فيهم، فلما نزلتُ أتاني أبي، وكان شيخًا كبيرًا قال: فقلتُ: إليك عنِّي يا أبه، فلستُ منك، ولستَ مني، قال: ولم، أي بنيَّ؟ قال: قلت: أسلمتُ، وتابعتُ دين محمد عليه السلام، قال أبي: فديني، دينُك، فاغتسلَ، وطهَّرَ ثيابه، ثم جاء فعرضتُ عليه الإسلام، فأسلمَ، قال: ثم أتَتني صاحِبتي، فقلتُ لها: إليك عني، فلستُ منك، ولستِ مني، قالت: بأبي أنتَ وأمي، قال: قلتُ: فرَّق بيني وبينك الإسلامُ، أسلمت، وتابعتُ دين محمدٍ، قالت: فديني دينُك الإسلام، فأسلمَت، ثم دعوتُ دوسًا إلى الإسلام، فأبطؤا عليَّ، ثم جئتُ رسول الله ﷺ بمكةَ، فقلتُ: يا نبيَّ الله، إنه قد غلبني على دوس الزِّنا، فادعُ الله عليهم، فقال: «**اللهمَّ اهد دوسًا**» ارجع إلى قومِك فادعُهم، وارفُق بهم، قال: فرجعتُ، فلم أزل بأرض دوسٍ أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجرَ رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقضى بدرًا، وأحدًا، والخندقَ، ثم قدِمت على رسول الله بمَن أسلم معي من قومي، ورسولُ الله ﷺ بخيبرَ، حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوسٍ[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومِمَّا يدخلُ في هذا البابِ مِن أخذِ القرآنِ بالقلوبِ إسلامُ عمرَ بنِ الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٨٠- عن عبدِ الله بنِ أبي نَجيحٍ المَكي، عن أصحابِه عطاءٍ ومُجاهدٍ، أو عن مَن روى ذلك عنه، أن إسلامَ عمرَ بنِ الخطابِ -فيما تَحدَّثوا به عنه- أنه كان يقولُ: كنت للإسلامِ مُباعدًا، وكنتُ صاحبَ خمرٍ في الجاهليةِ، أُحبُّها فأشربُها،

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١/ ٣٨٥.

وكان لنا مَجلس يجتمعُ فيه رجالٌ من قريشٍ بالحَزْوَرَةِ عندَ دورِ آل عمرو بن عائذِ بن عمران بن مخزومٍ.

قال: فخرجتُ ليلة أريدُ جلسائي في مجلسنا ذلك، فلم أجدْ فيهم أحدًا، فقلت: لو أني جئت فلانًا الخمارَ، وكان بمكة رجلٌ يبيع الخمرَ، لعلِّي أجد عندَه خمرًا فأشربُ منها.

قال: فجئتُه فلم أجدْه.

قال: قلت: لو جئتُ الكعبةَ، فطُفت بها سبعًا أو سبعين، قال: فجئت المسجدَ أريدُ أن أطوفَ بالكعبةِ، فإذا رسولُ الله ﷺ قائمٌ يُصلي، وكان إذا صلَّى استقبل الشامَ، وجعَل الكعبة بينَه وبين الشامِ، وكان مُصلاه بين الركنين الأسودِ والركنِ اليماني.

وقال: فقلت حين رأيتُه: والله لو أني استمَعتُ الليلةَ لمحمدٍ، حتى أسمعَ ما يقول.

وقلت: لئن دنوتُ أسمعُ منه لأروعنَّه.

قال: فجئتُ الكعبةَ من قِبَلِ الحِجرِ، فدخلتُ ثيابَها، فجعلت أمشي رُويدًا، ورسول الله ﷺ قائمٌ يصلي يقرأُ القرآنَ، حتى قُمت في قبلتِهِ مُستقبلًا ما بيني وبينه، إلا ثياب الكعبةِ.

قال: [فلما] سمِعتُ القرآنَ، رَقَّ له قلبي، فبَكيت ودخلني الإسلامُ، فلم أزل قائمًا في مكاني، حتى قَضى رسولُ الله ﷺ صلاتَه، ثم انصرفَ، وكان إذا انصرف خرجَ على دارِ بني أبي حسينٍ، وكانت طريقَه حتى يخرجَ إلى المسعى، ثم

يسيرُ بين دارِ عباسِ بن عبدِ المطلب، وبين دارِ ابن أزهرَ بن عبدِ عوفٍ الزُّهري، ثم على دارِ الأخنسِ بن شَريق، حتى يدخُل بيتَه، وكان مسكنُه في دار الرقطاءِ.

فاتَّبعتُه حتى إذا كان بين دارِ العباس، وبين دار [ابن] أزهرَ أدركتُه، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ حِسِّي، قام وعرَفني، فظنَّ رسولُ الله ﷺ أني إنما تَبعته لأُوذيه، فنهَمني، فقال: «**ما جاء بك يا ابنَ الخطابِ هذه الساعةَ؟**»

قال: قلت: إني أُؤمن بالله وبرسولِه، وبما جاء من عندِ الله.

قال: فحمِدَ رسولُ الله ﷺ الله وأثنى عليه، وقال: «**قد هداك الله يا عمرُ**». ثم مَسحَ صدري، ودعا لي بالثَّباتِ، ثم انصرفتُ عن رسولِ الله ﷺ ودخل بيتَه[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمُنتقى من ذكر هذه الأخبارِ التي مضت، من ذكر ضِماد وطفيل وغيرِهما، وما نذكرُه بعده من النجاشيِّ، وعمرو بن العاص وأبي ذرٍّ، وغيره أن موافقةَ العقلاء، وسرعةَ ميلهم إلى إجابةِ دعوة النبي ﷺ، وقبولِهم منه إحدى الدلائلِ في صدق دعواه للنبوة، لأنَّ إحدى الخلال، في صدق دعوته صحةُ ما يدعو المدعي لها من الشرائع، خصوصًا أمهات الشرائعِ؛ لأن ما وراءها مُفرع عنها، وفي صحة الأصل دلالةٌ على صحة الفرعِ؛ لأن شهادةَ النجاشيِّ بنبوته ﷺ عَقيب ما قرئ عليه من كتاب الله، وأعلم من أمهات شرائِعه، وقبولها وانقيادِه له عليه السلام من أوضح الدلائلِ.

وتَتضمن هذه القصةُ أيضًا إسلام عمرو بن العاص، وخالدِ بن الوليد.

---

(١) أخرجه عبد الله في زوائده على «فضائل الصحابة» ١/ ٢٨٣ (٣٧٤).

٨١- عن أبي ذر الغفاري، قال: خرجنا من قومِنا غفار، وكانوا يُحلون الشهر الحرام، قال: فخرجتُ أنا وأخي أنيسٌ وأمُّنا، فانطلقنا حتى نزلنا على خالٍ لنا، فأكرَمنا خالُنا، وأحسن إلينا، فحسدَنا قومُنا، وقالوا له: إنك إذا خرجتَ من أهلك، خالفَ إليهم أُنيس.

فجاء خالنا فنثا علينا ما قيل له، فقلتُ: أما ما مضى من معروفِك، فقد كدرتَ ولا جماع لك فيما بعد، قال: فقرَّبنا صرمتَنا فاحتملنا عليها، وتغطَّى خالنا بثوبه يَبكي، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكةَ، فتنافر أُنيسٌ عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهنَ فخَيَّر أُنيسًا، فأتانا بصرمتِنا ومثلها معها، وقد صليتُ قبل أن ألقى رسولَ الله ﷺ ثلاثَ سنين، فقلت: لمَن؟ قال: الله. قلتُ: أين توجه؟ قال: حيثُ وجهني الله، أصلي عشاء، حتى إذا كان من آخر السَّحرِ، أُلقيت كأني خَفاء -يعني: خباء- حتى تعلوني الشمسُ.

قال: فقال أُنيس: إن لي حاجةً بمكةَ، فاكفني حتى آتيكَ، فانطلقَ أنيسٌ فراث عليَّ -يعني: أبطأ- ثم جاء فقلتُ: ما حبسَك؟ قال: لقينا رجلًا بمكةَ على دينك، يزعم أن الله أرسلَه، قال: فما يقولُ له الناس؟ قال: يقولون: شاعرٌ، كاهن، ساحرٌ، وكان أنيس أحدَ الشعراء، قال أنيسٌ: والله لقد سمعتُ قول الكهنةِ، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قوله على أقراءِ الشعر، فلا يلتئمُ على لسان أحدٍ يفري أنه شعرٌ، والله إنه لصادقٌ، وإنهم لكاذبون، فقلت: اكفِني حتى أذهبَ فأنظر، قال: نعم، وكن من أهل مكةَ على حذرٍ، فإنهم قد شَنعوا له، وتجهَّموا له، قال: فانطلقتُ فقدمتُ مكةَ، فاستضعفتُ رجلًا منهم، فقلت: أين الذي يدعونَه الصابئُ؟ فأشار إليَّ، وقال: الصابئ! فمال عليَّ أهلُ الوادي بكل مدرة وعظمٍ، فخررتُ مغشيًّا عليَّ، فارتفعتُ حين ارتفعت كأني نُصُب أحمرٌ، فأتيت زمزمَ

فشربتُ من مائها، وغسلتُ عني الدماء، فلبثتُ بها ثلاثين من بين يوم وليلةٍ، ما لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم، فسَمِنتُ حتى تكسرَّت عكنُ بطني، وما وجدت على كبدي سخفةَ جوعٍ، قال: فبينا أهلُ مكة في ليلة قمراءَ إضحيان، إذ ضرب الله على أسمختِهم، فما يطوفُ بالبيت أحدٌ منهم غيرُ امرأتين، فأتتا عليَّ، وهما تدعوان إسافًا ونائلةَ.

قال: قلتُ: أَنكِحا أحدَهما الآخر، قال: فما تناهتا عن قولهما، قال: فأتتا عليَّ، فقلتُ: هَنٌ مثل الخشبةِ، غير أني لم أَكْني، فانطلقتا تولولان، وتقولان: لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا، فاستقبلَهما رسولُ الله ﷺ، وأبو بكرٍ، وهما هابطان من الجبل، فقال: «**ما لكُما؟**» قالتا: الصابئُ بين الكعبةِ وأستارِها، قال: «**فما قال لكما؟**» قالتا: قال لنا كلمةً تملأ الفم، قال: فجاء رسولُ الله ﷺ وصاحبُه، فاستلم الحجرَ، وطاف بالبيتِ، ثم صلى، فأتيتُه حين قضى صلاتَه، فكنتُ أولَ من حيَّاه بتحية الإسلامِ، قال: «**وعليك رحمةُ الله، ممن أنت؟**» قلتُ: من غفارٍ، فأهوى بيدِه إلى جبهتِه هكذا، قال: قلتُ في نفسي: كره أني انتميتُ إلى غفار، فذهبت آخذُ بيده، فدفعَني عنه صاحبُه وكان أعلمَ به مني، فقال: «**متى كنتَ ها هنا؟**» فقلتُ: كنت ها هنا منذُ ثلاثين، مِن بين يومٍ وليلة، قال: «**فمَن كان يُطعمك؟**» قلتُ: ما كان لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم، فسمنتُ حتى تكسَّرت عكنُ بطني، وما وجدتُ على كبدي سخفةَ جوع.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنها مباركةٌ، إنها طعامُ طُعم**» فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، ائذن لي في طعامه الليلةَ، قال: ففعل، قال: فانطلَق النبيُّ ﷺ وأبو بكر، فانطلقتُ معهما، ففتح أبو بكر بابًا، فجعل يقبضُ لنا من زبيب الطائفِ، قال أبو ذر: فذاك أولُ طعام أكلتُه بها، قال: فغبَرتُ ما غَبرتُ، فلقيتُ رسولَ الله ﷺ،

فقال: «**إني وُجِّهت إلى أرضٍ ذات نخل، ولا أحسبُها إلا يثربَ، فهل أنت مبلِّغٌ عني قومَك، عسى الله أن ينفعَهم بك، ويأجُركَ فيهم**» قال: فانطلقتُ حتى لقيتُ أخي أُنيسًا، فقال: ما صنعتَ؟ قلت: صنعتُ أني قد أسلمتُ وصدقت، فقال أُنيس: ما بي رغبةٌ عن دينك، فإني قد أسلمتُ وصدقت، قال: فأتينا أُمَّنا فقالت: ما بي رغبةٌ عن دينكما، فإني قد أسلمتُ وصدقت، قال: فاحتَملنا فأتينا قومَنا، فأسلم نصفُهم قبل أن يقدمَ رسولُ الله ﷺ على المدينة، وكان يؤمُّهم إيماءُ بن رحضة، وكان سيِّدَهم، وقال بقيتُهم: إذا قدم رسولُ الله ﷺ أسلمنا، فقدم رسولُ الله ﷺ فأسلم بقيتُهم، وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسولَ الله، نُسلِم على الذي أسلَم عليه إخوانُنا، فأسلَموا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**غفارٌ، غفرَ الله لها، وأسلَم، سالَمها الله**»(١).

٨٢- عن عمرِو بنِ العاص قال: لما انصرَفنا من الخَندقِ جمعتُ رِجالًا من قريشٍ يَسمعون منِّي، فقلت لهم: أترونَ رأيي، وتَسمعونَ مني؟

قالوا: نعم.

قلت: إني أرى أمرَ محمدٍ عليه السلام، يعلو الأمورَ عُلوًّا شديدًا، وإني قد رأيتُ رأيًا، فما تَرون فيه؟

قالوا: ما هو؟

قلت: أرى أن أَلحَقَ بالنجاشيِّ، فإن ظهرَ محمدٌ على قومِنا كنا عند النجاشيِّ، فنكون تحتَ يديه، أحبُّ إلينا أن نكون تحتَ يدي محمدٍ، وإن ظهرَ قومُنا على محمدٍ فهُم من قد عرَفتُموهم، ولا رأينا منهم إلا خيرًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٧٣).

فقالوا: إن هذا لَلرأيُ.

فقلت: فاجمعوا هدايا نُهديها له، فكان أحبُّ ما يهدى إليه من أرضنا الأدمَ، فجمعنا أدمًا كثيرًا، فخرجنا حتى قدِمنا عليه، فوالله إنا لعندَه إذ جاء عمرو بن أُميةَ الضَّمري، فلو قد دخلتُ عليه فقدَّمنا إليه هداياه، فسألتُه إياه، لأعطانيه نقتُلُه، فإذا فعلتُ ذلك، رأت قُريشٌ أني قد أَجَزتُ، حين قتلت رسولَ محمد.

قال: فدخلتُ عليه، فسجدتُ له كما كنَّا نصنعُ به.

فقال: مَرحبًا بك، هل أهديتَ لي من بِلادك شيئًا؟

قلت: نعم، أَهدَيتُ لك أيها الملكُ أدمًا كثيرًا.

قال: فقرَّبته إليه، فاشتهاهُ وأعجبَه، فقلت: أيها الملكُ، إني رأيتُ رجلًا خرجَ من عندك الآن هو رسولُ رجلٍ هو عدوٌّ لنا، فأعطينيه فأقتُلُه، فإنه قد أصابَ من أشرافِنا وأخيارِنا.

قال: فغضِبَ، ومد يده، فضربَ الأنفَ ضربةً ظننت أنه كاسرُهُ.

قال: فلو انشقتِ الأرضُ عند ذلك لدخلتُ فيها.

فقلت: أيها الملك، والله لو ظننتُ أنك تكرَه هذا ما سألتُكَه.

قال: أتسألني أن أُعطيكَ رجلًا لتقتلَه، رسولَ رجلٍ يأتيه الناموسُ الأكبرُ الذي يأتي موسى.

فقلت: أوَ كذلك هو؟

قال: نعم، ثم قال: أطعني واتَّبعه، فوالله إنه لعَلى الحقِّ، وليَظهَرنَّ على من خالفَه، كما ظهرَ موسى عليه السلام على فِرعونَ وجنودِه.

فقلت: أفتُبايعني له على الإسلامَ؟

قال: نعم.

قال: فبسط يدَه، فبايعتُه على الإسلامِ، ثم خرجتُ من عنده، وقد حالَ رأيي إلى غيرِه، فلقيتُ خالدَ بنَ الوليدِ، فقلت: أين يا أبا سُليمان؟

فقال: والله لقد استقامَ المِيسمُ، إن الرجلَ لعلى الحقِّ، وأنا أذهبُ فأسلم.

قلت: وأنا أيضًا.

قال: فقدِمنا المدينة، فأتينا رسولَ الله ﷺ، فتقدَّم خالدٌ، فأسلمَ وبايعَ، وتقدمتُ أنا، فقلت: وأنا أبايعُ، وذكرت ما تقدَّم من ذنبي، ولا أذكرُ ما استأخرَ.

فقال: «**بايع، فإن الإسلام يجُبُّ ما كان قبلَه، والهجرةَ تجب ما كان قبلها**». فبايعتُه[1].

٨٣- وقد روى محمدُ بن إسحاقَ ما ناظرَ به النضرُ بن الحارث قريشًا أن يبعثوا إلى أحبارِ أهل الكتابِ فيَسألوهم عما يُمْتَحَنُ به النبيُّ ﷺ وما يقولونه فيه.

فقال لهم أحبارُ يهود: سلوه عن ثلاثٍ نأمركم بهن، فإن أخبرَكم بهن، فهو نبيٌّ مرسل، وإن لم يفعلْ، فالرجلُ متقَوِّل، فروا فيه رأيَكم: سلوه عن فتيةٍ ذهبوا في الدهر الأولِ ما كان أمرُهم؟ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجب، وسلوه عن رجل

---

(١) أخرجه أحمد ٢٩/ ٣٤٩ (١٧٧٧٧).

طوافٍ، قد بلغ مشارقَ الأرض ومغاربَها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح، ما هو؟ فإن أخبرَكم بذلك، فهو نبيٌّ فاتبعوه، وإن لم يفعل، فهو رجلٌ متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكُم.

فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**أُخبرُكم بما سألتُم عنه غدًا**» ولم يَستثن فانصرَفوا عنه، فمكثَ رسولُ الله ﷺ فيما يذكرون خمسَ عشرةَ ليلةَ، لا يُحدِث الله إليه في ذلك وحيًا ولا يأتيه جبريلُ عليهما السلام، حتى أرجفَ أهلُ مكةَ، وقالوا: وعدنا محمد غدًا، واليوم خمسَ عشرةَ ليلة، قد أصبحنا منها، لا يخبرُنا بشيء مما سألناه عنه! حتى أحزنَ رسولَ الله ﷺ مُكثُ الوحي عنه، وشق عليه ما يَتكلم به أهلُ مكة، ثم جاء جبريلُ من الله بسورة الكهفِ، فيها معاتبتُه إياه على حزنه عليهم، وخبرِ ما سألوه عنه من الفتيةِ، والطوافِ، وقول الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء:٨٥](١).

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه القصةُ أيضًا داخلة في الأبواب الماضيةِ، من اشتهارِ أمر رسولِ الله ﷺ عند أهلِ المُلك، والأديان، مُثبتٌ ذلك في كتبِهم، وعلومِهم، والله أعلم.

٨٤- عن ابنِ عباسٍ، حدثني سَلمان حديثَه مِن فيه، قال: كنت رجلًا فارسيًّا من أهلِ أصبهان، من أهل قرية يُقال لها: جي، وكان أبي دِهقانَ(٢) قريته، وكنت من أحبِّ الخلق إليه، فما زال حبُّه إياي حتى حبَسني في بيت كما تُحبس

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٢٠١-٢٠٢).

(٢) (الدِّهقَان): فارسي معرب، وهم زعماء القرى من العجم والفرس.

الجاريةُ، وكنت قد اجتهدت في المَجوسيةِ، حتى كنت قَطِنَ النارِ[١] أُوقدُها، لا أتركُها تخبو ساعةً اجتهادًا في ديني، وكان لأبي صنعةٌ في بعض عملِه، وكان يُعالج بنيانًا له في دارِه، فدعاني، فقال: أي بُنيَّ، إنه قد شغلَني بُنياني كما ترى، فانطلقْ إلى ضَيعتي هذه، ولا تَحتبِس عليَّ، فإنك إن احتبست عليَّ كنتَ أهمَّ إلي من ضَيعتي، ومن كل شيءٍ، وشغلتَني عن كلِّ شيء من أمرِي.

قال: فخرجتُ أريدُ الضيعةَ التي بعثَني إليها.

قال: فمررتُ بكنيسةٍ من كنائسِ النصارى، فسمِعت أصواتَهم وهم يُصلون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس لحبسِ أبي إياي في بيتِه، فلما سمِعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون.

فلما رأيتُهم أعجبَتني صلاتُهم، ورغِبتُ في أمرهم، وقلت: هذا والله خيرٌ من الدينِ الذي نحن عليه، فوالله ما بَرحتهم حتى غربتِ الشمسُ، وتركت ضيعةَ أبي، فلم آتها.

ثم قلت لهم: أين أصْلُ هذا الدينِ؟

قالوا: بالشامِ.

قال: ثم رَجعت إلى أبي، وقد بَعث في طلبي، فشغلتُه عن عمله كلِّه، فلما جئتُه، قال: يا بني أين كنت؟ ألم أكن عَهدت إليك ما عهدتُ؟

قال: قلت: يا أبتِ، مررتُ بناس يُصلون في كَنيسة لهم، فأعجبَني ما رأيتُ، فوالله ما زلتُ عندهم حتى غربتِ الشمسُ.

---

(١) (قَطِن النار): وهو المقيم عندها الذي لزمها فلا يفارقُها.

قال: أي بُني، ليس في ذلك الدينِ خيرٌ، بل دينُك ودين آبائِك خيرٌ.

قال: قلت: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا.

قال: فخافَني، فجعلَ في رجلي قيدًا، ثم حبَسني في بيتي.

قال: وبعثتُ إلى النصارى، فقلت: إذا قدِم عليكُم ركبٌ من الشامِ، فأخبِروني، قال: فقدم عليهم ركبٌ من الشامِّ تجارٌ من النصارى، قال: فأخبَروني، قال: قلت: إذا قضوا حوائجَهم، فأرادوا الرجعة إلى بلادِهم، فآذنوني، فلمَّا أرادوا الرجعة إلى بلادِهم، أعلَموني بهم.

قال: فألقيتُ الحديدَ من رِجلي، ثم خرجتُ معهم حتى قدِمت الشام، فلما قدمتُها قلت: مَن أفضلُ هذا الدينِ علمًا؟

قالوا: الأُسقف في الكنيسةِ.

قال: فجئتُه، فقلتُ له: إني قد رغبتُ في هذا الدينِ، وأكون معك أخدمُك في كنيسَتِك، وأتعلَّم منك، وأُصلي معك.

قال: فافعلْ، فادخُل، فدخلْت معه، قال: فكان رجلَ سوءٍ يأمرُهم بالصدقة، ويُرَغِّبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئًا منها، اكتنزَه لنفسِه، ولم يُعط المساكينَ، حتى جمع سبعَ قِلال من ذهبٍ وورِق.

قال: فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنَعُ، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى لتدفِنَه، فقلت لهم: إن هذا كانَ رجلَ سوءٍ، يأمرُكم بالصدقةِ، ويُرغبكُم فيها، فإذا جِئتموهُ اكتَنَزَها لنفسِه، ولم يعطِ المساكين منها شَيئًا.

قال: قالوا لي: وما عِلمُك بذلك؟

قال: قلت: أنا أدلُّكم على كَنزِه.

فقالوا: دلَّنا عليه.

قال: فأريتُهم موضعَه.

قال: فاستخرجوا سبعَ قلالٍ مملوءةً ذهبًا وورقًا، فلما رأوها، قالوا: لا والله، لا ندفنُه فصلبوه، ثم رَجموه بالحِجارةِ، ثم جاؤوا برجُلٍ آخر، قال: فجعلوه مكانَه.

قال: يقول سَلمان: فما رأيت رجلًا لا يصلي الخَمسَ أرى أنه أفضلُ منه، أزهدَ في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرةِ، ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه، قال: فأحببتُه حُبًّا لم أحبَّ شيئًا كان مثلَه، فأقمتُ معه زمانًا، ثم حضرَته الوفاةُ.

قال: فقلت: يا فلان، إني قد كنت معك، وأحببتُك حبًّا لم أحبَّ شيئًا كان قبلَك، وقد حضرَك ما ترى من أمرِ الله، فإلى من تُوصي بي، وإلى من تأمُرني؟

قال: أي بُني، والله ما أعلمُ أحدًا اليومَ على ما كنت عليه، لقد هلكَ الناسُ وبدَّلوا كثيرًا مما كانوا عليه إلا رجلًا بالمَوصل، وهو على ما كنت عليه، فالْحَقْ به.

قال: فلما غُيب، لحقتُ بصاحبِ الموصل، فقلت: يا فلان، إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرني أنك على أمرِه، فقال: أقمْ عندي، قال: فأقمتُ عندَه، فوجدته خيرَ رجل، على أمر صاحبِه.

قال: فلم يلبثْ أن مات، فلما حضرَته الوفاة، قُلت له يا فلان: إن فلانًا أوصاني إليك، فأمرَني باللحوقِ بك، وقد حضركَ من أمرِ الله ما تَرى، فإلى من تُوصي بي؟

قال: إني والله ما أعلم رجلًا على ما كنَّا عليه إلا رجلًا بنَصيبين، وهو فلان، فالْحق به، فلما مات وغُيب، لحقتُ بصاحب نَصيبين، فجئته فأخبرتُه خبري، وما أمرني به صاحبي.

فقال: أقمْ عندي، فأقمتُ عندَه، فوجدته على أمرِ صاحبه، فأقمتُ معه خيرَ رجلٍ، فوالله ما لبثَ أن نزلَ به الموتُ، فلما حضر، قال: قلت: يا فلان، إن فلانًا كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي، وما تأمرني؟

قال: أي بُني، ما أعلَمُ أحدًا بَقي على أمرِنا آمُرُك أن تأتيه إلا رجلًا بعَمُّوريةَ من أرضِ الرومِ، فإنه على مثل أمرِنا، فإن أحببت فأتِه، فإنه على أمرنا.

قال: فلما مات وغُيب، لحقتُ بصاحب عَمُّوريةَ، وأخبرته خَبري، وقال: أقمْ عندي، فأقمت عندَ خيرِ رجلٍ على هُدى أصحابه وأمرِهم، قال: ثم اكتَسَبتُ حتى كانت لي بَقراتٌ وغَنيمة.

قال: ثم نزلَ به أمرُ الله، فلما حضرَتهُ الوفاةُ، قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلانٍ فأوصى بي إلى فلانٍ، ثم أوصاني فلانٌ إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي، وما تَأمرني؟

قال: أي بُني، والله ما أعلمُ أصبحَ على ما كنا عليه أحدٌ من الناسِ آمرك أن تأتيَه، ولكن قد أظلَّك زمان نبيٍّ، هو مَبعوث بدينِ إبراهيم، يَخرُج بأرضِ العربِ، مُهاجرهُ إلى أرضٍ بين حرَّتين، بها نخلٌ، به علامات لا تَخفى: يأكلُ الهدية، ولا يَأكل الصدقة، بين كتِفيه خاتم النبوةِ، فإن استطعت أن تلحَق بتلك البلادِ فافعلْ.

قال: ثم مات وغُيب، ومكثتُ بعَمُّوريةَ ما شاء الله أن أمكُثَ، ثم مر بي نفرٌ من كلبٍ تجارٌ، فقلت لهم: تحمِلوني إلى أرضِ العَرب، وأعطيكم بَقراتي هذه، وغنيمتي هذه.

قال: فأعطيتُهم وحمَلوني معهم، حتى إذا قدِموا بي وادي القُرى ظَلمُوني، فباعوني من رجلٍ يهوديٍّ عبدًا، فكنتَ عنده، وأُريت النخلَ، فرجوت أن يكون البلدَ الذي وَصَفَ لي صاحبي، ولم يحِق لي في نفسي، فبينا أنا كذلك إذ قَدم ابنُ عمٍّ له من المدينة من بني قُريظةَ، فابتاعني منه، فحملَني إلى المدينةِ، فوالله، ما هو إلا أن رأيتُها فعرَفتُها بصفةِ صاحبي، فأقمتُ بها، وبعثَ الله رسولَه، فأقام بمكةَ ما أقامَ، لا أسمعُ له بذكرٍ، مع ما أنا فيه من شُغلِ الرِّقِّ، ثم هاجرَ إلى المدينةِ، فوالله، إني لفي رأسِ عِذقٍ لسيدي أعملُ فيها بعضَ عملِه، وسيدي جالسٌ تحتي، إذ أقبَلَ ابنُ عمٍّ له فوقف عليه، فقال: يا فلان، قاتَل الله بني قَيلةَ، والله إنهم الآن يَجتمعون بقُباءَ، على رجلٍ قدم عليهم من مكةَ اليوم، يزعُمون أنه نبي.

قال: فلما سمعتُها أخذَتني العُرَواءُ[1]، حتى ظننت أني سأسقطُ على سيدي، قال: فنزلت عن النخلَة، وجعلتُ أقولُ لابن عمه ذلك: ما تقول؟

قال: فغضِب سيدي، فلَكَمَني لكمةً شديدةً، ثم قال: مالَكَ ولهذا؟ أقبلْ على عملِك.

قال: قلت: لا شيءَ، أردت أن أستثبِته عما قالَ، وكان عندي شيءٌ قد جمعتُه، فلما أمسَيتُ أخذتُه، ثم ذهبتُ به إلى رسولِ الله ﷺ وهو بقُباءَ، فدخلتُ عليه،

---

(١) (العُرَواءُ) الرعدة عند الحمى.

فقلت له: إنه بلغَني أنك رجلٌ صالحٌ، معك أصحابٌ لك غرباءُ ذَوو حاجةٍ، وهذا شيء عِندي للصدقةِ، فرأيتُكم أحقَّ به من غيرِكم، ثم قرَّبته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابِه: «**كلوا**»، وأمسكَ يده فلم يَأكل.

قال: فقلت في نَفسي: هذه واحدةٌ، ثم انصرَفتُ عنه، فجَمعتُ شيئًا، ثم تحوَّل رسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ، ثم جئتُه، فقلت له: إني رأيتُك لا تأكُلُ الصدقةَ، وهذه هديَّة أكرَمتُك بها.

قال: فأكلَ رسولُ الله ﷺ، وأمرَ أصحابَه فأكلوا معه.

قال: قلت في نفسي: هاتان ثِنتان.

قال: ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ، وهو ببَقيعِ الغَرقدِ، قد تَبِعَ جنازةَ رجلٍ من أصحابِه، عليه شَملتانِ له، وهو جالسٌ في أصحابِه فسلَّمت عليه، ثم استدبَرتُ إليه أنظُرُ إلى ظهِره، هل أرى الخاتمَ الذي وَصفَ لي صاحبي؟

فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرتُه، عرَف أني أستثبِتُ في شيء وُصفَ لي، فألقى رداءَه عن ظهرِه، فنظرتُ إلى الخاتمِ فعرفتُه، فانكبَبت عليه أُقبِّله وأبكي.

فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**تحوَّل**»، فتحوَّلتُ فجلستُ بين يديه، فقَصصتُ عليه حَديثي كما حدثتُك يا ابنَ عباسٍ، فأعجبَ ذلك رسولَ الله ﷺ أن يَسمعَ ذلك أصحابُه، ثم قال لي رسولُ الله ﷺ: «**كاتِب يا سلمانُ**».

فكاتَبت صاحبي على ثلاث مئة نخلةٍ، أُحييها بالفَقير[(١)]، وبأربعينَ أُوقية.

---

(١) (الفَقِير): حفرة تحفر للفسيلة إذا حولت لتغرس فيها.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أعينوا أخاكُم**»، فأعانوني بالنخلِ، الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً[١]، والرجلُ بخمسَ عشَرةَ، والرجل بعشْرٍ، والرجل بقَدر ما عنده، حتى جمعوا ثلاث مئة وَدِيَّةً.

فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**اذهب يا سَلمانُ ففقِّرْهُ، فإذا فرَغتَ أكونُ أنا أضعُها بيدي**».

قال: ففقَّرتُ لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرَغتُ جئتُه فأخبرتُه، فخرَج رسولُ الله ﷺ معي إليها، فجعَلنا نُقرِّب له الوَدِيَّ، ويضعُه رسول الله ﷺ بيدِه، حتى فرغنا، فوالذي نفسُ سلمانَ بيدِه، ما مات منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ، فأديت النخلَ، وبقي عليَّ المالَ.

فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بمثل بيضةِ الدجاجةِ من ذهبٍ، من بعضِ المَعادن، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما فعلَ الفارسيُّ المُكاتِب؟**» قال: فدُعيتُ له، فقال: «**خذْ هذه فأدِّها بها عليكَ يا سلمانُ**».

قال: قلت: فأين تقعُ هذه يا رسولَ الله مما عليَّ؟

قال: «**خذْها، فإن الله سَيؤدِّي بها عنك**».

فأخذتُها فوزنتُ لهم منها -والذي نفسُ سلمانَ بيدِه- أربعينَ أُوقيةً، فأوفيتُهم حقَّهم، وعَتَقَ سلمانُ، فشهدتُ مع رسولِ الله ﷺ الخندقَ حرًّا، ثم لم يفُتني مشهدٌ[٢].

---

(١) (الوَدِيَّة): صغار النخل.

(٢) أخرجه أحمد ٣٩/ ١٤٠ (٢٣٧٣٧).

(٢٥) فصل في ذكر ما دار بينه ﷺ وبين المشركين لما أظهر الدعوة، وما جرى عليه أحواله إلى أن هاجر وما كان من صبره على بلوى الدعوة واحتمال الأذية وإيراد الآيات والبراهين عليها

٨٥- عن عبدِ الله [بن مسعود]، قال: بينما رسولُ الله ﷺ ساجدٌ وحوله ناس من قريشٍ، وثَمَّ سلا بعيرٍ، فقالوا: من يأخذُ سلا هذا الجزورِ -أو البعير- فيقذفُه على ظهر النبيِّ ﷺ، إذ جاء عقبةُ بن أبي مُعيط بسلا جزورٍ فقذفه على ظهر رسولِ الله ﷺ، فلم يرفع رأسَه، فجاءت فاطمةُ، فأخذَته عن ظهر رسول الله، ودعَت على من صنع ذلك.

قال عبدُ الله: فما رأيتُ رسول الله ﷺ دعا عليهم إلا يومئذٍ، فقال: «**اللهم عليك الملأَ من قريشٍ، اللهم عليك أبا جهلِ بن هشام، وعتبةَ بن ربيعة، وشيبةَ بن ربيعة، وعقبةَ بن أبي معيط، وأميةَ بن خلف**» أو أبي بن خلف -شك شعبةُ- قال عبدُ الله: فقد رأيتُهم قُتلوا ببدر، وأُلقوا في قَليب أو في بئر، غيرَ أن أُبيَّ بن خلف، أو أُمية بن خلف، كان رجلًا بادنًا، فتقطع قبل أن يبلغَ به البئرُ[(١)].

وأما المُستهزؤون وأسماؤُهم، وذِكر ما عُجل لهم من الخزي والهَوان:

٨٦- فعن قتادةَ، ومقسم، مولى ابن عباس ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر:٩٥] قال: هم الوليدُ بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعديُّ بن قيس، والأسودُ بن عبد يغوث، والأسودُ بن المطلب، مَروا رجلًا رجلًا على رسول الله

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥٤)، ومسلم (١٧٩٤).

ﷺ، ومعه جبريلُ عليهما السلام، فإذا مر به رجلٌ منهم، قال له جبريلُ: كيف تجدُ هذا؟ فيقولُ: بئس عبدُ الله، فيقول جبريلُ: كفيناكه.

فأما الوليدُ بنُ المغيرة فتردى، فيتعلق سهمٌ بردائه، فذهب يجلس فقُطع أكحلُه، فنزف فمات، وأما الأسودُ بن عبد يغوث، فأتى بغصنٍ فيه شوك، فضربَ به وجهه، وسالت حدقتاه على وجهِه، فكان يقول: دعا عليَّ محمد، ودعوتُ على محمد، فاستُجيب لي، واستجيب له دعا علي أن أعمى، فعميتُ ودعوت عليه أن يكون وحيدًا طريدًا في أهل يثربَ.

وأما العاص بن وائل فوَطئ على شوكة، فتساقط لحمُه من عظامه حتى هلكَ.

وأما الأسودُ بن المطلب، وعديٌّ بن قيس، أحدُهما قام في الليل وهو ظمآن ليشربَ من ماء جرَّة، فلم يزل يشربُه حتى انفتق بطنُه فمات، وأما الآخرُ فلدغته حيةٌّ فمات[(١)].

فأما قصةُ دخولِ بني هاشم شعبَ أبي طالب، لما تحالفَت قريشٌ على أن لا يُبايعوا بني هاشم، ولا يُناكحوهم، ولا يُخالطوهم، وما في ذلك من دلائِله ﷺ:

٨٧- فعن عروةَ بن الزبير، قال: لما أقبل عمرو بن العاص من الحبشةِ من عند النجاشي إلى مكةَ، قد أهلكَ الله صاحبَه، ومنعه حاجتَه، اشتدَّ المشركون على المسلمين كأشدِّ ما كانوا، حتى بلغَ المسلمين الجهدُ، واشتد عليهم البلاءُ، وعمد المشركون من قريشٍ، فأجمعوا مكرَهم وأمرَهم، على أن يقتلوا رسولَ الله ﷺ

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣٥١-٣٥٢، والطبري في تفسيره ١٤/ ١٥٠.

علانيةً، فلما رأى ذلك أبو طالب، جمعَ بني عبدِ المطلب فأجمع لهم أمرهم على أن يُدخلوا رسولَ الله ﷺ شعبَهم، ويَمنعوه ممن أراد قتلَه، فاجتَمعوا كافرُهم ومسلمُهم، منهم من فعلَه حميةً، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا.

فلما عرَفت قريشُ أن القومَ قد اجتمَعوا ومنعوا الرسولَ، واجتمَعوا على ذلك كافرُهم ومسلمُهم، اجتمع المشركون من قريش، فأجمَعوا أمرَهم على أن لا يجالِسوهم، ولا يخالِطوهم، ولا يُبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتَهم، حتى يُسلِموا رسولَ الله للقتل، وكتبوا بمكرهم صحيفةً، وعهودًا، ومواثيقَ، ألا يقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا، ولا تأخذُهم بهم رأفةٌ، ولا رحمة، ولا هوادةٌ، حتى يُسلِموا رسول الله ﷺ للقتل، فلبثَت بنو هاشمٍ في شعبهم ثلاثَ سنين، واشتد عليهم فيهن البلاءُ والجهد، وقطَعوا عليهم الأسواقَ، ولا يتركوا طعامًا يدنو من مكةَ ولا بيعا إلا بادَروا إليه ليقتلَهم الجوعُ، يريدون أن يتناوَلوا بذلك سفكَ دمِ رسول الله ﷺ.

وكان أبو طالب إذا أخذ الناسُ مضاجعَهم، أمرَ رسول الله ﷺ فأتى فراشَه، حتى يراه من أراد به مكرًا أو غائلةً، فإذا نوم الناسُ، أمر أحدَ بنيه، أو إخوته، أو بني عمه، فاضطجعَ على فراش رسول الله ﷺ، وأمرَ رسول الله أن يأتي بعضَ فرشهم فيرقدَ عليها، فلما كان رأسُ ثلاثِ سنين، تلاوم رجالٌ من بني عبد مناف، ورجال من بني قُصي، ورجالٌ ممن سواهم، وذكروا الذي وَقعوا فيه من القطيعة، فأجمعوا أمرَهم من ليلتِهم على نقضِ ما تعاهَدوا عليه، والبراءةِ منه، وبعثَ الله على صحيفتِهم -التي فيها المكرُ برسول الله ﷺ- الأرضَةَ، فلحِست كلَّ شيء فيها، وكانت معلقةً في سقف الكعبةِ، وكان فيها عهدُ الله وميثاقُه، فلم تترك فيها

شيئًا إلا لِحسته، وبَقِي فيها ما كان من شركٍ أو ظلم أو بغي، فأطلَع الله رسولَه عليه السلام على الذي صنع بالصحيفةِ.

فقال أبو طالب: لا والثواقب، ما كَذَبني، فانطلق يَمشي بعصابةٍ من بني عبد المطلب حتى أتى المسجدَ، وهو حافلٌ من قريشٍ، فلما رأوهم أتو بجماعةٍ أنكروا ذلك، وظنوا أنهم خَرجوا من شدة البلاءِ، وأتوهم ليعطوهم رسولَ الله ﷺ.

فتكلم أبو طالب، فقال: قد حدثَت أمورٌ بينكم لم نذكرها لكم، فأتوا بصحيفتِكم التي فيها مواثيقُكم، فلعله أن يكونَ بيننا وبينكم صلحٌ، وإنما قال ذلك؛ خشيةَ أن ينظروا في الصحيفةِ، قبل أن يأتوا بها، وبادروا العينَ أن يأتيَهم بحديث رسولِ الله ﷺ الذي أخبرَه الله به، فأتوه بصحيفتِهم معجبين، لا يشكون أن الرسولَ مدفوعٌ إليهم، فوضعوها بينهم، وقالوا: قد آن لكم أن تقبَلوا، وترجِعوا إلى أمر يجمعُ عامتكم، ويجمعُ قومَكم، لا يقطعُ ذلك بيننا وبينكم إلا رجلٌ واحد، جعلتُموه خطرًا لعشيرتِكم وفسادكم.

فقال أبو طالب: إنما أتيتُكم لنعطيَكم أمرًا فيه نَصَفٌ بيني وبينكم، هذه الصحيفةُ، التي في أيديكم، إن ابن أخي أخبرني ولم يَكذِبني، أن الله بعث عليها دابةً، فلم تترك فيها اسمًا لله إلا لِحسته، وترك فيها غدرَكم وتظاهرَكم علينا بالظلمِ، فإن كان الحديثُ كما يقول: فأفيقوا، فوالله لا نُسلِمه حتى نموتَ من عند آخرنا، وإن كان الذي يقولُ باطلًا، دفعنا إليكم صاحبنا، فقتلتُم، أو استحييتُم.

فقالوا: قد رَضينا بالذي تقول، ففُتِحت الصحيفةُ، فوجدوا الصادقَ المصدق قد أخبر خبرَها قبل أن تُفتحَ، فلما رأتها قريشٌ كالذي قال أبو طالب،

قالوا: والله، ما كان هذا إلا سحرٌ من صاحبكم، وارتكسوا أو عادوا لأشرِّ ما كانوا عليه من كفرهم، والشدةِ على رسول الله وأصحابِه ورهطِه، والقيامِ على ما تعاهدوا عليه.

فقال أولئك النفرُ من بني عبد المطلب: إن أولى بالكذب والسحر غيرَنا، فكيف ترون فإنا نعلمُ أن الذي جمعتُم عليه من قطيعتنا، أقربُ للخبث والسحرِ، ولولا الذي اجتمعتُم عليه من السحر، لم تفسد الصحيفةُ وهي في أيديكم، فما كان لله من اسم هو فيها طمسه، وما كان من بغيٍ تركه في صحيفتِكم، أفنحن السحرةُ، أم أنتم؟

فندم المشركون من قريشٍ عند ذلك، وقال رجالٌ: منهم أبو البختري وهو العاصُ بن هاشم بن الحارث بن أسدِ بن عبد العزى بن قصي، ومنهم: المطعمُ بن عدي، وهاشمُ بن عمرو، أخو بني عامر بن لؤي، وكانت الصحيفةُ عنده، وزهيرُ بن أبي أمية، وزمعةُ بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، في رجال من قريش ولدَتهم نساءُ بني هاشم، كانوا قد نَدموا على الذي صنعوا.

فقالوا: نحن براء من هذه الصحيفةِ، فقال: أبو جهل: هذا أمر قُضي بليلٍ[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما امتُحن به رسولُ الله ﷺ من الحصر في الشعب ثلاث سنين، هو كسائر محنِ الأنبياء عليهم السلام، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا... ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف:١١٠]، وقال: ﴿أَمۡ

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٥٦-١٦٧)، وابن منده في المستخرج من كتب الناس ١/ ٦٨-٧١، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣١١-٣١٤.

حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ .... ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤].

وما ذُكر في شأن الصحيفة في رواية عروةَ والزهري، أن الأَرَضةَ لحِسَت ما كان فيها من ذِكر الله، وبقي فيها ما كان فيها إلا (باسمك اللهم) فقد يَحتمل الأمرين جميعًا، وفي كل واحد منهما أعجوبةٌ وبرهانٌ، ولله الحمد.

(٢٦) وأما انشقاقُ القمرِ فكان بمكةَ، لما اقترحَ المُشركون أن يُريهم النبيُّ ﷺ آيةً

٨٨- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ، قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ شِقَّتين، فقال النبي ﷺ: «**اشهدوا، اشهدوا**»[(١)].

٨٩- عن عبدِ الله [بن مسعود]، قال: انشقَّ القمرُ فِئتين ونحن بمكةَ، فقال كفَّارُ قريشٍ: هذا سحرٌ سحرَكم ابن أبي كَبشةَ، انظروا إلى السُّفَّار، فإن كانوا قد رأوا ما رأيتُم، وإلا فإنه سحرٌ سحرَكم، وقدموا من غيرِ وَجهٍ، فسُئلوا، فقالوا: قد رَأَينا ما رأيتُم[(٢)].

٩٠- عن أنسٍ، أن أهل مكة سألوا النبيَّ ﷺ عن آيةٍ، فأراهم انشقاقَ القمرِ مرتين[(٣)].

قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذا نصُّ القرآن قد وردَ بانشقاقِ القمر ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ [القمر:٢]، فظاهر الآيةِ دال على حصولِ الانشقاقِ، واتفق خمسةٌ من أعلامِ الصحابة وكبارِهم في رواياتِهم على انشقاقِه، ولا مَدفَعَ بعد ظاهِرِ الآيةِ، واتفاقِ الروايات لكونه وحصولِه، فيُقال لمن أنكرَ وقوعَ انشقاقه، مِن مُتكلمي أهلِ القبلة، الذين يتأولون قولَه: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] يعني: اقتربَ انشقاقُه، وأن ذلك كقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١] أي: سيأتي، كذلك قولُه:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠).

(٢) أخرجه الطيالسي ١/ ٢٣٦ (٢٩٣)، والطبري في «التفسير» ٢٢/ ١٠٦، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٢٦٦.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٠٢) واللفظ له، والبخاري (٣٨٦٨) نحوه.

(انشق) سيَقرب انشقاقُه: كفى ما حصلَ من روايةِ الجماهيرِ من الصحابة بانشقاقِه، ثم ما رواه عن كلِّ واحدٍ منهم من العددِ الكثيرِ، وليس يلزمُ إذا سأل بعضُ المكذبين آية، أن تَستفيضَ حتى يُحيطَ برؤية تلك الآية جميعُ الناسِ، ويشتركُ في مُعاينتها الخاصُّ والعامُّ، مع أنه غيرُ منكَرٍ رؤيةُ القمر في بلدٍ دون بلد، كما يكون السحابُ المطبقُ، والمطر الوابلُ، في بلدٍ دون بلدٍ، في يوم واحدٍ، وساعة واحدةٍ، لا سيما إذا كان حصولُ هذه الآية في بلدٍ عامةٌّ أهلِها المشركون الكفار، الذين يَرون هذه الآية سحرًا، ويَجتهدون في إطفاءِ نورِ الله، وصدقَ من جاء بهذه الآيةِ، وأما المنجمونَ، فمن كان منهم في خطةِ الإسلام ويتدين بأن الله قادرٌ على إيجادِ سائر المقدورات، فليس في انشقاقِ القمرِ من الأُعجوبةِ ما في شجرةٍ تُدعى فتُقبل بعروقها وأصولها، وتُؤمرُ بالرجوعِ إلى موضِعها فترجعُ، فمن يرى تَسليمَ هذا في مقدورِ الله، ويُصدِّق به، فالقمرُ مثله في الانشقاقِ.

ومن كان من المنجمينَ ممن لا يتدينُ بالإسلامِ والتوحيدِ، فإنه يَثبتُ عليه وجودُ الصانعِ القادرِ المريدِ العالمِ الحكيمِ، ثم يرتِّب عليه أمرَ النبوة، والآياتُ والمعجزاتُ وانشقاقُ القمر مجانسٌ لاحتباسِ الشمسِ عن جَرَيانها على يوشعَ بنِ نون عليه السلام، وأثبته قومٌ، وأبطله آخرون، والحجةُ في الإثباتِ إذا ساعده الدليلُ، وباينه الاستحالة لا في النفي، والله أعلم.

(٢٧) ذِكرُ الإسراءِ

٩١- عن جابرٍ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لما كذَّبتني قريشٌ قُمتُ في الحِجرِ، فجلَّى الله لي بَيتَ المقدِسِ، فطفِقتُ أُخبرُهم عن آياتِه، وأنا أنظرُ إليه**»[(١)].

٩٢- عن أبي هريرةَ، قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لقد رأيتُني في الحِجرِ، وأنا أُخبر قريشًا عن مَسيري ومَسراي، فسألوني عن أشياءَ من بيتِ المقدسِ لم أُثبِتها، فكرِبتُ كربًا ما كرِبت مثلَه قطُّ، فرفَعَهُ الله لي، أنظرُ إليه، فما سألوني عن شيءٍ إلا أنبأتُهم به**»[(٢)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وحقيقةُ الإسراءِ أوضحُ وأبين من أن يُستقصى فيه بآحادِ الأخبار لورود القرآنِ بذكر المسرى، وظاهرُ القرآن يدلُّ على أنه أسري ببدنِه يقظانًا، إذ لو كان ذلك نائمًا -على ما ذكَرَته الزائغةُ- لما اعترضَ فيه المشركون وطعنوا عليه ونسبوهُ فيه إلى الاستحالةِ، فإنه غير مُستنكَرٍ في الرؤيا -رؤيا المنامِ- قطعُ تلك المسافة بين المسجدين: الحرامِ والأقصى في حكم ساعة الليلِ.

وأما العروجُ به في السماوات فسائغٌ غير ممتنعٍ عند المتدينين المسَلِّمين لله تعالى الاقتدار على طيِّ الأرض لأنبيائِه وأوليائه والصعودِ بهم إلى سماواته على أيدي ملائكته.

فأما مُشاهدته ﷺ الأنبياءَ واجتماعُه معهم مصليًا بهم فمُخرَّج على أن الله أحياهم كما يُحيي الخلائقَ جميعَهم للنشر، فغير مستنكَر أن الله أحياهم للاجتماعِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢).

معه، ثم قبضهم إلى رحمته إلى حين البعثِ للمعادِ مع سائر الموت، وكل ما في قصة المسرى والمعراج من الأعاجيبِ والآيات فهي دلائلُ للنبيِّ ﷺ خاصة في نفسه، ليكون عليه السلام على بصيرةٍ مما يدعو إليه، ومن زوالِ الشكِّ فيمن يأتيه في أنه مَلَك ليس بشيطان.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ٱلنَّاقَةَ ..﴾ [الإسراء:٦٠] فليس ببين أن الإشارةَ به واقعة إلى ما رآه في ليلة الإسراءِ، وقد يجوزُ أن يكون ذلك في أشياء أُرِيَها في نومِه، وقد يُسمى ما يُشاهَد بالليلِ رؤيا وما يُشاهد في غيره رؤية، ويكون الوجهان جميعًا في اليقظةِ دون النومِ، وقد يقال في اللقاءِ: لقيا فلا يُنكر أن يقالَ للرؤية: رؤيا. والله أعلم.

(٢٨) ما رويَ في عَرضِ النبيِّ ﷺ نفسَه على قبائلِ العربِ

٩٣- عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنها قالت للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومِ أُحد؟

قال: «لقد لَقيتُ من قومِك، وكان أشدُّ ما لَقيتُ منهم يومَ العقبةِ؛ إذ عَرضتُ نفسي على ابن عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مَهمومٌ على وجهي، فلم أشعُرْ إلا وأنا بقرنِ الثعالِبِ، فرفعت رأسي فإذا أنا بِسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جِبريلُ عليه السلام، فناداني، فقال: إن الله قد سمِعَ قول قومِك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملَك الجبالِ، فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمدُ، قد سمعَ الله قولَ قومِك، وأنا مَلَك الجبالِ، قد بعثَني ربُّك إليك لتأمُرني بأمرِك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأَخشَبَيْنِ[1]»، فقال النبيُّ ﷺ: «أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابِهم من يَعبد الله وحده، ولا يُشرك به شيئًا»[2].

---

(١) (الأخشَبَيْن): جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٢٩) فصل في مخرجِه من مكةَ إلى المدينة مُهاجرًا وما ظهرَ من الآياتِ في طريقِه

٩٤- عن قيس بن النعمان السَّكوني قال: لما انطلقَ النبيُّ ﷺ وأبو بكر، يَستخفيان بالغارِ، مرَّا بعبدٍ يرعى غنمًا، فاستسقياه من اللَّبن، فقال: والله ما لي شاةٌ تحلبُ غيرَها، هذا عَناقٌ، حملت أولَ الشتاءِ فما بها لبنٌ، وقد اهتُجِنَتْ[١].

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ائتنا بها**»، فأتاهُ بها، فمسحَ ضَرعَها، ودعا بالبَركة عليها، ثم حلب عُسًّا[٢]، فسقى أبا بكر، ثم حلبَ آخر، فسقى الراعي، ثم حلب فشرِب.

فقال له: تالله ما رَأيتُ مثلَك، مَن أنت؟

قال: «**إن أخبرتُك تكتم عليَّ؟**»

قال: نعم.

قال: «**أنا محمد رسولُ الله**».

قال: أنت الذي تزعُم قريشٌ أنك صابئٌ.

قال: «**إنهم يقولون ذلك**».

قال: فإني أشهدُ أنك رسولُ الله، وأنه لا يَقدرُ على ما فعلت إلا رسولٌ. ثم قال له: أتَّبعك؟

---

(١) (اهتُجِنَت): تبين حملها.
(٢) العُسُّ: القَدَح الكبير الضخم.

فقال له النبي ﷺ: **«أمَّا اليومَ فلا، ولكن إذا سمِعتَ أنا قد ظهَرنا، فأْتنا»**، فأتى النبي ﷺ بعدَما ظهرَ بالمدينة[(١)].

٩٥- عن أنسِ بن مالكٍ قال: أقبلَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة مُردفًا أبا بكر -شيخٌ يُعرف- ونبيُّ الله شابٌّ لا يُعرف، فيلقى الرجلُ أبا بكرٍ فيقولُ: من هذا الذي بين يَديك؟

فيقولُ: يَهديني السبيلَ، فيَحسبُ الحاسِب أنه يَهديه الطريقَ، وإنما يعني: سبيلَ الخيرِ، فالتفتَ أبو بكر فإذا فارسٌ قد لحِقهم فقال: يا رسولَ الله، هذا فارسٌ قد لحقنا، فالتفتَ نبيُّ الله ﷺ فقال: **«اللهم اصرَعْه»**، فصرعَته فرسُه، وقامت فحَمْحَمت.

قال: ثم قال: يا نبي الله، مُرني بم شئتَ.

قال فقال: **«قِف مكانَك، لا تترُكَنَّ أحدًا يلحقُ بنا»**.

قال: فكان أولَ النهارِ جاهدًا على رسولِ الله ﷺ، وكان آخرَ النهار مَسلحةً له.

قال: فنزلَ نبيُّ الله ﷺ جانبَ الحَرَّةِ[(٢)]، وبعثَ إلى الأنصارِ، فجاؤوا نبيَّ الله، فسلَّموا عليهما، وقالوا: اركبا آمنَين مُطاعَين.

قال: فركِب نبي الله ﷺ وأبو بكر، وحفوا حولَهما بالسلاحِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٨/ ٣٤٣ (٨٧٤)، والحاكم ٣/ ٩، (٤٢٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٢/ ٤٩٧.

(٢) (الحَرَّة): أرض حجارتها سود.

قال: فقِيل في المَدينة: جاء نبي الله. فاستشرفوا يَنظرون ويقولون: جاء نبيُّ الله، جاء نبي الله عليه السلام.

قال: فأقبلَ يسيرُ حتى نزلَ إلى جنب دارِ أبي أيوب. قال: فإنه ليحدث أهلَه، إذ سمع به عبدُ الله بنُ سلام، وهو في نخلٍ له يَخترِف[1] لهم منه، فعجِل أن يضعَ التي يخترَفُ فيها، فجاء وهي معه، فسمعَ من نبيِّ الله ثم رجعَ إلى أهلِه.

فقال نبي الله: «**أيُّ بيوتِ أهلِنا أقرب؟**»

قال فقال: أبو أيوب: أنا يا نبيَّ الله، هذه داري، وهذا بابي.

قال فقال: «**انطلِق فهيِئ لنا مَقيلًا**».

قال: فذهب فهيَّأ لهما مقيلًا، ثم جاء فقال: يا نبيَّ الله، قد هيأتُ لكما مقيلًا، قُوما على بركةِ الله فقِيلا.

قال: فلما خلا نبيُّ الله، جاء عبدُ الله بن سلَام فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله حقًّا، وأنك جِئت بحقٍّ، ولقد علِمتِ اليهودُ أني سيدُهم، وابن سيِّدهم، وأعلمُهم، وابن أعلمهم، فادعُهم، فسلهم عني، قبلَ أن يعلموا أني قد أسلمتُ، فإنهم إن يَعلموا أني قد أسلمت؛ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ.

فأرسل نبيُّ الله ﷺ إليهم، فدخلوا عليه، فقال لهم نبي الله ﷺ: «**يا مَعشرَ اليهودِ، ويلكم اتَّقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتَعلمونَ أني رسولُ الله، وأني جئتُكُم بحقٍّ، أسلموا**».

قالوا: ما نعلمُه.

---

(١) (يَخْتَرِف) أي: يجتني من الثمار.

قال: «**فأيُّ رجلٍ فيكم عبد الله بن سلام؟**»

قالوا: ذاك سيدُنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابنُ أعلمنا.

قال: «**أفرأيتُم إن أسلم**».

قالوا: حاشَ لله ما كان ليُسلم.

قال: «**يا ابنَ سلامٍ اخرُج إليهم**».

فخرج إليهم، فقال: يا معشرَ اليهودِ، ويلَكم اتَّقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لَتعلمون أنه رسولُ الله حقًّا، وأنه قد جاء بحقٍّ.

فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسولُ الله ﷺ[(١)].

٩٦- عن سُراقةَ بن مالكٍ قال: لما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ من مكةَ إلى المدينة مُهاجرًا، جعلت قريشٌ لمن ردَّه عليهم مئةً من الإبل.

قال: فبينا أنا جالسٌ، إذ جاء رجلٌ منَّا، فقال: والله لقد رأيتُ ركْبًا ثلاثةً مروا عليَّ آنفًا، إني لأُراه محمدًا وأصحابه.

قال: فأومأتُ إليه بعيني أن اسكُت.

ثم قلت: إنما هم بنو فلانٍ، يَبغونَ ضالَّةً لهم. قال: لعلَّه. قال: فسكت. قال: فمكثتُ قليلًا، ثم قمتُ، فدخَلت بيتي، فأمرت بفَرسي، فقُيِّد إلى بطنِ الوادي، وأمرتُ بسلاحي، فأُخرجت من دُبر حجرتي، ثم أخذت قِداحي[(٢)] التي أستقسِم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩١١).

(٢) وكانوا إذا أراد أحدهم سفرًا أو تزويجًا، أو نحو ذلك من المهام، ضربَ بالأزلام وهي القداح وهي السهام التي لا ريش لها ولا نصل، وكان مكتوب على بعضها: أمرني ربي، وعلى الآخر: نهاني ربي، وعلى الآخر: غفل. أو نحو هذه الكلمات.

بها، ثم انطلقتُ فلبِست لَأْمَتي، ثم أخرجتُ قداحي، فاستقسمت بها، فخرجَ السهم الذي أكره: لا يضرُّه.

قال: وكنت أرجو أن أردَّه على قريشٍ فآخُذَ المئة الناقة.

قال: فركبتُ على أثَره، فبينا فرسي يشتدُّ بي عثرَ بي، فسقطتُ عنه. قال: قلت: ما هذا؟

ثم أخرجتُ قداحي، فاستقسمتُ بها، فخرجَ السهمُ الذي أكره: لا يضرُّه.

قال: فأبيت إلا أن أتَّبعه فركبت في أثرِه، فبينا فرسي يشتدُّ بي عثر بي، فسقطتُ عنه. قال: فقلت: ما هذا؟

قال: ثم أخرجتُ قِداحي فاستقسَمت بها، فخرجَ السهمُ الذي أكرهُ: لا يضرُّهُ.

قال: فأبيتُ إلا أن أتَّبعه، فركبت في أثَره قال: فلما بدا لي القومُ فرأيتهم، عَثر بي فرسي، فذهبتْ يداه في الأرض، وسقطتُ عنه، قال: ثم انتزعَ يديه من الأرضِ، وتبِعَهما دُخانٌ كإعصارٍ.

قال: فعرَفت حين رأيت ذلك أنه قد مُنعَ مني، وأنه ظاهرٌ. قال فناديت القومَ: أنا سُراقةُ بنُ مالكِ بنِ جعشم، انظروني أُكَلِّمْكم، فوالله لا أريبُكم، ولا يأتيكم منِّي شيءٌ تَكرهونه.

قال فقال: رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**قلْ له ما تَبتَغي منا؟**»

قال: فقال لي ذلك أبو بكر. قال: قلت: تكتُب لي كتابًا يكون لي آيةً بيني وبينك.

قال: «**اكتُب له يا أبا بكر**».

قال: فكتب لي كتابًا في عَظمٍ، أو في رُقعةٍ، أو في خِرقةٍ، ثم ألقاه إلي فأخذتُه فجعلتُه في كِنانتي، ثم رجَعتُ، فسكتُّ فلم أذكر شيئًا مما كان، حتى إذا فَتَحَ الله على رسولِه مكةَ، وفرغ من حُنينٍ، والطائفِ، خرجتُ ومعي الكتاب؛ لألقاه فلقيته بالجعرانة.

قال: فدخلت في كَتيبة من خيلِ الأنصارِ، فجعلوا يَقرعونني بالرماحِ، ويقولون: إليك إليك، ماذا تُريد؟ حتى دنوت من رسولِ الله ﷺ، وهو على ناقتِه، والله لكأني أنظرُ إلى ساقِه في غَرزِه كأنها جُمَّارة.

قال: فرفعتُ يدي بالكتاب، ثم قلت: يا رسولَ الله، هذا كتابُك لي، أنا سُراقةُ بن جعشم.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**يوم وفاء وبر، ادنه**».

قال: فدنوتُ منه، فأسلمتُ، ثم ذكرت شيئًا أسألُ عنه رسولَ الله ﷺ فما أذكرُه، إلا أني قد قلتُ: يا رسولَ الله، الضالة من الإبلِ تَغشى حِياضي، وقد ملأتُها لإبلي، هل لي من أجرٍ أن أسقيها؟

قال: «**نعم، في كل ذات كبدٍ حَرَّى أجر**».

قال سراقةُ: ثم رجَعت إلى قومي، فسُقتُ إلى رسول الله ﷺ صدَقتي[(١)].

٩٧- عن حزامِ بن هشام، عن أبيه هشام، عن جدِه حبيش بن خالد - صاحبِ رسول الله ﷺ- أن رسولَ الله ﷺ حين أُخرج من مكةَ، خرج منها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٦).

مهاجرًا، وأبو بكر، ومولى أبي بكر، عامرُ بن فهيرة، ودليلُهما الليثي عبد الله بن أُريقد، فمروا على خيمَتي أم مَعبَد الخُزاعية، وكانت برزةً جَلْدةً، تحتبي بفناء القبةِ، ثم تَسقي وتُطعم، فسألوها لحمًا وتمرًا؛ ليشتَروه منها، فلم يُصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وكان القومُ مُرمِلين مُسنتين، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى شاةٍ في كسر الخيمة، فقال: «**ما هذه الشاةُ يا أمَّ مَعبَد؟**» قالت: شاةٌ خلفها الجهدُ عن الغنم. قال: «**هل بها من لبنٍ؟**» قالت: هي أجهدُ من ذلك. قال: «**أفتأذنين لي أن أحلُبها؟**» قالت: بأبي أنت وأمي، نعم، إن رأيتَ بها حلبًا فاحلُبها، فدعا بها رسولُ الله ﷺ، فمسح ضرعَها بيده، وسمى الله، ودعا لها في شاتِها، فتفاجَّت عليه، ودرَّت، واجترت، فدعا بإناء يربضُ الرهطَ، فحلبَ فيها ثجًّا، حتى علاه البهاءُ، ثم سقاها حتى رَويت، وسقى أصحابَه، حتى رووا، ثم شرب آخرَهم ﷺ، ثم أراضوا، ثم حلبَ فيه ثانيًا بعد بدءٍ حتى ملأ الإناءَ، ثم غادرَه عندها، وبايعَها، ثم ارتحَلوا عنها، فقل ما لبثت أن جاء زوجُها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافًا، تساوَكن هزلًا ضبحًا، مُخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبنَ عجب، وقال: من أين لك هذا اللبنُ؟ والشاءُ عازب حائل، ولا حلوبةَ في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنَّه مر بنا مباركٌ من حاله كذا وكذا[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ألحَقنا بهذا الفصل ذِكر كتابه ﷺ إلى الملوكِ: كسرى، وقيصر؛ لما فيه من الدلالةِ، وكذلك ذَكرنا من مُراهنة الصديقِ مُشركي أهلِ مكةَ في غلبة الرومِ في بضعِ سنين، أفردناها من أخبار مكةَ؛ لوقوعِ تحقيق غلبةِ الرومِ فارسَ بالمدينة، وأتبَعناه بأخبارٍ أُخر حصل كونها ووقوعُها بالمدينة، منها: قصةُ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤٨٥)، والطبري في تاريخه ١١/ ٥٧٧.

السيد والعاقب، لما دُعيا إلى المباهلةِ، وامتناع اليهودِ بالمدينة من تمني الموت؛ ليتبين كذب المفتري، مع مسائل سُئل عنها رسولُ الله ﷺ بالمدينة، سأله عنها أحبارُ اليهود، امتحانًا له عليه السلام ووقوفًا على صحة نبوتِه، وأخبار في الجنِّ، وإسلام من أسلمَ منهم، ووَفَدَ إليه، وتعرضَ له عليه السلام، وللمسلمين ممن لم يُسلم منهم، وفي أخبار الجنِّ منها ما كان بمكةَ، ومنها ما كان بالمدينةِ، رأينا جمعَه في الحوادث والكوائنِ الواقعة بالمدينة، فإذا انقَضت هذه الأخبارُ الملحَقةُ بهذا الفصل نعود إلى ترتيب الفصولِ، ويليه الفصل الثاني والعشرون في ذكر كلام البهائمِ والسباعِ، وسجودها وشكواها، حسب ما اشترَطنا في صدرِ الكتاب.

٩٨- عن عبدِ الله بن عباسٍ أن رسولَ الله ﷺ كتبَ إلى قيصرَ يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابِه مع دِحية الكلبي، وأمرَه رسول الله ﷺ: أن يدفَعه إلى عظيم بُصرى؛ ليدفعه إلى قيصرَ، فدفعه دِحية إلى عظيم بُصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى قيصر، وكان قيصرُ لما كشف الله عنه جُنودَ فارسَ، مشى من حِمص إلى إيلياء، شكرًا لما أبلاهُ الله، فلما جاء قيصرَ بكتاب رسولِ الله ﷺ قال حين قرأه: التمِسوا لي هاهنا أحدًا من قومِه؛ لنسألَهم عن رسولِ الله ﷺ.

قال عبدُ الله بنُ عباسٍ: فأخبرني أبو سفيانَ، أنه كان جالسًا في رجالٍ من قُريش، قدموا تُجارًا في المدةِ التي بين رسولِ الله ﷺ، وبين كُفار قريشٍ.

قال أبو سفيانَ: فوَجَدَنا رسولُ قيصر ببعض الشامِ فانطلقَ بي وبأصحابي حتى قدِمنا إيلياءَ فأُدخِلنا عليه، فإذا هو جالسٌ في مجلسِ مُلكه، وعليه التاجُ، وإذا حوله عُظماءُ الرومِ.

فقال لتُرجمانِه: سلهُم أيهم أقربُ نسبًا إلى هذا الرجلِ الذي تَزعمون أنه نبيٌّ؟

قال أبو سفيانَ فقلت: أنا أقربُهم إليه نسبًا.

قال: ما قَرابةُ ما بينك وبينه؟

قلت: ابن عمِّي.

قال: وليس في الركبِ يومئذٍ أحدٌ من بني عبد مَناف غيري.

قال قيصر: أَدنوه مني، ثم أمرَ أصحابي فجُعلوا خلفَ ظهري عند كتِفي، ثم قال لتُجرمانه: قل لأصحابه إني سائلٌ هذا الرجلَ عن الرجلِ الذي يَزعم أنه نبيٌّ، فإن كذب فكذِّبوه.

فقال أبو سفيانَ: والله لولا الحياءُ يومئذٍ من أن يَأثِرَ أصحابي عني الكذِب، كذبته حين سألَني، ولكن استَحييتُ أن يأثِروا الكذبَ عني، فصدقتُه عنه.

ثم قال لتُرجمانه: كيف نَسبُ هذا الرجلِ فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسَبٍ.

قال: فهل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبلَه؟

قال: قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتَّهمونه على الكذِب، قبلَ أن يقولَ ما قال؟

قلتُ: لا.

قال: فهل كان من آبائِه مِن مَلِكٍ؟

قلت: لا.

قال: فأشرافُ الناسِ يتَّبعونه أم ضُعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: فيَزيدون أو ينقُصون؟

قلت: بل يَزيدون.

قال: فهل يرتَدُّ أحدٌ سَخطةً لدينه بعدَ أن يدخُلَ فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل يَغدِر؟

قلت: لا، ونحن الآنَ منه في مدةٍ، نحن نخافُ أن يَغدر.

قال أبو سفيان: ولم يُمكِنِّي كلمة أُدخلُ فيها شيئًا أنتقصه به إلا أخاف أن تُؤثر عني غيرها.

قال: فهل قاتلْتموه وقاتلكم؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كانت حربُكم وحربُه؟

قال: قلت: كانت دُولًا وسِجالًا يُدال علينا ويُدال عليه الأُخرى.

قال: فما يأمُرُكم به؟

قلت: يأمُرُنا أن نعبُد الله وحدهُ لا نشركَ به شيئًا، وينهانا عما كان يعبدُ آباؤنا، ويأمرُنا بالصلاةِ والصدقِ والكَفافِ والعفافِ والوفاءِ بالعهدِ وأداءِ الأمانة.

قال لتُرجمانِه -حين قلت ذلك له-: قل له: إني سألتُك عن نسَبِه فيكم فزعمتَ أنه ذو نسبٍ، وكذلك الرسل تُبعث في نسَب قومها.

وسألتُك: هل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبله؟ فزعمت أن لا. فقلتُ لو كان أحدٌ منكم قال هذا القولَ قبله، قلت: رجلٌ يأتمُّ بقولٍ قيلَ قبله.

وسألتُك: هل كنتم تتهمونَه بالكذبِ قبل أن يقولَ ما قال؟ فزعمت أن لا. فعرفتُ أنه لم يكن لِيدع الكذبَ على الناسِ، ويكذبَ على الله.

وسألتك: هل كان من آبائِه من مَلِكٍ؟ فزعمتَ أن لا. فقلتُ: لو كان من آبائه مَلِك؛ قلت: يطلبُ مُلكَ آبائه.

وسألتك: أشرافُ الناسِ يتَّبعونه أم ضعفاؤهم؟ فزعمت أن ضعفاءَهم اتبعوهُ، وهم أتباعُ الرسلِ.

وسألتك: هل يَزيدون أو يَنقصون؟ فزعمتَ أنهم يزيدون، وكذلك الإيمانُ حتى يتم.

وسألتك: هل يرتدُّ أحدٌ سَخطةً لدينه بعد أن يدخلَ فيه؟ فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان حين يُخالطُ بشاشةَ القلوبِ لا يسخطه أحدٌ.

وسألتك: هل يَغدرُ؟ فزعمت أن لا. وكذلك الرسلُ لا يَغدرون.

وسألتك: قاتلتموهُ وقاتَلَكُم فزعمتَ أن قد فعلَ وأن حَربَكم وحربهُ تكون دولًا يُدال عليكم المرةَ وتُدالون عليه الأُخرى. وكذلك الرسلُ تبتلى وتكون لها العاقبةُ.

وسألتك: بماذا يأمُرُكم فزعمتَ أنه يأمُركم أن تَعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا وينهاكُم عما كان يعبد آباؤكُم ويأمُركم بالصلاةِ والصدقِ والعفافِ والوفاءِ بالعهدِ وأداءِ الأمانةِ، وهذه صفةُ نبيٍّ قد كنتُ أعلم أنه خارجٌ، ولكن لم أظن أنه منكُم وإن يكنْ ما قلتَ حقٌّ؛ فيوشِك أن يملِك موضعَ قدمَيَّ هاتين.

ولو أرجو أن أخلُص إليه لتجشَّمت حتى ألقاهُ، ولو كنت عنده لغسلتُ قدَميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتابِ رسولِ الله ﷺ فأمر به فقُرئَ فإذا فيه: «**بسمِ الله الرحمن الرحيمِ، من محمدٍ عبدِ الله ورسولِه، إلى هرقلَ عظيمِ الرومِ، سلامٌ على من اتَّبع الهُدى.**

أما بعد: فإني أدعوك بداعيةِ الإسلامِ، أسلِم تَسلَم، وأسلم يُؤتِك الله أجرك مرتين وإن تولَّيت فعليك إثمُ الأريسيين، و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]».

قال أبو سفيانَ: فلما أن قضى مَقالتَهُ عَلَت أصواتُ الرومِ الذين حولَه من عظماءِ الرومِ، وكثُر لغَطُهم، فلا أدري ما قالوا أولا. وأمر بنا فأُخرِجنا، فلما أن خَرَجنا من عندِه مع أصحابي وخلوتُ بهم، قلت لهم: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنُ أبي كَبشةَ، هذا مَلك بني الأصفرِ يخافُه.

قال أبو سفيان: والله ما زلتُ ذليلًا مُستيقنًا أن أمره سيظهرُ، حتى أدخلَ الله قلبي الإسلام، وأنا كاره[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهذه الأخبارُ دلت على تقدمِ معرفة المشركين بصدق رسولِ الله ﷺ، وأمانتِه فيما يُخبرُ به ويحدثه، واستدل قيصرُ والأساقفةِ على صدقِهِ وصحةِ نبوته بذلك، إذ لا يَدعُ الكذبَ على المخلوقين ويكذبُ على الخالقِ.

وفي سؤال قيصرَ عن أحوالِ النبي ﷺ، وصفاته، ودعوته، الدلالةُ أن ملاكَ ما يُعرف به صدقُ النبي ﷺ في ادعائه النبوةَ صحةُ الدعوى والأخلاقُ العادلة المستقيمةُ، وأن مَن عدم منه هذان الأمران: صحةُ الدعوى، والأخلاقُ المعتدلة، كان كاذبًا، وفيما يُظهرُ من الأعاجيب والبدائعِ ممخرقًا، وإذا تعرف وتحقق من أولى العلومِ والبصائر بالطباعِ، فوجد منه الخصلتان اللتان ذكرناهما على طول المدةِ، وسرمدِ الأيام، ولا يُذكر عنه تلوُّن، وتَنكُّر على مر الأيام، وقديمها، قَوِيَ المنطقُ بصدقه؛ لجوازِ ما يظهر من المتكلفِ والمتصنعِ من التلوين، والتكرارِ في ماضي أيامه، ومدتِه مع ما يظهره الله تعالى عليه من الآيات والبدائعِ المعجزةِ، ولما كانت البشارةُ لمحمد عليه السلام من عيسى عليه السلام متقررةً عند قيصرَ ونظرائِه، لم يقصدوا تعرفَ غيرِ ما ذكرنا من خصالِه من صحةِ الدعوى واعتدالِ الأخلاقِ مع قرائنها من صفاته التي تَعرَّفها من أبي سفيانَ وأصحابِه.

٩٩- عن أبي بكرةَ قال: لما بُعث رسولُ الله ﷺ، كتب [كسرى] إلى عامله على أرض اليمنِ، ومن يليه من العربِ، وكان يقالُ له: باذان، فقال: بلغني أنه خرج قبلَك رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، فقل له: فليكفَّ عن ذلك، أو لأبعثنَّ إليه من

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

يقتلُه، ويقتل قومَه. قال: فوجَّه باذانُ إلى النبيِّ ﷺ، فقال له هذا. فقال رسولُ الله: لو كان هذا شيئًا فعلته من قِبَلي؛ لكففتُ عنه، ولكن الله بعثني. قال: فأقام الرسولُ عنده، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إن ربي قد أهلكَ كسرى، فلا كسرى بعدَ اليوم، وقد قُتل قيصرُ، فلا قيصرَ بعد اليوم**» قال: فكتب قولَه في الساعة التي حدثه، واليوم والشهر الذي حدثه فيه، ثم رجعَ إلى باذان، فإذا كِسرى قد مات، وإذا قيصرُ قد مات[(١)].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي إخباره ﷺ بموت كسرى في الليلة والساعة آيةٌ عظيمةٌ؛ لما تحققَ موته ووافقَ ساعته وليلتَه التي أخبر بها، دعت هذه الآيةُ صاحبَ صنعاءَ إلى صدقِه، فأتاه مُسلمًا فيما قيل.

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٦٥٥، والبزار (٣٦٤٧).

(٣٠) ذِكر ما رُوِيَ في مناحبةِ الصديقِ مشركي مكةَ على غلبةِ الروم الفُرسَ في بضع سنين، وموضعِ الدلالة في ذلك، وذكرناه في أخبارِ المدينة؛ ليتحققَ وقوعُ غلبةِ الروم فارسِ بالمدينة

١٠٠- عن ابنِ عباس قال: كان المسلمون يحبون أن تَغلبَ الرومُ؛ لأنها أهلُ كتاب، وكان المشركون يُعجبهم أن يغلبَ فارسُ؛ لأنها أهلُ أوثان، وذكر ذلك أبو بكر للمشركين فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلًا فإن غَلبوا كان لك، وإن غُلبوا كان لنا كذا وكذا، فجعلَ بينهم وبينه خمسَ سنين، فمضَت على ذلك، فذكرَ ذلك أبو بكرٍ للنَّبي ﷺ فقال: ألا جعلتَ دون العشرِ.

قال سعيدُ: والبِضعُ ما دون العشرِ. قال: فغُلبَت الروم، ثم غَلبَت فذلك قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم:١- ٢] إلى قوله: ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٥].
قال سفيانُ: سمعتُ أنهم غَلبوا يوم بدرٍ[١].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وموضعُ الدلالة من هذه القصةِ: إخبارُه ﷺ بأن الرومَ سيصيرون غالبين بعد أن غُلبوا، فإن الله عزَّ المؤمنين بهذا الخبرِ، ما يمرُّ من الاغتمامِ من غلبة فارسَ الرومَ، فيتَحققُ وعد الله في صدقِ الخبر.

وأما مراهنةُ أبي بكر ومناحبتُه لقريشٍ، فكان تحريًا واجتهادًا منه، الذي يقعُ فيه الإصابةُ والخطأ، فإذا لم يُصب كان الخطأُ واقعًا في تحري أبي بكر لا في إخبارِ الله؛ لأن الله لم يُعيِّن سنة بعينها، وإنما وعد غلبةَ الروم فارسَ في البضعِ، والبضع من سنةٍ إلى تسع، فصار الرومُ غالبين لهم في البضعِ، تحقيقًا لخبرِ الله ووعدِه، فكان ذلك آيةً لرسولِه عليه الصلاة والسلام إذا أخبرَهم بها تحقق صدقُه، وظهرَت حقيقتُه، ففي ذلك ثبوتُ نبوتِه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٩٣).

(٣١) ذِكرُ ما رُوِي في قصة السيد والعاقب لما نَكَلا عن المباهلةِ والتزما الجزية فرارًا من المباهلة وذلك قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤] إلى قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران:٦١].

١٠١ - عن عبدِ الله بن مسعودٍ قال: جاء السيدُ والعاقبُ صاحبا نجرانَ إلى رسولِ الله ﷺ يريدان أن يُلاعناه. فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله، لئن كان نبيًّا فلاعَننا لا نُفلحُ نحن ولا عَقبنا بعده.

فقالا: لا، بل نُعطيك ما سألتَ، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعَث إلا أمينًا. فقال: «**لأبعثنَّ معكم رجلًا أمينًا حق أمين**» فاستشرفَ لها أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: «**قم يا أبا عُبيدةَ بنَ الجراح**» فلما قفا قال رسولُ الله ﷺ: «**هذا أمينُ هذه الأمة**»(١).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٦)، وأحمد ٧/ ٤٥ (٣٩٣٠).

(٣٢) **ذِكر خبر في قوله:** ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦]، **وقوله:** ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨﴾ [العلق: ١٧-١٨]

١٠٢- عن ابنِ عباسٍ قال: قال أبو جهل: لئن رأيتُ رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبةِ، لأتيتُه حتى أطأَ على عنقِه. فقال النبيُّ ﷺ: «**لو فعل؛ لأخذَته الملائكةُ عيانًا، وأن اليهودَ لو تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدَهم من النارِ، ولو خرجَ الذين يُباهلون رسولَ الله ﷺ؛ لرَجعوا لا يجدونَ مالًا ولا أهلًا**»[1].

عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسي بيدِه، لو دنا مني أبو جهلٍ؛ لاختطفَته الملائكة عضوًا عضوًا.

١٠٣- قال ابن عباسٍ: ولو باهَلَ أهلُ نجران رسولَ الله ﷺ؛ لرجعوا لا يجدون أهلًا ولا مالًا، ولو تمنَّت اليهودُ الموت لماتوا[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٨) مختصرا، وأحمد ٤/ ٩٨ (٢٢٢٥).

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٩٨ (٢٢٢٥)، وأخرج شطره الأول البخاري (٤٩٥٨).

(٣٣) ذكر أخبار مسائل سئل عنها رسول الله ﷺ بالمدينة وغيرها

١٠٤- عن أنسِ بن مالكٍ، أتى عبدُ الله بن سلَام رسولَ الله ﷺ فقال: إني سائلك عن أشياءَ لا يعلمها إلا نبيٌّ، فإن أنت أخبرتني آمنتُ بك، فسألَه عن الشَّبَهِ؟ وعن أول شيء يَحشر الناس؟ وعن أول شيء يأكلُ أهل الجنة؟

فقال رسولُ الله ﷺ: «**أخبرني بهن جبريلُ عليه السلام آنفًا**».

قال: فإن ذاك عدوُّ اليهود.

فقال له رسول الله ﷺ: «**أمَّا الشبه: إذا سَبَقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأة ذهب بالشبه، وإذا سبق ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل ذهبَ بالشبه، وأول ما يحشُر الناس: نارٌ تجيءُ من قِبلَ المشرق، تَحشر الناس إلى المَغربِ، وأول شيء يأكلُ أهلُ الجنة: رأسُ ثورٍ، وكَبد حوتٍ**»[(١)].

١٠٥- عن ثوبانَ مولى رسولِ الله ﷺ قال: كنتُ قاعدًا عند رسولِ الله ﷺ، فجاء حَبرٌ من أحبارِ اليهود فقال: السلام عليك يا محمدُ، فدفَعتُه دفعةً كاد أن يُصرع.

فقلت: أَوَلَا تقول: يا رسولَ الله!

فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمِهِ الذي سمَّاه به أهله.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن اسمي محمدٌ الذي سماني به أهلي**».

فقال اليهوديُّ: جئت أسألُك.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٢٩).

فقال له رسولُ الله ﷺ: «**ينفعُك شيءٌ إن حدثتُك؟**»

فقال: أسمع بأذني.

فنكتَ بعود معه، فقال: «**سل**».

فقال اليهودي: أين الناسُ يوم تُبدَّل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**في الظُّلمة دون الجسرِ**».

قال: فمن أوَّل الناس إجازةً؟

قال: «**فُقراءُ المهاجرين**».

فقال اليهوديُّ: فما تحيتُهم حين يدخلون الجنةَ؟

قال: «**زِيَادَة كبِدِ الحوتِ**[١]».

قال: ما غَداؤهم على إثرِها؟

قال: «**يُنحرُ لهم ثورُ الجنة، الذي يأكلُ من أطرافِها**».

قال: فما شرابُهم عليه؟

قال: «**من عين تُسمَّى سلسبيلا**».

قال: صدقت.

قال: وجئت أسألك عن شيءٍ لا يعلمه من أهل الأرضِ إلا نبيٌّ، أو رجل أو رجلان.

(١) (الزِّيَادَة): هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد، وهي في المطعم في غاية اللذة.

قال: «**ينفعُك إن حدَّثتك؟**»

قال: أسمع بأُذني، قال: جئتُ أسألك عن الوَلد؟

قال: «**ماء الرجلِ أبيضُ، وماءُ المرأةِ أصفرُ، فإذا اجتمعا فعَلا منيُّ الرجلِ منيَّ المرأةِ أذكَرَا بإذن الله، وإذا علا مني المرأةِ منيَّ الرجلِ آنثا بإذن الله**».

فقال اليهوديُّ: لقد صدقتَ، وإنك لنبيٌّ، فانصرف، فذهب.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما لي علمٌ بشيءٍ، حتى أنبأني الله به** عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

١٠٦- وعن ابنِ عباس قال: حضرَت عصابةٌ من اليهود النبيَّ عليه الصلاة والسلام فقالوا: يا أبا القاسمِ، حدثنا عن خلالٍ نسألُك عنها لا يعلمُها إلا نبيٌّ. قال: «**سَلوني عما شئتُم، ولكن اجعَلوا ذمةَ الله وما أخذَ يعقوبُ على بَنيه إن أنا حدثتُكم بشيءٍ تَعرفونَه لتُبايِعنني على الإسلام**» قالوا: ذلك لك. قال: «**فسَلوني عما شئتُم**» قالوا: أخبِرنا أربعَ خلالٍ نسألك عنها:

أَخبِرنا عن الطعام الذي حرَّم إسرائيلُ على نفسه من قبل أن تُنزل التوراةُ؟ وأخبِرنا عن ماء المرأةِ من ماء الرجلِ؟ وكيف يكون الذَّكرُ منه حتى يكونَ ذكرًا؟ وكيف تكونُ الأنثى حتى تكونَ أنثى؟ وأخبرنا كيف هذا النبيُّ الأمي في النوم؟ ومن وليُّك من الملائكةِ؟

قال: «**فعليكم عهدُ الله لَئِن أنا حدثتُكم لتُتابِعُنِّي؟**» فأعطوه ما شاء من عهدٍ وميثاق.

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٥).

قال: «**فأنشدُكم بالله، هل تعلمون أن إسرائيلَ -يعقوبَ- مرضَ مرضًا شديدًا، فأطال سقمُه فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سَقمِهِ؛ ليحرِّمنَّ أحب الشراب وأحبَّ الطعام إليه، فكان أحبُّ الشرابِ إليه ألبانَ الإبل، وكان أحبُّ الطعام إليه لحمانَ الإبل؟**» قالوا: اللهمَّ نعم. فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم اشهَد عَلَيهم**».

قال: «**فأنشُدُكم الله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراةَ على موسى، هل تعلمون أن ماءَ الرجل غليظٌ أبيض، وأن ماءَ المرأة رقيقٌ أصفر: فأيهما علا كان الولدُ والشبه منه بإذنِ الله** عَزَّوَجَلَّ**، إن علا ماءُ الرجل ماءَ المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماءُ المرأة ماءَ الرجل كانت أنثى بإذن الله**». قالوا: اللهم نعم. فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللهم اشهد**».

قال: «**فأُنشدُكم بالله الذي أنزل التوراةَ على موسى، وهل تعلمون أن النبيَّ الأمي هذا تنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه**». قالوا: اللهم نعم. قال: «**اللهم اشهَد**».

قالوا: أنت الآن حدِّثنا مَن وليُّك من الملائكة؟ فعندها نُجامعُك أو نُفارقك. قال: «**وليِّي جبريلُ عليه السلام، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليُّه**». قالوا: فعندها نفارِقُك، لو كان وليُّك غيره من الملائكةِ لا تَّبعناك وصدَّقناك. قال: «**فما يَمنعُكم أن تُصدِّقوه؟**». قالوا: إنه عدوُّنا من الملائكةِ فأنزل الله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة:٩٧] إلى آخر الآية، ونَزلت: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة:٩٠][1].

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٢٨٤ (٢٤٨٣).

(٣٤) ذكرُ أخبارِ الجنِّ وإسلامِهم ووفودِهم إلى النبي ﷺ وتعرضِهم للمسلمين، منها ما كان بمكة ومنها بالمدينةِ

١٠٧- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن بالمدينة جنًّا قد أسلموا، فإذا رأيتُم منها شيئًا فآذنوه ثلاثة أيامٍ، فإن بدا لكم بعد ذلك، فاقتلوه، فإنما هو شيطانٌ**»[(١)].

١٠٨- عن ابن عباسٍ قال: خرج رجلٌ من خيبرَ، فتبِعه رجلان، وآخرُ يتلوهما، يقول: ارجعا. حتى أدركَهما، فردَّهما ثم لحق الرجلَ فقال له: إن هذين شيطانان، وإني لم أزل بهما حتى رددتُهما عنك، فإذا أتيتَ رسولَ الله ﷺ فأقرِءه السلامَ، وأخبره أنا في جمع صدقاتِنا، ولو كانت تَصلحُ له لبعَثنا بها إليه، فلما قدمَ الرجلُ المدينة، أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه. قال: فنهى رسولُ الله ﷺ عند ذلك من الخلوةِ[(٢)].

١٠٩- عن أبي هريرةَ قال: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ أحملُ إداوتي فأدركتُه وهو يريدُ الحاجة. فقال: «**من هذا؟**» قلتُ: أبو هريرةَ، يا رسولَ الله. قال: «**ابغِ لي أحجارًا أستنفضُ بها، ولا تَأتني بعظمٍ ولا بروثةٍ**» فأتيتُه بأحجار أحملُها في طرف ثوبي، حتى وضعَها إلى جنبِه، فلما فرغَ انصرف، فاتبعتُه، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما بالُ العظم والروثةِ؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٦).

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٠٨ (٢٥١٠).

قال: «**إنه جاءني وفد جنِّ نَصيبين من الشام، ونِعم الوفدُ، فسألوني الزادَ، فدعوتُ لهم، أن لا يَمروا بعظمٍ ولا روثةٍ إلَّا وجدوا عليه طَعامًا**»[(١)].

١١٠- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن عِفريتًا من الجنِّ تفلَّت عليَّ البارحة؛ ليقطعَ عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه، فذُعتُه، وأردتُ أن أربطَه إلى ساريةٍ من سَواري المسجد، حتى تصبحوا فتَنظروا إليه كلُّكم أجمعون**». قال: «**فذكرت دعوةَ أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: ٣٥]**» قال: «**فرددتُه خاسئًا**»[(٢)].

١١١- عن أبي هريرةَ قال: ولَّاني رسولُ الله ﷺ زكاةَ رمضان، أن أحتفظَ بها، فأتاني آتٍ فجعلَ يَحثو من الطعامِ، فأخذُته قال: دعني فإني مُحتاجٌ، وعلي عيال، وشكا حاجةً فرحمتُه، وخليتُ سبيلَه، وأصبحتُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعلَ أسيرُك الليلةَ؟**» قلت: يا نبيَّ الله، شكا حاجةً شديدةً، وعيلةً وجهدًا، فرحمتَه، فخليتُ سبيله. فقال: فقد كذَبك وسيَعود.

حتى كان الليلةَ الثانية، جاء يَحثو من الطعامِ، فأخذَه أبو هريرةَ، فقال: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ؛ زعمتَ لي أنك لا تعودُ، وأراك قد عُدتَ. قال: دعني، فشكا عيالًا وحاجةً شديدة، فخلى سبيلَه ورحمَه، وأصبح، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعل أسيرُك الليلةَ؟**» قلت: يا نبيَّ الله شكا حاجةً شديدةً، وجهدًا فرحمتُه، وخليتُ سبيلَه. فقال: أما قد كذبَك، وسيعودُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).

فعادَ الليلةَ الثالثة، فأخذَه، فقال: لأرفعنَّك إلى رسولِ الله ﷺ، هذه ثلاثُ ليال تَزعُم أنك لا تعودُ، ثم تعود. قال: دعني فإني لا أعودُ، وأُعلمك كلماتٍ ينفعُك الله بها، إذا أويتَ إلى فراشِك، فاقرأ آيةَ الكرسي من أولها إلى آخرِها، فإنه لن يزالَ عليك من الله حافظٌ، ولا يقربُك شيطانٌ حتى تصبحَ، فخلا سبيلَه، فأصبح، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا هريرةَ، ما فعلَ أسيركُ الليلةَ؟**» قلت: يا نبيَّ الله، علمني شيئًا، زعم أن الله يَنفعُني به قال: «**ما هو؟**» قال: أَمرني إذا أويتُ إلى فراشي أقرأُ آية الكرسي من أولها إلى آخرِها، فإنه لن يزالَ عليَّ من الله حافظٌ، ولا يَقربني شيطانٌ حتى أصبحَ. قال: «**أما قد صَدقَك وهو كذوبٌ، يا أبا هريرةَ، تعلمُ من تخاطبُ منذ ثلاثٍ**» قلتُ: لا. قال: «**ذاك شيطانٌ**»[1].

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٣٥) فصل في ذكر الأخبارِ في شكوى البهائمِ والسباعِ وسجودها لرسولِ الله ﷺ، وما حُفظ في عهده ﷺ من كلامِها

١١٢- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: بينما راعٍ يرعى بالحرَّة، إذ انتهزَ الذئب شاةً فتبعه الراعي فحال بينه وبينها، فأقبلَ الذئبُ على الراعي، فقال: يا راعي ألا تتقي الله، تحولُ بيني وبين رزقٍ ساقه الله إليَّ؟

فقال الراعي: العجبُ من ذئبٍ مُقعٍ على ذنَبِه، يكلمني بكلامِ الإنسِ!

فقال الذئبُ: ألا أخبرُك بما هو أعجبُ من هذا، رسولُ الله ﷺ بين الحرَّتين، يدعو الناسَ إلى أنباءِ ما قد سبق.

فساقَ الراعي شاتَه حتى أتى المدينةَ، فزوَّاها إلى زاويةٍ من زواياها، ثم دخلَ على رسولِ الله عليه الصلاة والسلام، فأخبرَه بما قال الذئب.

فخرج رسولُ الله ﷺ فقال للراعي: «**أخبِرْهم بما قال الذئبُ**».

فقال رسولُ الله ﷺ: «**صدق الراعي، ألا إنه من أشراطِ الساعة: كلامُ السباعِ للإنسِ، والذي نفسي بيدِه، لا تقومُ الساعةُ حتى يكلمَ السباعُ الإنسَ وحتى يكلمَ الرجلَ شراكُ نعله، ويخدِمُه سوطُه، ويخبرُه فخِذُه بما أحدثَ أهلُه بعده**»[(١)].

١١٣- عن جابرٍ قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ في سفرٍ، ثم سِرنا ورسولُ الله عليه الصلاة والسلام بيننا، كأنما على رؤوسِنا الطيرُ تُظِلنا، فإذا جملٌ نادٌّ، حتى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨١)، وأحمد ١٨/ ٣١٥ (١١٧٩٢).

إذا كان بين السُّماطَين خر ساجدًا، فحبسَ رسول الله ﷺ ثم قال على الناس: «**من صاحبُ هذا الجملِ؟**» فإذا فتيةٌ من الأنصارِ، فقالوا: هو لنا يا رسولَ الله. قال: «**فما شأنُه؟**» قال: سَنَيْنا عليه منذ عشرين سنة، وكانت به شحيمةٌ، فأردنا أن ننحرَه فنَقسِمَه بين غلمانِنا، فانفلتَ عنا. قال: «**بيعونِيه**» قالوا: لا، بل هو لك يا رسولَ الله. قال: «**أما لا، فأحسِنوا إليه، حتى يأتيَه أجلُه**»[(١)].

١١٤- عن عبدِ الله بن جَعفر قال: أردَفَني رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ خلفَه، فأسرَّ إليَّ حديثًا لا أحدِّث به أحدًا من الناسِ، وكان أحبُّ ما استَتَرَ به النبي ﷺ لحاجتِه هدفًا أو حائشَ نخلٍ[(٢)]، فدخل يومًا حائطَ رجل من الأنصارِ، فرأى فيه بعيرًا، فلما رآه البعيرُ حَنَّ، وذَرَفَت عيناه، فمَسَحَ رسولُ الله ﷺ سُراتَه[(٣)] وذفراه[(٤)] فسكن.

فقال: «**لمن هذا البعيرُ؟**» أو: «**مَن ربُّ هذا البعيرِ؟**»

فقال الأنصاريُّ: أنا يا رسولَ الله.

قال: «**أحسِن إليه، إذ ملَّكَكَ الله، فإنه شكا إليَّ أنك تُجيعُه، وتَدئِبُه**»[(٥)].

١١٥- عن عبدِ الله بن قُرط قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أفضلُ الأيام عندَ الله يومُ النحرِ، ثم يوم القَرِّ**». يستقر فيه الناسُ، وهو الذي يلي يومَ النحر، قُدِّم إلى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٦/ ٤٨٣ (٣٢٤١٣)، والدارمي (١٧).
(٢) (حَائِش): النخل الملتف المجتمع.
(٣) (سُراته) السُّراة: أعلى الظهر.
(٤) (ذِفْراه) الذِّفْرَى: الموضع الذي يَعرَقُ من قفا البَعير، وهما ذفْريانِ من كل شيء.
(٥) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩).

رسول الله ﷺ فيه بدنات خمسٌ أو ستٌّ، فطفِقنَ يزدَلِفن إليه بأيَّتهن يبدأُ، فلما وجَبت جنوبُها قال رسولُ الله ﷺ كلمةً خفيةً لم أتفهَّمها، فقلتُ للذي إلى جنبي: ما قال؟ قال: «**مَن شاءَ اقتطعَ**[1]»[2].

قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما تَضمَّنت هذه الأخبارَ من الآياتِ والدلائلِ الواضحةِ من سُجودهن، وشِكايتِهن، وازدِلافِهن، وما في معناه، فليس يَخلو مِن أحدِ أمرَين: إما أن يكونَ رسولُ الله ﷺ أعطِيَ عِلمًا بنغم هذه البَهائمِ، وشِكايتهن، كما أعطِيَ سليمانُ عليه السلام علمًا بمنطقِ الطيرِ، فذلك له آيةٌ، كما كان نظيرُها لسليمانَ عليه السلام آيةً، أو عَلِمَ ذلك بالوحي، وأي ذلك كان، ففيه أُعجوبةٌ وآيةٌ معجزةٌ.

---

(١) (شاء اقتطع) أي: أخذ قطعة منها.

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٦٥).

(٣٦) فصل في ذكرِ ما رُوي في تسليمِ الأشجارِ وطاعتهن له وإقبالهنَّ عليه ﷺ إذا دعاهنَّ للاستتار بهنَّ في الصحاري والبراري وإجابتهن إذا دعاهُن عند سؤالِ من يُريدُ إظهارَ آية ودلالة

١١٦- عن جابرِ بن سَمُرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**لما كانت ليالي بُعثتُ، ما مَررتُ بشَجر، ولا حجرٍ إلا قالَ: السلامُ عليك يا رسولَ الله**»[(١)].

١١٧- عن أنسِ بن مالكٍ قال: غَدَت قريشٌ على رسولِ الله ﷺ فنالوا منه حتى أدمَوهُ، فصعدَ حِراء كئيبًا حزينًا، فأتاه جبريلُ فقال: «**ترى ما صُنعَ بي؟ قال: أُريك آية؟ قال: نعم. قال: ادعُ تلك الشجرةَ، فدعاها، فجاءت تجرُّ عروقَها فقال: مُرها، فلتَرجِع إلى مَوضِعِها فأمرَها فرَجَعَت فقال: ما أُبالي ما صُنعَ بي بعدَ اليومِ**»[(٢)].

١١٨- عن يَعلى بن مُرَّةَ قالَ: كنتُ مع النبيِّ ﷺ ونَزلنا بأرضٍ فيها شجرٌ كثيرٌ، فقالَ لي: «**اذهَب إلى تلك الشجرَتين، فقل لهما: إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمرُكما أن تجتَمِعا**»، فذَهبتُ إليهما فقلتُ: إن رسولَ الله ﷺ يأمرُكما أن تجتَمِعا، فاجتَمعَتا، فقَضى رسولُ الله ﷺ حاجةً، وقال: «**اذهَب فقل لهما: يَنفرِقان**» فقلتُ لهما؛ فتَفرقَتا[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) بدون ذكر الشجر.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٨).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٦١٢)، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٢٦٤ (٦٧٩)، والحاكم (٤٢٣٢).

١١٩- عن ابنِ عباسٍ قال: جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: بم أعرفُ أنك رسولُ الله؟

قال: «**أرأيتَ إن دعوتُ هذا العِذْقَ**[١] **من هذه النخلةِ، أتشهَدُ أني رسولُ الله؟**»

قال: نعم.

فدعا العِذقَ، فجاء العِذقُ ينزِل من النخلةِ، حتى سقطَ في الأرضِ، فجعلَ يَنقُزُ، حتى أتى النبيَّ ﷺ قال له: «**ارجِع**» فرجع حتى عادَ إلى مكانِه.

فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله. وآمن[٢].

---

(١) (العِذْق): العرجون بما فيه من الشماريخ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٢٨).

(٣٧) فصل في ذكر حَنين الجِذعِ

١٢٠- عن جابرِ بن عبدِ الله يقول: كان النبيُّ ﷺ إذا خطبَ استَند إلى جِذع نخلةٍ من سَواري المسجد، فلما صُنع له مِنبرُه واستوى عليه، اضطَرَبت تلكَ الساريةُ، كحنينِ الناقةِ، حتى سمعَها أهلُ المسجدِ، حتى نَزَلَ إليها رسولُ الله ﷺ، فاعتَنَقَها فسَكَنَت[1].

(١) أخرجه النسائي (١٣٩٦)، وأصله في البخاري (٩١٨).

(٣٨) فصل في فَوران الماء من بين أصابِعه حضرًا وسفرًا

هذه الآية من أعجَب الآيات وأجلِّها معجزةً وأبلغِها دلالةً، شاكلت دلالة موسى عليه السلام في تفجُّر الماء من الحَجرِ حين ضربه بعصاه، بل هذا أبلغ في الأُعجوبةِ؛ لأن نبوعَ الماء من بين اللحم والعظم أعجبُ من خروجه من الحَجرِ؛ لأن الحجر سنخٌ من أسناخ الماء مشهورٌ في المعلومِ مذكور في الْمُتعارفِ، وما رُؤيَ قط ولا سُمع بماءٍ قط في ماضي الدهورِ نبعَ وانفجر من أجساد بني آدمَ حتى صدر عنه الجمُّ الغفيرُ من الناس والحيوان رواء، وانفجارُ الماء من الأحجارِ ليس بمنكرٍ ولا بديعٍ، وخروجُه وتفجره من بين الأصابع مُعجزٌ بديع.

١٢١- عن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع النبي ﷺ في سفرٍ فأُتي بإناء فيه ماء، فوضع يدَه في الإناءِ، فجعل الماء يفورُ من بين أصابِعه، فقال: «**حي على الوضوءِ والبَركة من الله**» قال: فتوضأ القومُ كلُّهم(١).

١٢٢- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: لما كنا يوم الحُديبيَةِ أتي رسولُ الله ﷺ برَكوةٍ من ماء فجَهَشَ(٢) الناسُ، فقلنا ما مع الناسِ ماءٌ إلا ما بين يديك، قال: فوضعَ النبيُّ ﷺ يدَه في الركوة فجعلَ الماءُ يثورُ من أصابعه كأنها العيونُ، فأصاب الناسُ من الماء حاجَتَهم.

قال: قلت له: كم كنتُم؟

قال: لو كنا مئةَ ألفٍ كفانا، كنا خمسَ عشرةَ مئة(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

(٢) (فجَهَشَ) أي: أسرعوا لأخذ الماء.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).

١٢٣- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: سافرنا معَ رسولِ الله ﷺ فحضرتِ الصلاةُ فقال رسول الله ﷺ: «**أمَا في القومِ طَهور؟**»

فجاء رجلٌ بفضلِ ماءٍ في إداوة فصبَّه في قدحٍ فتوضأ رسولُ الله ﷺ، ثم إن القومَ أتوا ببقيةِ الطَهور.

فقال: تمسَّحوا، فسمعَهم رسول الله ﷺ فقال: «**على رِسلِكم**».

قال: فضرب رسولُ الله ﷺ يدَه في القدحِ في جوفِ الماءِ، ثم قال: «**أسبِغوا الطهورَ**».

قال: فقال جابرٌ: والذي أذهب بَصري لقد رأيتُ الماءَ يخرُج من بين أصابعِ رسولِ الله ﷺ فلم يرفعْ يده حتى توضؤوا أجمعون، وكنا يومئذٍ بضع عشرة ومئتين[1].

عن أبي قتادةَ، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في سفَرٍ فقال: «**أمعكُم ماءٌ؟**»

قلت: نعم، معي مِيضأةٌ فيها شيء من ماءٍ.

فقال: «**إيتِ بها**»، فأتيته بها.

فقال: «**مسُّوا منها**»، فتوضأ القومُ وبقي في الميضأة جَرعةٌ، فقال: «**ازدهِر**[2] **بها يا أبا قتادةَ فإنه سيكونُ لها بنا مآلٌ**».

(١) أخرجه أحمد ٢٣/ ١٤٦ (١٤٨٦٠)، وأصله في البخاري (٣٥٧٦)، ومسلم (١٨٥٦).
(٢) (ازدَهَر): احتفظ.

فلما اشتدت الظهيرةُ رجعَ لهم رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله، عطِشنا، هلَكنا، تقطَّعت الأعناق.

فقال النبي ﷺ: «**لا هُلكَ عليكم**».

ثم قال: «**يا أبا قتادةَ إيتِ بالميضأةِ**» فأتيته بها فقال: «**احلُل لي غُمَري**»، يعني: قدحه، فحللتُه فأتيته به، فجعل يَصُب فيه، وسقى الناسَ، فازدحم الناس عليه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا أيها الناسُ، أحسنوا الملأ فكلُّكم سيصدُرُ عن رِي**»، فشربَ القومُ حتى لم يبقَ غيري وغيرُ رسول الله ﷺ فصبَّ لي وقال لي: «**اشربْ يا أبا قتادة**».

قال: قلت: اشرب أنت يا رسولَ الله.

قال: «**إن ساقيَ القومِ آخرُهم**»، فشربت ثم شربَ بعدي وبقيَ في الميضأةِ نحوٌ مما كان فيها، وهم يومئذ ثلاث مئة(١).

١٢٤- عن أنس قال: حضرت الصلاةُ فقامَ جيران المسجدِ إلى منازِلهم وبقي ناسٌ من المهاجرين ما بين السبعين إلى الثمانين، فدعا رسولُ الله ﷺ بمِخضبٍ(٢) فيه ماءٌ فوضعَ أصابعه في المخضبِ، وجعل يصبُّ عليهم حتى توضؤوا أجمعين، وبقي نحو مما كان فيه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥)، ومسلم (٦٨١).

(٢) (المِخْضَب):وعاء من أدم يتخذ للماء.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٥)، ومسلم (٢٢٧٩).

١٢٥- عن أنسٍ أن النبي ﷺ كان بالمدينةِ بمكانٍ يُقال له: الزوراء، فدعا بإناءٍ فوق القدحِ ودون القَعْبِ[١] فيه ماء يتخضخضُ فوضعَ كفه في الإناءِ، قال أنسٌ: فجعلت أرى الماءَ ينبعُ من بين أصابعِه فسقى الناسَ وكانوا قد عطِشوا، قال: قلت لأنسٍ: كم كانوا؟ قال: كانوا ثلاث مئة أو زُهاء ثلاث مئة[٢].

١٢٦- عن البراءِ بن عازبٍ، قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في مَسيرٍ فأتينا على رَكِيَّةٍ دَمِنَة -وهي القليلةُ الماء- قال: فنزل ستَّة أنا سادسهم، أو قال: سبعةٌ أنا سابعُهم ماحةً - قال سليمان: الماحةُ: الذين يَقدحون الماءَ - قال: فأُدلِيَت إلينا دَلوُ رسولِ الله ﷺ على شَفةِ الركيَّة. قال: فجَعَلنا فيها نِصفَها، أو قال: قُراب ثلثيها أو نحو ذلك.

قال البراء: فدَنوتُ بإناءٍ هل أجدُ شيئًا أجعلها في حَلقي فما وجدتُه، فرفعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فغمسَ يده فيها فقال ما شاء الله أن يقول.

قال: فأُعيدَت إلينا الدلوُ وما فيها من الماءِ، قال: فلقد رأيتُ آخرَنا أُخرجَ بثوبٍ رهبةَ الغَرقِ ثم ساخَتِ البئرُ أو ساحت[٣].

١٢٧- عن عِمران بن حصينٍ، قال: كنا في سفرٍ مع النبي ﷺ فسرنا ليلةً، حتى إذا كان في آخرِ الليل قُبيلَ الصبحِ وقعنا تلك الوَقعةَ، ولا وقعةَ أحلى عند المُسافرِ منها فما أيقظَنا إلا حرُّ الشمسِ، وكان أولَ من استيقظَ بلالٌ، ثم فلان، ثم فلان، وسماهم، ثم عمرُ بنُ الخطابِ استيقظَ.

---

(١) (القَعْب) أي: القدح الضخم.
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، مسلم (٢٢٧٩).
(٣) أخرجه أحمد ٣٠/ ٥٤٧ (١٨٥٨٤)، وأصله في البخاري (٣٥٧٧).

وكان رسولُ الله ﷺ إذا نام لم نوقِظْه حتى يكون هو الذي يستيقظُ؛ لأنا لا نَدري ما يُحدث له في نومِه، فلما استيقظ عُمرُ ورأى ما أصابَ الناس -وكان رجلًا جَلِيدًا[١]- فكبَّر ورفعَ صوته بالتكبيرِ، فما زالَ يُكبرُ ويرفعُ صوتَه حتى استيقظَ رسولُ الله ﷺ بصوته.

فشكا إليه القومُ الذي أصابَهم، فقال: «**لا ضَيرَ، ارتَحِلوا**» فارتحلَ فسار غيرَ بعيدٍ، ثم نزلَ فدعا بوَضوءٍ فتوضأ، ثم نُودي بالصلاةِ فصلى بالناسِ فانفتلَ من صلاتِه، فإذا رجلٌ مُعتزلٌ لم يُصلِّ مع القومِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما مَنَعَك يا فلان أن تُصليَ مع القوم؟**».

فقال: يا رسولَ الله أصابَتني جنابةٌ ولا ماءَ.

قال: «**عليك بالصعيدِ فإنه يَكفيك**».

ثم سار فاشتكا الناسُ إليه العطشَ، فنزَل فدعا فلانًا، ودعا عليَّ بن أبي طالبٍ، فقال لهما: «**اذهبا فابغِيا الماءَ، فانطلِقا فستلقيان امرأةً بين سَطِيحَتَين أو مَزادَتين**[٢] **من ماء على بَعيرٍ لها**» فانطلَقا، فقالا لها: أين الماءُ؟

فقالت: عهدي أمسِ هذه الساعة، فقالا لها: انطلِقي، فقالت: إلى أينَ؟ قالا: إلى رسولِ الله ﷺ، قالت: هذا الذي يُقالُ له: الصَّابي[٣]. قالا: هو الذي تعنينَ فانطلقي.

---

(١) (جَلِيدًا) هو من الجلادة بمعنى: الصلابة.

(٢) (بين سَطِيحَتَيْنِ أو مَزَادَتين) السطيحة: تكون من جلدين قوبل أحدهما بالآخر، والمزادة: مثلها ويزاد فيها جلد ثالث لتتسع.

(٣) (الصَّابي) أي: المائل.

فجاءا بها إلى رسولِ الله ﷺ فحدثاهُ الحديثَ فاستنزَلوها من بَعيرِها، ودعا رسولُ الله ﷺ بإناءٍ فجعلَ فيه أفواهَ السَّطيحتين أو المَزادتين، ثم تَمضمَضَ فأعاده في الإناءِ ثم أعادَه في أفواهِ السطيحتين أو المزادتين ثم أوثقَ أفواهَهُما وأطلق العَزَالِـي[(١)].

ونُودي في الناسِ: أن أسقوا واستقوا، فسقا من شاءَ واستقى مَن شاءَ، وكان آخرَ ذلك أن أعطى الذي أصابتهُ الجنابةُ، فقال: «**اذهَب فأفرِغْه عليك**».

وهي قائمةٌ تنظر إلى ما يَفعلُ بمائِها، وايمُ الله، لقد أوكتْها حين أقْلعَ وإنه ليُخيلُ إلينا أنها أشدُّ منها امتلاءً.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اجمعوا لها**» فجمعوا لها ما بين عَجوةٍ وسَويقةٍ ودَقيقةٍ حتى جمعوا لها طعامًا في ثوبٍ وحملوها على بَعيرِها ووضعوهُ بين يديها.

فقال لها رسولُ الله ﷺ: «**تَعلَّمينَ! والله، ما رَزِأناك[(٢)] من مائِك شيئًا، ولكنَّ الله هو سقانَا**».

فأتت أهلَها وقد احتبَسَت عنهم، فقالوا: يا فلانةُ ما حبسَك؟

قالت: العجبُ، لقِيَني رجلان فذهبا بي إلى هذا الذي يُقالُ له: الصابئُ، ففعلَ كذا وكذا للذي كان، فوالله إنه لأسحرُ من بين هذه وهذه، أو إنه لرسولُ الله حقًّا، فكان المسلمون يُغيرون على من حولَها من المشركين ولا يُصيبونَ الصِّرمةَ[(٣)] التي تليها.

---

(١) (العَزَالِـي) جمع عزلاء، وهي مصب الماء من الراوية حيث تستفرغ.

(٢) (ما رَزِأناك) أي: ما نقصناك.

(٣) (الصِّرمة) أي: أبياتا مجتمعة من الناس.

فقالت يومًا لقومِها: والله ما أَرى هؤلاء القومَ يَدعونَنا، فهل لكم في الإسلامِ؟ فطاوَعوها فجاؤوا فدخلوا جميعًا في الإسلامِ[(١)].

١٢٨- عن أبي عَمرةَ الأنصاري قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غَزاها وأصابَ الناسُ مَخمصةً، ثم دعا بركوةٍ فوُضعت بين يديه، ثم دعا بماءٍ فصبَّه فيها، ثم مجَّ فيها بما شاء الله أن يتكلَّم ثم أدخلَ خِنصرهُ فيها، فأُقسم بالله، لقد رأيتُ أصابعَ رسولِ الله ﷺ تتفجرُ ينابيعَ الماءِ، ثم أمر الناسَ فشربوا وسقوا وملئوا قِرَبَهم وإداواتهم، ثم ضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجِذه.

ثم قالَ: «**أشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، لا يَلقى الله بهما أحدٌ يومَ القيامة إلا دخلَ الجنةَ على ما كان**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤)، ومسلم (٦٨٢).

(٢) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٨٤ (١٥٤٤٩).

(٣٩) ذِكرُ الآبارِ والعيونِ التي مَجَّ فيها رسولُ الله ﷺ فكثُر ماؤها وما ظهرَت من برَكته فيها

١٢٩- عن معاذِ بن جبلٍ أنهم خرجوا مع رسولِ الله ﷺ إلى تَبوكَ قال: كان النبيُّ ﷺ يجمعُ بين الظهرِ والعصرِ، والمغربِ والعشاءِ جميعًا، ثم قال: «**إنكم ستأتون إن شاء الله عينَ تبوك، وإنكم تأتونَها حين يَضحى النهارُ، فمن جاءَها فلا يمسُّ من مائها شيئًا، حتى آتي**».

فجئنا وقد سبقَ إليها رجلان، والعينُ مثل الشراكِ تبِضُّ بشيء من مائها، فسألهما رسولُ الله ﷺ وقال لهما: «**هل مَسستُما من مائها شيئًا؟**»

قالا: نعم.

فسبَّهما رسولُ الله ﷺ، وقال لهما ما شاءَ الله أن يقولَ، ثم غرفوا من العينِ بأيديهم قليلًا، حتى اجتمعَ في شيءٍ، ثم غسلَ رسولُ الله ﷺ فيه وجهَه ويديه، ثم أعادَه فيها فَجَرَت العينُ بماء كثيرٍ، فاستقى الناسُ.

ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**يا معاذُ، يوشِك إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما ها هنا قد مُلِيءَ جنانًا**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠٦).

١٣٠- عن عُروةَ بن الزبيرِ، عن المسور بن مَخرمةَ، ومروان بن الحكمِ، يُصدِّقُ كلُّ واحد منهما صاحبَه، قالا: خرج رسولُ الله ﷺ عام الحُديبيةِ، قالا: فعدل حتى نزلَ بأقصى الحديبيةِ على ثَمَد[1] قليلِ الماءِ، إنما يتبرَّضه الناس[2] تبرضًا فلم يلبث الناسُ أن نزحوه، فشُكيَ إلى رسولِ الله ﷺ العطشَ فانتزعَ سهمًا من كِنانتِه، ثم أمرَهُم أن يجعلوهُ فيه.

قال: فوالله ما زالَ يَجيشُ لهم بالرِّي حتى صدروا وضربوا عنه بعطَن[3].

---

(١) (على ثَمَد) أي: حفيرة فيها ماء مثمود، أي: قليل.

(٢) (يتَبَرَّضه الناس): هو الأخذ قليلًا قليلًا.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٤٠) فصل في رُبُوِّ الطعامِ بحضرتِه وفي سفرِه لإمساسِه بيده ﷺ ووضعِها عليه

١٣١- عن أنسِ بن مالكٍ قال: قال أبو طلحةَ لأمِّ سُليم لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفًا أعرفُ فيه الجوعَ فهل عندكِ من شيءٍ؟

قالت: نعم، فأخرَجَت أقراصًا من شَعيرٍ، ثم أخرَجَت خمارًا لها فلفَّت الخبزَ ببعضه، ثم دسَّته تحت يدي، وزوَّدَتني ببعضِه، ثم أرسلتني إلى رسولِ الله ﷺ، وذهبت به فوَجَدَت رسولَ الله ﷺ في المسجدِ ومعه الناسُ، فقمتُ عليهم فقال لي رسول الله ﷺ: «**آرسلكَ أبو طلحة؟**»

فقلت: نعم.

قال: «**الطعامُ؟**»

قال: قلت: نعم.

قال: فقال رسولُ الله ﷺ لمن معه: «**قوموا**».

قال: فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتُه، فقال أبو طلحة: يا أمَّ سليم، قد جاء رسولُ الله ﷺ بالناسِ، وليس عندنا من الطعامِ ما نطعِمهم.

قالت: الله ورسولُه أعلمُ، فانطلق أبو طلحةَ حتى تلقَّى رسولَ الله ﷺ، فأقبل رسولُ الله ﷺ وأبو طلحة معه حتى دخلا.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**هلُمِّي يا أمَّ سليم ما عندَك**».

فأتت بذلك الخبزِ فأمرَ به رسول الله ﷺ، ففُتَّ وعَصرت أم سليم عُكَّةً فآدمَته[١]، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقولَ.

ثم قال: «**ائذن لعشَرةٍ**»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبِعوا، ثم خرجوا.

ثم قال: «**ائذنْ لعشرة**»، فأَذن لهم، فأكلوا حتى شَبِعوا ثم خرجوا.

ثم قال: «**ائذن لعشرةٍ**»، فأذن لهم فأكَلَ القومُ كلُّهم حتى شبعوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلًا[٢].

١٣٢- عن عبد الرحمنِ بن أبي بكرٍ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ ثلاثين ومئة فقال النبيُّ ﷺ: «**هل مع أحدٍ منكم طعامٌ؟**»

فإذا مع رجلٍ صاعٌ من طعام فجِيءَ به فعُجنَ، ثم جاء رجل مشركٌ مُشْعانٌّ[٣] طويلٌ بغُنَيمة يسوقُها فقال النبي ﷺ: «**أبيعٌ أمْ عَطيةٌ أم هِبةٌ؟**»

فقال: لا، بل بيع.

فاشترى منه شاةً وأمرَ رسولُ الله ﷺ بسوادِ البطنِ[٤] أن يُشوى فقال: وايمُ الله، ما من الثلاثين ومئةٍ إلا وقد جَزَّ له رسول الله ﷺ منه جزَّةً، وجعل منها قَصعتين.

قال: فأكلنا أجمعون وفضلَ في القَصعتين فحُملَ على البَعير[٥].

---

(١) (وعَصَرت أم سليم عُكَّةً فآدمَتْه) أي: صيرت ما خرج من العكة له إدامًا، والعُكَّة بضم المهملة وتشديد الكاف: إناء من جلد مستدير يجعل فيه السمن غالبا والعسل.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(٣) (مُشْعان): وهو الطويل جدا فوق الطول.

(٤) (سَواد البطن) أي: الكبد.

(٥) أخرجه البخاري (٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦).

١٣٣- عن أبي هريرةَ، وأبي سعيدٍ قال: لما كانَت غزوةُ تبوكٍ أصابَ الناسَ مجاعَةٌ فقالوا: يا رسولَ الله لو أذِنتَ لنا فنَحَرنا نواضِحَنا فأكَلنا وادَّهنا، فقالَ لهم رسولُ الله ﷺ: «**افْعَلوا**» قال: فجاءَ عمرُ، فقالَ: يا رسولَ الله، إنهم إن فعَلوا؛ قلَّ الظَّهرُ، ولكنْ ادعُهم بفضل أزوادِهم، ثم ادعُ لهم عليها بالبَركةِ فلعلَّ الله أن يجعلَ في ذلك خيرًا، قال: فدَعا رسولُ الله ﷺ النِّطعَ فبَسطَه، ثم دَعاهم بفضلِ أزوادِهم، قال: فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكفِّ الذرَةِ، والآخَرُ بكفِّ التمرِ، والآخرُ بالكِسرةِ، حتى اجتمعَ على النِّطعِ شيءٌ من ذلك، قال: ثم دَعا عليه بالبَركةِ، ثم قالَ: «**خُذوا في أوعِيتِكم**» قال: فأخَذوا في أوعِيتَهم حتى ما تَركوا في العَسكرِ وعاءً إلا مَلؤوه، قال: وأكَلوا حتى شَبِعوا وفَضلَت منه فَضلَةٌ، فقال رسولُ الله عليه السلام: «**أشهدُ أن لا إله إلا الله وأني رَسولُ الله، لا يَلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيُحجَب عن الجنةِ**»[1].

١٣٤- عن أبي هريرة كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، إني كُنت لأعتمدُ على كَبدي من الجُوعِ[2]، وإن كنت لأشُدُّ الحجرَ على بطني من الجوعِ، ولقد قَعدت يومًا على طريقِهم الذي يَخرُجون منه فمرَّ بي أبو بكرٍ فسألته عن آيةٍ من كتابِ الله، ما سألتُه إلا ليُشبعَني، فمر عليَّ ولم يفعلْ.

ثم مر بي عمرُ فسألتُه عن آية من كتابِ الله، ما سألته إلا ليشبِعني، فمر ولم يفعل.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧).

(٢) (لأعتمدُ على كَبدي من الجوع) أي: ألصق بطني بالأرض.

ثم مر بي أبو القاسم ﷺ وتبسَّمَ وعرفَ ما في نفسي وما في وَجهي، ثم قال: «**أبا هِرٍّ**»، قلت: لبيكَ رسولَ الله، قال: «**الحُق**»، ثم مضى فاتبعتُه، فدخل واستأذنتُ فأذِنَ لي ودخلتُ، فوجد لَبنا في قدحٍ فقال: «**من أين هذا اللبن؟**»

قالوا: أهداه لك فلانٌ -أو فلانة- فقال: «**يا أبا هِرٍّ**».

قلت: لبيكَ رسولَ الله، قال: «**الحُق إلى أهلِ الصُّفَّةِ فادعُهم**».

قال: وأهلُ الصفةِ أضيافُ الإسلامِ لا يَلوون على أهلٍ ولا مالٍ، إذا أتته صدقةٌ بعثَ بها إليهم، ولم يَتناوَل منها شيئًا، وإذا أتتْه هديةٌ أرسلَ إليهم، وأصاب منها وأشرَكهم فيها فساءني ذلك، وقُلت: ما هذا اللبنُ في أهل الصفةِ؟! كنت أرجو أن أُصيبَ من هذا اللبن شَربةً أتقوَّى بها أنا والرسولُ ﷺ، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أن يبلغَني من هذا اللبنِ؟!

ولم يكن من طاعةِ الله وطاعةِ رسوله بُدٌّ، فأتيتُهم فدعوتُهم، فأقبلوا حتى استأذَنوا فأذِن لهم، وأخذوا مَجالِسهم من البيت.

فقال: «**يا أبا هُريرةَ**».

قلت: لبيكَ يا رسولَ الله.

قال: «**خذْ وأعطِهم**».

فأخذتُ القَدح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يروى، ثم يرد عليَّ القدحَ فأعطيه آخرَ فيشرب حتى يروى، ثم يَرد عليَّ القدحَ، حتى انتهيتُ إلى رسولِ الله عليه الصلاة والسلام وقد روي القوم كلُّهم، فأخذ القدحَ ووضعَه على يده، ونظر إلي وتبسَّم ﷺ وقال: «**أبا هِرٍّ**».

قلت: لبيكَ يا رسولَ الله.

فقال: «**بقيتُ أنا وأنت**».

قلت: صدقتَ يا رسولَ الله.

قال: «**فاقعُد واشرب**» فقعدت فشرِبت.

فقال: «**اشربْ**» فشربت.

وقالَ: «**اشربْ**» فشربت، فما زال يقولُ: «**اشرب**» فأشربُ حتى قلت: لا والذي بعثَك بالحقِّ ما أجِدُ له مَسلكًا، ثم أعطيتُه القدحَ ﷺ فحمِد الله وشربَ الفضلَةَ[1].

١٣٥- عن دُكينِ بن سعيدٍ، قال: أتينا رسولَ الله ﷺ في أربع مئة راكبٍ نسألُه الطعامَ فقال: «**يا عمرُ اذهب فأطعِمهم وأعطهم**».

فقال: يا رسول الله، ما عندي إلا صاعُ تمرٍ ما تقتات عيالي.

فقال أبو بكر: اسمع وأطِع.

فقال عمر: سمعٌ وطاعةٌ.

فانطلق عمر حتى أتى عُليةً[2] فأخرجَ مِفتاحًا من حُجْزته[3] فقال القومُ: ادخلوا، فدخلوا، وكنت آخرَ القومِ دخولًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) (عُليةً): الغرفة، والجمع: العلالي.

(٣) (حُجْزَته) أي: موضع شد الإزار.

فقال: خذوا فأخذَ كلُّ رجلٍ منهم ما أَحَبَّ، ثم التفتُّ إليه وإني لمن آخرِ القومِ وكأنا لم نُرزَأ تمرة[(١)].

١٣٦- عن سمرةَ بن جُندب أن رسولَ الله ﷺ أُتي بقصعةٍ من ثَريدٍ فوُضِعت بين يدي القَومِ فتعاقبوها إلى الظُّهر من غدوةٍ يقومُ قومٌ ويجلس آخرون، فقال رجلٌ لسمُرة: أكانت تُمَدُّ؟

فقال سمرةُ: ومن أي شيء تعجَب؟ ما كانت تُمد إلا من هاهنا، وأشار بيدِه إلى السماء[(٢)].

١٣٧- عن أبي عَمرةَ الأنصاري قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ فأصابَ الناسَ مخمصةٌ فاستأذنَ الناسُ رسولَ الله ﷺ في نحرِ بعض ظهورِهم، وقالوا: يبلِّغنا الله، فلما رأى عمرُ بنُ الخطاب رسولَ الله ﷺ قد هَمَّ بأن يأذَن لهم قال: يا رسولَ الله، كيف بنا إذا نحن لقينا العدوَّ غدًا جياعًا، ولكن إن رأيت يا رسولَ الله أن تدعو الناس ببقايا أزوادِهم، فتجمَعه فتدعو بالبركةِ، فإن الله سيُبلغنا بدعوتِك، أو قال: سيبارِكُ لنا في دعوتِك.

فدعا رسول الله ﷺ ببقايا أزوادِهم فجعلَ الناسُ يجيئون بالحَثيةِ من الطعامِ وفوقَ ذلك، وكان أعلاهُم من جاءَ بصاعٍ فجمعه، فدعا الله بما شاء أن يدعوَ، ثم دعا الجيشَ بأوعيتهم وأمرَهم أن يحتثوا فما بَقيَ في الجيشِ وعاءٌ إلا ملؤوه وبقي مثلُه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٣٨)، وأحمد ٢٩/ ١١٧ (١٧٦١٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٢٥).

فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «**أشهد ألا إلهَ إلا الله، وأشهد أني رسولُ الله، لا يَلقى الله عبدٌ مؤمنٌ بهما إلا حُجبت عنه النار يومَ القيامة**»[(١)].

١٣٨- عن يعيشَ بن طلحةَ قال: كان أبي من أهلِ الصُّفةِ قال: فأمر بهم النبيُّ ﷺ قال: فجعلَ الرجلُ يذهب برجلٍ، والرجلُ برجلين حتى بقيتُ خامسَ خمسةٍ.

فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «**انطلِقوا**»، فانطلَقنا معه إلى منزلِ عائشة، فقال: «**يا عائشةُ أطعِمينا**».

فجاءت بحَشيشةٍ فأكلنا، ثم جاءت بحيسةٍ مثل القَطاةِ فأكلنا.

ثم قال: «**يا عائشةُ اسقينا**»، فجاءت بعسٍّ فشربنا.

ثم قال: «**يا عائشة اسقينا**»، فجاءت بقَدحٍ صغير من لبنٍ فشربنا.

ثم قال: «**إن شئتم بِتم وإن شئتم انطلقتُم إلى المسجدِ**»، فقلنا: لا، بل نَنطلقُ إلى المسجدِ[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٨٤ (١٥٤٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٤٠).

(٤١) فصل في تحرُّكِ الجبلِ وتسبيحِ الحصا والطعامِ وما في معناه

١٣٩- عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ كان على صخرةٍ على حراءَ، فتحركتْ فقال: «**اسكُني فما عليكِ إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ**». وكان عليها رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وطلحةُ والزبيرُ[(١)].

١٤٠- عن أبي ذرٍّ الغِفاري قال: إني لشاهدٌ عند النبي ﷺ في حلْقةٍ وفي يده حصًا، فسبَّحن في يده وفينا أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، يَسمع تسبيحَهنَّ من في الحلْقَة.

ثم دَفعهن النبيُّ ﷺ إلى أبي بكر فسبَّحنَ مع أبي بكر.

ثم دفعَهن إلى عمرَ فسَبحن في يده يسمعُ تسبيحهُنَّ مَن في الحلقة.

ثم دفعهُن إلى النبي ﷺ فسبحَن في يده يسمعُ تسبيحهن مَن في الحلقة.

ثم دفعهن النبيُّ ﷺ إلى عثمانَ بنِ عفانَ، فسبحن في يدِه.

ثم دفعهن إلينا فلم يسبِّحن مع أحدٍ منَّا[(٢)].

١٤١- سَمِعَ عبدُ الله بن مسعود بخَسفٍ فقال: كنا أصحابَ محمد ﷺ نعدُّ الآياتِ بركاتٍ، وأنتم تعُدونها تخويفًا، إنَّا بينما نحن مع رسولِ الله ﷺ ليس معنا ماءٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**اطلُبوا من معه فضلُ ماءٍ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٢/ ٥٤٣ (١١٤٦)، والبزار ٩/ ٤٣١ (٤٠٤٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» ٢/ ٥٩ (١٢٤٤).

قال: فأُتي بماء فصبَّه في إناءٍ ثم وضع كفَّه فيه، فجعل الماءُ يخرجُ من بين أصابِعِه، ثم قال: «**حيَّ على الطهورِ المُبارك والبركة من الله**».

قال عبد الله: فشربنا منه، وكنا نَسمعُ تسبيحَ الطعام وهو يُؤكَل[(١)].

عن عائشةَ قالت: لقد تُوفي رسولُ الله ﷺ وما في رفِّي[(٢)] من شيء يأكلُه ذو كبدٍ إلا شطرُ شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكَلتُ منه حتى طالَ عليَّ فكِلتُه ففني[(٣)].

١٤٢- عن جابرٍ: أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ يَستطعِمُ فأطعمَه شطرَ وسْقِ شعيرٍ، فما زالَ الرجل يأكلُ منه وامرأته وضيفُهما حتى كالَه فأتى النبيَّ ﷺ فقال: «**لو لم تكِله لأكلتُم منه ولَقامَ لكم**»[(٤)].

١٤٣- عن جابرِ بن عبدِ الله أن أباه استُشهد يومَ أُحدٍ وترك بناتٍ، وترك عليه دَينا، فلما حضرَ جِدادُ النخل[(٥)] أتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله، قد علمتَ أن والدي استُشهِد يومَ أحد وترك عليه دينًا كثيرًا، وأنا أُحبُّ أن يراك الغُرماءُ.

فقال: «**اذهبْ فبَيدِر[(٦)] كلَّ تمرٍ على ناحية**»، ففعلت، ثم دعوته فلما نظروا إليه أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يَصنَعون أطافَ حول أعظَمِها بيدرًا ثلاث مرات ثم جلسَ عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٣٣)، وأصله في البخاري (٣٥٧٩).
(٢) (رفِّي) الرَّفُّ: خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوقى به ما يوضع عليه.
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥١)، ومسلم (٢٩٧٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢٢٨١).
(٥) (جِدَاد النخل) أي: صرامها وقطع ثمرها.
(٦) (اذهَبْ فبَيْدِر) أي: اجعل كل صنف في بيدر، أي: في جرين يخصه.

ثم قال: «**ادعُ أصحابَك**»، فما زال يَكيلُ لهم حتى أدَّى الله أمانةَ والدي، وأنا والله راضٍ أن يؤدِّي الله أمانةَ والدي ولا أرجعُ إلى أخواتي بتمرةٍ، فسلم الله البيادرَ كلَّها حتى إني لأنظرُ إلى البيدرِ الذي عليه رسولُ الله ﷺ كأنه لم ينتقَص منه تمرةٌ واحدةٌ[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨١).

(٤٢) ذكر الأخبار التي خرّجها أسلافنا في جملة دلائله

١٤٤ - عن أبي رافعٍ قال: دخل عليَّ رسولُ الله ﷺ وقد جعلنا شاةً في قِدر فقال: «**يا أبا رافعٍ، ناولني الذراعَ**» فناولتُه فانْتَهَسها.

ثم قال: «**ناولني الذراعَ**»، فناولتُه فانتَهَسها.

ثم قال: «**ناولْني الذراعَ**»، فقلت: يا رسولَ الله إنما يكون للشاةِ ذراعان!

فقال: «**لو ناولتَني لم تَزَل تناولني حتى أسكُتَ**».

ثم قامَ يُصلي وما مسَّ ماءً.

قال: ودخل عليَّ يومًا آخرَ وعندي لحمٌ باردٌ فأكل منه، ثم قام فصلى ولم يتوضَّأ[1].

١٤٥ - عن أنسِ بن مالكٍ: أن رسولَ الله ﷺ خرجَ حين زاغتِ الشمسُ فصلى الظُهر، فلما سلَّم قام على المِنبر فذكر الساعةَ، وذكر أن بين يديها أُمورًا عظامًا.

ثم قال: «**من أحبَّ أن يسألَ عن شيءٍ فلْيسأل عنه، فوالله لا تَسألوني عن شيءٍ إلا حدثتُكم به ما دُمت في مقامي هذا**».

فأكثر الناسُ البكاءَ حين سمعوا ذلك من رسولِ الله ﷺ أن يقولَ: «**سَلوني سَلوني**» فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أين مَدخلي؟

قال: «**النارُ**».

---

(١) أخرجه أحمد ٤٥/ ١٧٢ (٢٧١٩٥).

قال: فقامَ عبدُ الله بن حُذافة فقال: من أبي يا رسولَ الله؟

فقال: «**أبوكَ حُذافةُ**».

ثم أكثر أن يقولَ: «**سلُوني سلُوني**»، فبَرَكَ عمرُ على رُكبتيه، فقال: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمدٍ رسولًا، فسكتَ رسولُ الله ﷺ حين قال عمر ذلك.

ثم قال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيدِه لقد عُرِضَت عليَّ الجنةُ والنارُ آنفًا في عرضِ هذا الحائطِ وأنا أُصلي، فلم أرَ كاليومِ في الخيرِ والشرِّ**»[(١)].

١٤٦- عن أبي هريرة قال: يَزعُمون أن أبا هريرةَ يُكثِرُ الحديثَ عن رسولِ الله، والله الموعدُ، إني كنت امرءًا مِسكينًا أصحبُ رسولَ الله ﷺ على ملءِ بَطني، وكانتِ الأنصارُ يشغلُهم القيامُ على أموالِهم، وكان المهاجرون يَشغَلهم الصَّفْقُ[(٢)] بالأسواقِ، وإني شهدتُ من رسولِ الله ﷺ يومًا وهو يتكلَّم، فقال: «**من يبسُطُ رداءَه حتى أقضي مَقالَتِي ثم يَقبِضُه إليه فلا يَنسَى شيئًا سمِعه منِّي؟**»

فبسطتُ بُردةً كانت عليَّ حتى إذا قضى مقالَته قبضتُها إليَّ، فوالذي بعثَهُ بالحقِّ ما نَسيتُ شيئًا بعدُ سمعتُه منه[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٩٣)، ومسلم (٢٣٥٩).

(٢) (الصَّفْق): التبايع.

(٣) أخرجه البخاري (١١٩)، ومسلم (٢٤٩٢).

(٤٣) ذكر قصة البعير المتخلف لجابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

١٤٧- عن جابرِ بن عبدِ الله، قال: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ في غزاةٍ فأبطأَ بي جَملي فأعيا، فأتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وقال لي: «**جابرُ؟**»

قلت: نعم.

قال: «**ما شأْنُك؟**»

قلت: أبطَأَ بي جملي؛ فتخلَّفت فنزل فحَجَنَه بمِحجنِة[1]، ثم قال لي: «**اركبْ**»، فركبتُه فلقد رأيتُني أكفُّه عن رسولِ الله ﷺ[2].

(٤٤) ذكر خبر آخر في نحو من هذا

١٤٨- عن أنسِ بن مالكٍ، قال: فزِعَ الناس فركبَ النبيُّ ﷺ فرسًا لأبي طلحَة بطيئًا، ثم خرجَ يركُض وحدَهُ، وركبَ الناسُ يركضون خلفَه، فقال: «**لن تُراعوا إنه لبَحرٌ**» قال: فوالله ما سُبق بعد ذلك اليومِ[3].

(١) (المِحْجَن): العصا المعوجة الرأس كالصولجان. وحجنه: اجتذبه بالمحجن.
(٢) أخرجه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥).
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٦٩).

(٤٥) ذكر خبر آخر فيه نوع من دلالته ﷺ

١٤٩- عن سَفينةَ مَولى رسولِ الله ﷺ قال: كنا مع النبيِّ ﷺ فقال: ابسطْ كِساءَك، فبَسَطتُ كِسائي فأمرَ القومَ أنْ يَطرَحوا متاعَهم في كِسائي، وقال: «**احمِلْ فإنَّما أنتَ سفينةٌ**» قال: ولو كان وقرَ بعيرٍ أو بَعيرين أو ثلاثةٍ أو أربعةٍ أو خمسةٍ لحملتُه[1].

(١) أخرجه أحمد ٣٦/ ٢٥٦ (٢١٩٢٨).

(٤٦) ذكر خبر آخر في نوع من الدلالة أنه ﷺ كان يَرى مَن خلفَه كما يرى مَن بين يديهِ

١٥٠- عن أنسِ بن مالكٍ أن النبيَّ ﷺ قال: «**أتِمُّوا الركوعَ والسجودَ؛ فوالله إني لأراكُم من وراءِ ظهري إذا رَكَعتُم وسجَدتُم**»[(١)].

١٥١- عن أبي هريرةَ، أن رسولَ الله ﷺ قال للناسِ: «**هل ترونَ قِبلتي ها هنا؟ فوالله ما يَخفَى عليَّ ركوعُكم ولا سجودُكم ولا خُشوعُكم، إني لأراكُم من وراءِ ظَهري**»[(٢)].

(٤٧) ذكر خبر آخر في أن النبي ﷺ كان تَنامُ عيناه ولا ينامُ قلبُه

١٥٢- عن عائشةَ، قالت: قلت: يا رسولَ الله، إنك تُوتِرُ قبل أن تنامَ، قال: «**يا عائشةُ، إن عيني تنامُ ولا ينامُ قلبي**»[(٣)].

١٥٣- عن أنسِ بن مالكٍ أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياءُ تنامُ أعينُهم، ولا تنامُ قلوبُهم**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩)، ومسلم (٤٢٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤١٨)، ومسلم (٤٢٣).
(٣) أخرجه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨).
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٧٠).

(٤٨) ذكر خبر آخر في نوع من دلالته

١٥٤- عن أنس بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ الله ﷺ يَدخلُ على أمِّ سُليمٍ فتَبسطُ له نِطعًا فيقيلُ عليه، فتَأخذُ من عَرقِه فتَجعلُه في طيبِها[١].

(٤٩) ذكر خبر آخر

١٥٥- عن عبدِ الحميد بنِ جعفر، عن أبيه أن خالدَ بن الوليد فقد قَلنسوَةً له يومَ اليرموك فقال: اطلُبوها فلم يَجدوها، فقال: اطلُبوها فوَجَدوها فإذا هي قَلنسوَةٌ خَلِقة، فقال خالدٌ: اعتَمرَ رسولُ الله ﷺ فحلقَ رأسَه فابتدَرَ الناسُ جوانبَ شَعرِه، قال: فسَبقتُهم إلى ناصِيتِه فجعلتُها في هذه القَلنسوَةِ فلم أشهَد قِتالًا وهي معي إلا رُزِقتُ النصرَ[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨١)، ومسلم (٢٣٣١).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٤/ ١٠٤ (٣٨٠٤)، والحاكم ٣/ ٣٣٨ (٥٢٩٩).

(٥٠) فصل في ذِكر أخبارٍ في أمور شتَّى دعا بها رسولُ الله ﷺ فاستُجيبَ له

١٥٦- قال عبدُ الله بنُ مسعود: إن الله بعثَ محمدًا عليه السلام بالحقِّ وقال: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص:٨٦] وأن النبيَّ ﷺ لما رأى قريشًا استَعصَوا عليه دَعا عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**اللهمَّ أعنيِّ عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسفَ**» فأصابَتهم سَنةٌ. أكَلوا فيها الجِيفَ والعِظامَ، وكان يَرى أحدُهم في السماء شبه الدخانِ فأتى أبو سفيانَ رسولَ الله ﷺ فقالَ: إنك جئتَ تأمرُ بصلةِ الرحم وإن قومَك قد هلكوا فادعُ الله لهم، وهو قولُه: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ [الدخان:١٠] إلى قولِه: ﴿إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥﴾ [الدخان:١٥] فيَكشفُ عذابَ الآخرةِ إذا جاءَ، ثم عادوا في كُفرِهم، قال: فأخَذَهم الله يومَ بدرٍ، وهو قَولُه: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [الدخان:١٦] وقد مَضى الدخانُ، ومَضى اللزام، وهو يومُ بدرٍ، و﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢﴾ [الروم:١ - ٢] والروم قد مَضى[1].

١٥٧- عن أنسِ بن مالكٍ قال: أصابت الناسَ سَنةٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ، فبينا هو على المِنبرِ يخطُب في يوم جُمُعةٍ، قام أعرابي فقال: يا رسولَ الله، هلك المالُ وجاعَ العيالُ فادعُ الله لنا.

قال: فرفع رسولُ الله ﷺ يديهِ وما رُؤيَ في السماءِ قَزَعَةٌ[2]، فوالذي نفسي بيده ما وضعَها حتى ثارَ السحابُ أمثالَ الجبالِ، ثم لم ينزلْ عن منبرِه حتى رأيتُ المطرَ تَحادَرَ على لِحيته، فمُطِرنا يومنَا ذلك، ومن الغدِ، ومن بعدِ الغَدِ، والذي يليه حتى الجُمعةِ الأخرى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) (قَزَعَة): سحابة.

فقام ذلك الأعرابيُّ أو رجلٌ غيرُه، فقال: يا رسولَ الله، تهدَّم البناءُ، وغرقَ المال، فادعُ الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: «**اللهمَّ حَوالَينا، ولا علينا**».

قال: فما يُشيرُ بيديهِ إلى ناحيةٍ من السحابِ إلا تفرَّجت حتى صارت المدينةُ في مثل الجَوْبَة[١] وحتى سالَ الوادي قناةً شهرًا، وما يأتي أحدٌ من ناحيةٍ إلا أخبرَ أنهم قد أُجيدوا[٢].

١٥٨ - عن عليٍّ قال: كنت شاكيًا فمر بي النبيُّ ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجَلي قد حضرَ فأرحْني وإن كان مُتأخرًا فارفَعني، وإن كان بلاءً فصبرني.

فقال رسول الله ﷺ: «**كيفَ قُلتَ؟**» فأعادَ عليه فضربَني برجله، ثم قال: «**اللهمَّ اشفِه**» فما اشتكيتُ وجعي ذلك بعدُ[٣].

١٥٩ - عن أنس بنِ مالك، أن عامرَ بنَ الطفيلِ أتى رسولَ الله ﷺ فقال: أخيِّرك بين ثلاثِ خِصالٍ: أن يكونَ لك أهلُ السهلِ، ويكونَ لي أهلُ الوبرِ، وأكونَ خليفتَك من بعدِك، أو أغزوكَ بغَطفانَ بألفِ أشقرَ وألفِ شقراءَ.

زاد عمرو بن عاصم عن همام، قال: فدعا النبيُّ ﷺ، وقال أبو سعيد: وطُعِنَ في بيتِ امرأةٍ، فقال: غُدَّة كغُدَّة البعيرِ في بيتِ امرأةٍ من بني فلان! إيتوني بفرسي، فركبَ فمات على ظهرِ فرسِه[٤].

---

(١) (الجَوْبَة) أي: الفرجة في السحاب.
(٢) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).
(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٠٩١).

١٦٠- عن ابنِ عباس، أنه سَكبَ للنبيِّ ﷺ وضوءًا فقال: مَن وضعَ لي وضوئي هذا؟، فقالَت أم هانئ: ابنُ أخي فقالَ: «**اللهمَّ فقِّهه في الدينِ، وعلِّمه التأويلَ**»[1].

١٦١- عن أنسِ بن مالكٍ، قال: دخلَ رسولُ الله ﷺ على أمِّ سُليمٍ فقالت: يا رسول الله، إن لي خُوَيْصَةً[2]: خادمُك أنس.

قال: فدعا لي بخيرِ الدنيا والآخرةِ، وقال: «**اللهمَّ ارزُقْه مالًا وولدًا، وبارِكْ له**» فإني لَأكثرُ الأنصارِ ولدًا.

قال أنس: فأخبرَتني ابنتي أُمَينةُ أنه قد دُفنَ من صُلبي إلى مَقدِمِ الحَجاجِ البصرةَ بضعٌ وعشرونَ ومئة[3].

١٦٢- عن سلمةَ بنِ الأكوعِ أن رجلًا كان يأكلُ عند النبي ﷺ بشِماله فقال له رسولُ الله ﷺ: «**كُلْ بيمينِك**».

فقال: لا أستطيعُ.

فقال النبي ﷺ: «**لا استَطَعتَ**».

قال: فما رَفَعَها بعدُ إلى فيه[4].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥، ١٤٣)، وأحمد ٤/ ٢٢٥ (٢٣٩٧).

(٢) (إن لي خُوَيْصَة) تصغير خاصة أي: حاجة خاصة.

(٣) أخرجه البخاري (١٩٨٢)، ومسلم (٦٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

١٦٣- عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كما أذَقتَ أولَ قريشٍ نكالًا، فأذِق آخرَهم نوالًا**»[(١)].

١٦٤- عن جريرٍ، قال: كنت لا أثبُتُ على الخيلِ فذكرت ذلك لرسولِ الله ﷺ، فضرَب بيده على صدري حتى رأيتُ أثرَ يدِه على صدري، فقال: «**اللهمَّ ثبِّتْهُ واجعلهُ هاديًا مهديًّا**» فما سقطت عن فرَسٍ بعده[(٢)].

١٦٥- عن أبي نَهيك الأزدي، حدثني عمرو بنِ أخطبَ قال: استَسقى رسولُ الله ﷺ فأتيتُه بجُمجمَةٍ وفيها ماءٌ، وفيها شَعرةٌ فرَفعتُها، فناوَلتُه فنظرَ إليَّ فقالَ: «**اللهمَّ جمِّله**» قال: فرأيتُه وهو ابنُ ثلاثٍ وتسعينَ سنةً، وما في رأسِه ولِحيتِه شَعرةٌ بيضاءُ[(٣)].

١٦٦- عن عمرو بنِ ميمون، حدثنا عبدُ الله بنُ مسعود في بيتِ المال، قال: بينما رسولُ الله ﷺ يُصلي عندَ الكعبةِ وجمعٌ من قريشٍ يَنظرونَ، قال قائلٌ منهم: ألا ترونَ إلى هذا المُرائي، أيُّكم يقومُ إلى جَزورِ آلِ فلان فيعمدُ إلى فَرثِها، ودمِها، وسَلاها، حتى إذا سجدَ رسولُ الله ﷺ وضعَه بين كتفَيه، فانطلقَ أشقاهم، فجاءَ به حتى إذا سجدَ رسولُ الله ﷺ وضعَه بين كتفَيه، وثَبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا، وضحِكوا حتى مالَ بعضُهم على بعضٍ من الضحكِ، فانطلقَ مُنطلِقٌ إلى فاطِمةَ وهي جُويريةٌ فأقبَلت تَسعى، وثبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا حتى نحَّتْهُ عنه، فأقبلَت عليهم تَسُبُّهم فلما قَضى النبيُّ ﷺ صلاتَه استقبلَ الكعبةَ فقال: «**اللهمَّ**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٠٨).
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥٧)، ومسلم (٢٤٧٥).
(٣) أخرجه أحمد ٣٧/ ٥٢٢ (٢٢٨٨٣).

عليك بقريشٍ» ثم سمّاهم فقال: «**اللهمَّ عليك بعمرو بنِ هشام، وشيبةَ، والوليدِ بنِ عتبةَ، وأميةَ بنِ خلفٍ، وعقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ، وعمارةَ بنِ الوليدِ**» قال عبدُ الله بنُ مسعودٍ: فوالذي تَوفى نَفسَه لقد رأيتُهم صَرعى يُسحبون إلى القَليبِ -قَليبِ بدرٍ- ، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**اللهمَّ أتبِع أهلَ القليبِ لعنةً**»(١).

١٦٧- عن عُروةَ بنِ أبي الجعدِ البارقيِّ، قال: أعطاني رسولُ الله ﷺ دينارًا وأمرني أن أشترِيَ له أضحيَّةً، فاشتريتُ، ثم عرَض لي رجلٌ فسامني بها فبِعتُها منه بدينارَين، فأخذت الدينارَ، فاشتريتُ به أضحيَّةً، فأتيتُ بها رسولَ الله ﷺ، وبالدينارِ فقبِلَها منيِّ ودعا لي أن يبارَك لي في صَفقتي؛ فما اشتريتُ شيئًا إلا ربِحت فيه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠، ٣٨٥٤)، ومسلم (١٧٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٢).

(٥١) ذكرُ أخبارٍ في دلائلَ من جهَة معالجاتٍ في أدواءٍ وأمراضٍ مختلفة

١٦٨- عن أم جُندبٍ، قالت: رأيتُ النبيَّ ﷺ اتبعتْه امرأةٌ من خَثعَم ومعها صبيٌّ لها به بلاءٌ، فقالت: يا رسولَ الله، إن صبيِّي هذا وبقيةَ أهلي به بلاءٌ لا يتكلَّم.

فقال رسول الله عليه السلام: «**إيتوني بِشيءٍ من ماءٍ**»، فأُتي بماءٍ فغسل يديهِ، ثم مَضمَضَ فاهُ، ثم أعطاها فقال: «**اسقِيه منه وصُبِّي عليه منه واستشفي الله له**».

قال: فلقيتُ المرأةَ، فقلت: لو وهَبتِ لي منه.

فقالت: إنما هو لهذا المُبتَلى.

قالت: فلقيتُ المرأةَ من الحَولِ فسألتُها عن الغلامِ، فقالت: برِئَ وعقلَ عقلًا ليس كعُقولِ الناسِ[١].

١٦٩- عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ قال: شَكوتُ إلى رسولِ الله ﷺ سوءَ حِفظي القُرآن فقال: «**ذاكَ شَيطانٌ يقالُ له: خَنزَب، ادنُ مِنِّي يا عثمانُ**» ثم تَفلَ في فَمي، فوَضعَ يدَه على صَدري فوَجدتُ بردَها بين كَتفَيَّ، وقال: «**يا شيطانُ، اخرُج من صَدرِ عثمانَ**» قال: فما سَمعتُ شيئًا بعدَ ذلك إلا حَفِظتُه[٢].

١٧٠- عن عثمانَ بنِ أبي العاصِ، شَكى إلى النبيِّ ﷺ الوَسوسةَ في الصلاةِ، فقال: «**ذاكَ شيطانٌ يقالُ له: خنزَب، فإذا وجَدَ أحدُكم منه شيئًا فليتفُل عن يسارِه ثلاثًا ثلاثًا وليتعوَّذ بالله منه**»[٣].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣٢).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٨).
(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٣).

١٧١- عن عثمانَ بنِ حنيف، أن أعمى أتى النبيَّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله، علِّمني دعاءً أدعو به يردُّ الله عليَّ بصَري، فقالَ: «**قل: اللهمَّ إني أسألُك وأتوجَّه إليك بنَبيِّك نبيِّ الرحمةِ: يا محمدُ، قد توجَّهتُ بك إلى ربي، اللهمَّ شفِّعه فيَّ، وشفِّعني في نَفسي**» فدَعا بهذا الدعاءِ فقامَ وقد أبصرَ(١).

١٧٢- عن محمدِ بن حاطبٍ، عن أُمِّه أمِّ الجميلِ بنت المجَلِّلِ، قالت: أقبلتُ بك من أرضِ الحَبشةِ حتى إذا كنتُ من المدينةِ على ليلةٍ أو ليلتينِ طبختُ لك طَبيخًا، ففَني الحطبُ فخرجتُ أطلُبه، فتناوَلتَ القِدرَ فانكَفَأَتْ على ذِراعِك، فقدِمتُ بك المَدينةَ، فأتيتُ بك النبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، هذا محمدُ بنُ حاطب، وهو أولُ مَن سُمِّي بك، فمسحَ يدَه على رأسِك، ودَعا لك بالبَركةِ، وتَفلَ في فيكَ، ثم جعلَ يتفُلُ على يدِك، ويَقولُ: «**أذهِبِ الباسَ، رَبَّ الناسِ، واشفِ أنت الشَّافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُك، شفاءً لا يغادِرُ سقمًا**» قالَت: فما قُمتُ بك مِن عنده حتى بَرَأت يَدُك(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٥)، والحاكم ١/ ٧٠٧ (١٩٢٩).

(٢) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٩١ (١٥٤٥٣).

(٥٢) فصل في ذِكرِ ما جرى من الآياتِ في غَزواتِه وسراياه

وفي جميعِ ذلك دليلٌ على ما قلنا من أنه ﷺ لم يخلُ شيءٌ من أحوالِه عن آيةٍ شاهدةٍ له ومعجزةٍ جاريةٍ على يديه، وخليقٌ كون ذلك له؛ إذ النبوةُ مختومةٌ والشريعةُ قائمةٌ به إلى قيامِ الساعةِ ﷺ.

١٧٣- عن عليٍّ وذكر قصةَ بدرٍ، قال: قَتَلنا منهم سبعين وأسرنا منهم سبعينَ، قال: فجاء رجلٌ من الأنصارِ -قصير- بالعباسِ أسيرًا.

فقال العباس: يا رسولَ الله، إن هذا والله ما أَسَرني، لقد أسرَني رجلٌ أجلحُ من أحسنِ الناس وجهًا على فرسٍ أبلقَ ما أُراهُ في القومِ.

فقال الأنصاريُّ: أنا أسرتُه يا رسولَ الله.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**اسكُت، لقد أيّدَك الله بملَك كريمٍ**»[(١)].

١٧٤- عن أبي أُمامة بن سهلٍ قال: قال لي أبي: يا بُنيَّ لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ وإن أحدَنا ليُشيرُ بسيفِه إلى رأسِ المشرك فيقع رأسُه عن جسده قبل أن يصِل إليه[(٢)].

١٧٥- عن جابرِ بنِ عبدِ الله قال: سمعتُ صوتَ حصياتٍ وقَعن من السماءِ يومَ بدرٍ كأنَّهن وقعنَ في طستٍ. فلما اصطفَّت الناسُ أخذَهن رسولُ الله

---

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٢٥٩-٢٦١ (٩٤٨)، وأصله في البخاري (٣٩٦٥).

(٢) أخرجه الطبري في «التاريخ» ٢/ ٤٥٤، والطبراني في «الكبير» ٦/ ٧٤ (٥٥٥٦)، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ٤٦٣ (٥٧٣٦).

ﷺ فرمى بهن في وُجوه المُشركينَ فانهزَموا. فذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] الآية[١].

١٧٦- عن أبي أُسيدٍ مالكِ بن ربيعةَ -وكان قد شهِد بدرًا- قال -بعد أن ذَهَبَ بصرُه-: لو كنت معكُم اليومَ ببدرٍ ومعي بصري لأريتُكم الشِّعب الذي خرَجَت منه الملائكةُ لا أشكُّ ولا أتمارى[٢].

١٧٧- عن عبدِ الله بن عباسٍ قال: كان سيما الملائكةِ يومَ بدر عمائمُ بيض أرسَلوها في ظهورِهم، ويوم حُنينٍ عمائم حمرٍ، ولم تقاتلِ الملائكة في يومٍ سوى يوم بدرٍ من الأيامِ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيامِ عددًا ومددًا لا يضرِبون[٣].

١٧٨- عن عمرَ بن الخطابِ قال: لما كان يومُ بدرٍ نظرَ نبي الله ﷺ إلى المُشركين وهم ألفٌ، وأصحابُه ثلاث مئةٍ وثلاثة عشَر رجلًا، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القِبلة، ثم مد يديه فجعل يهتِف بربِّه: **«اللهمَّ أنجِز لي ما وعدتني، اللهمَّ أين ما وعدتني؟ اللهم إنك إن تُهلِك هذه العِصابة[٤] من أهلِ الإسلام لا تُعبدُ أبدًا في الأرضِ»**.

فما زال يهتِف به مادًّا يديه مُستقبلَ القبلة حتى أسقطَ رداءَه عن مَنكِبيه فأتاه أبو بكرٍ فأخذ رداءه، فألقاه على منكِبيه، ثم التزَمَه من ورائه، فقال: يا نبيَّ الله، كذلك مناشدتُك ربك؟! فإنه سينجِز لك ما وعدَك.

---

(١) أخرجه قوام السنة في دلائل النبوة (٣٣٠).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٦/ ٢٢، والطبراني في «الكبير» ١٩/ ٢٦٠ (٥٧٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٥٢.
(٣) أخرجه الطبري في «التفسير» ٦/ ٢٣، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٣٨٩ (١٢٠٨٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٥٧.
(٤) (العِصَابة): الجماعة.

فأنزلَ الله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ [الأنفال: ٩] فأمدَّه الله بالملائكةِ.

١٧٩- وقال ابن عباسٍ: بينما رجلٌ من المسلمين يومئذٍ يشتدُّ في أثَرِ رجلٍ من المشركين إذ سمعَ ضربةً بالسوطِ وصوتَ الفارسِ يقول: أقدِم حَيزومُ. إذ نظر إلى المشرِك أمامَه فخرَّ مُستلقيًا، فنظرَ إليه فإذا هو قد خُطَّ على أنفِه وشُقَّ وجهُه كضربةِ السوطِ فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاريُّ فحدَّث ذاك رسولَ الله ﷺ فقال: «**صَدَقتَ، ذاك من مَددِ السماء الثالثةِ**». فقَتلوا يومئذ سبعين وأَسَروا سبعين.

قال ابن عباسٍ: فلما أسروا الأُسارى قال رسولُ الله ﷺ: «**يا أبا بكرٍ، وعليٌّ وعمرُ ما ترونَ في هؤلاء الأُسارى؟**»

فقال أبو بكرٍ: هم بنو العمِّ والعَشيرةِ؛ أرى أن تأخُذ منهم الفِداءَ؛ يكون لنا قوَّةً على الكفارِ، فعسى الله أن يَهدِيَهم للإسلام.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما تَرى يا ابنَ الخطابِ؟**»

قلت: لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكرٍ، ولكن أرى أنْ تمكِّنا منهم، فنَضرِبَ من أعناقِهم: فتمكن عليًّا من عقيلٍ فيضرب عنُقَه، وتمكني من فلان - نسيب لعمر- فأضربَ عنقَه، فإن هؤلاء أئمةُ الكفرِ وصناديدُها.

فهوِي رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكرٍ، ولم يهوَ ما قال عمر، فلما كان من الغَد جئتُ فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ قاعدان يَبكيان، فقلت: يا رسولَ الله، أخبرني مِن أيِّ شيء تبكي أنت وصاحبُك، فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ وإن لم أجد تباكيتُ؟

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أبكي للذي عُرِضَ عليَّ في أصحابي من أخْذِ الفداءِ،**

عُرِضَ عليَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرةِ» شجرةٍ قريبةٍ من نبي الله عليه السلام، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧] فأحلَّ الله لهم الغنيمةَ[١].

١٨٠- عن أنسٍ قال: أنشأ عمرُ بنُ الخطابِ يُحدثنا عن يوم بدرٍ فقال: إن رسولَ الله ﷺ ليُخبرُنا بمَصارعِ القومِ بالأمس: «**هذا مصرعُ فلان إن شاء الله غدًا، هذا مصرعُ فلان إن شاء الله غدًا**».

فوالذي بعثَهُ بالحق ما أخطؤوا تلك الحُدودَ، جعلوا يُصرَعون عليها، ثم أُلقوا في القَليبِ وجاء النبيُّ عليه السلام فقال: «**يا فلانُ بن فلان، يا فلان بن فلان، هل وجدتُم ما وَعَدَ ربُّكم حقًّا؟**»

فقلت: يا رسولَ الله، أتكلِّم أجسادًا لا أرواحَ فيها.

فقال النبيُّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما أنتُم بأسمعَ منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يَرُدُّوا عليَّ**»[٢].

١٨١- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ: أن سعدَ بن مُعاذٍ خرج مُعتمرًا، فنزلَ على أميةَ بنِ خلفٍ، وكان أميةُ إذا خرجَ إلى الشامِ نزل على سعدٍ، فقال له: أمهِل حتى يَسكُنَ أو يهدَأَ الناسُ ثم تطوفُ بالبيت.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

فبينا هو يطوفُ بالبيت إذ رآه أبو جهلٍ، فقال: من ذا الذي يطوفُ بالبيتِ. قال: أنا سعدُ بنُ معاذٍ قال: تطوفُ بالبيت وقد آويتُم محمدًا وأصحابَه؟!

فقال له سعدٌ: والله لئن مَنَعتَني لأقطعَنَّ عليك مَتجَرَك من الشامِ، فجعل أميةُ يُمسِك سعدًا: لا تَرفَعْ صوتَك على أبي الحكَمِ؛ فإنه سيدُ أهلِ الوادي فغضِبَ سعدٌ، فدفع في صدرِ أُميةَ، فقال: دعنا عنك فقد سمعتُ محمدًا ﷺ يزعُمُ أنه قاتلُك.

قال: إيايَ؟

قال: نعم.

قال: فوالله ما يكذِبُ محمدٌ.

فلما رجعَ إلى أُمِّ صفوان فقال لها: أما تعلمين ما قال أخي اليَثربي؟

قالت: وما قال لك؟

قال: زعمَ أنه سمعَ محمدًا يزعمُ أنه قاتلي.

قالت: فوالله ما يَكذِبُ محمدٌ.

فلما جاء الصريخُ فخرجوا إلى بدرٍ قالت له امرأتُه: أما تذكُرُ ما قال أخوك اليثربيُّ؟

فأراد أن يقعدَ، فقال له أبو جهلٍ: إنك من أشرافِ أهلِ الوادي فسِرْ معنا يومًا أو يومين. فسارَ معهم فقَتَلَهُ الله[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٢).

١٨٢- عن جبيرِ بن مُطعمٍ قال: لقد رأيتُ أو رأينا قبلَ هزيمةِ القوم -وهم يَقتتلون- مثل البِجادِ الأسودِ أقبلَ من السماءِ حتى وقعَ إلى الأرضِ بيننا وبينهم، قال: فنظرتُ فإذا نملٌ مَبثوثٌ حتى امتلأَ الوادي لم أشكَّ أنها الملائكةُ، ولم تكن إلا هزيمةُ القومِ[(١)].

١٨٣- عن عروةَ بن الزبيرِ قال: جلسَ عُميرُ بن وهبٍ الجُمحيُّ مع صفوانَ بن أميةَ بعد مُصابِ أهلِ بدرٍ من قريشٍ بيسيرٍ وهو في الحِجرِ، وكان عميرُ بنُ وهب شيطانًا من شياطين قريشٍ، وممَّن كان يؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه، ويَلقون منه عناءً وهو بمكةَ، وكان ابنُه وهبُ بنُ عميرٍ في أُسارى أصحابِ بدرٍ.

قال: فذكرَ أصحابَ القليبِ ومصابَهم.

فقال صفوانُ: والله إنْ في العيشِ خيرٌ بعدَهم.

فقال له عميرٌ: صدَقتَ والله، أما والله لولا دَينٌ عليَّ ليس عندي قضاءٌ له، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعةَ بعدي، لركِبتُ إلى محمدٍ حتى أقتلَه؛ فإن لي قبلَهُم عِلَّةً؛ ابني أسيرٌ في أيديهم.

فاغتنمَها صفوانُ بن أميةَ فقال: عليَّ دينُك، أنا أَقضيهِ عنك، وعيالُك مع عيالي أَمُونُهم ما بَقوا، لا يَسعُهم شيءٌ ويعجز عنهم.

قال عميرٌ: فاكتُم عليَّ شأني.

قال: أفعلُ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٦١.

قال: ثم أمرَ عُميرٌ بسيفِه فشُحِذَ له وسُمَّ، ثم انطلَقَ حتى قدِمَ المدينةَ، فبينا عمرُ بنُ الخطابِ في نفرٍ من المسلمينَ في المسجدِ يتحدَّثون عن يومِ بدرٍ، ويَذكرون ما أكرَمَهم الله به وما أراهم من عدوِّهم إذ نظرَ عمرُ إلى عميرِ بن وهبٍ حين أناخَ على باب المسجدِ متوشِّحًا السيف فقال: هذا الكلبُ عدوُّ الله عميرُ بنُ وهبٍ ما جاء إلا بِشرٍّ، وهو الذي حرَّش بيننا وحَزَرَنا يوم بدرٍ.

ثم دخلَ على رسولِ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله، هذا عدو الله عُميرُ بنُ وهبٍ، قد جاء مُتوشحًا سيفَه.

قال: فأَدخَلَهُ عليه.

قال: فأقبلَ عمرُ حتى أخذَ بحمَالةِ سيفِه في عُنقِه فلبَّبه به. فقال لرجالٍ ممن كان معه من الأنصارِ: ادخُلوا على رسولِ الله فاجلِسوا عنده واحذَروا هذا الخبيثَ؛ فإنه غيرُ مأمون، ثم دخلَ به على رسولِ الله ﷺ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ وعمرُ آخذٌ بحمالةِ سيفِه في عنقه.

قال: «**أرسلْهُ يا عمرُ، ادنُ يا عُميرُ**» فدنا.

ثم قال: أنعِموا صباحًا. وكانت تحيةَ أهل الجاهلية بينهم.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**قد أكرَمَنا الله بتحيةٍ خيرٍ من تحيَّتِك يا عميرُ: بالسلامِ، تحيةِ أهلِ الجنة**».

قال: أما والله إن كنتُ يا محمدُ لحديثُ عهدٍ بها.

قال: «**فما ذاك يا عُميرُ؟**»

قال: جئتُك لهذا الأسيرِ الذي في أيديكم فأحسِنوا فيه.

قال: «**فما بالُ السيفِ في عنقِك؟**» قال: قبَّحَها الله من سيوفٍ، وهل أغنَت شيئًا؟

قال: «**اصدُقني، ما الذي جئتَ له؟**»

قال: ما جئتُ إلا لذلك.

قال: «**بل قعدتَ أنت وصفوانُ في الحِجر فذكرتُما أصحابَ القَليبِ من قريشٍ ثم قلتَ: لولا دَينٌ عليَّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتلَ محمدًا، فتحمَّل صفوانُ بدينِك وعيالِك؛ على أن تقتُلني، والله حائلٌ بينك وبين ذلك**».

قال عميرٌ: أشهدُ أنك رسولُ الله؛ قد كنا نُكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبرِ السماءِ وما ينزلُ عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضُرهُ إلا أنا وصفوانُ، فوالله إني لأعلمُ أنه ما أتاك به إلا الله، فالحمدُ لله الذي هداني للإسلامِ وساقَني هذا المساق.

ثم شهد بشهادةِ الحقِّ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**فقِّهوا أخاكُم في دينِه، وأَقرِئوهُ القرآنَ، وأطلِقوا له أسيرَه**»

قال: ففعلوا.

ثم قال: يا رسولَ الله، إني كنت جاهدًا على إطفاءِ نورِ الله، شديدَ الأذى لمن كان على دينِ الله، وإني أُحبُّ أن تأذَنَ لي فأقدَمُ مكةَ فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلامِ؛ لعلَّ الله أن يهديَهم وإلا آذيتُهم في دينِهم كما كنت أُوذي أصحابك.

قال: فأذِن له رسولُ الله ﷺ، فلحقَ بمكةَ وكان صفوانُ بن أميةَ حين خرج عميرُ بن وهبٍ يقول لقُريش: أبشِروا بوقعةٍ تأتيكم الآن في أيامٍ تُنسيكُم وقعةَ بدرٍ.

وكان صفوانُ يسألُ عنه الركبانَ حتى قدمَ راكبٌ فأخبره بإسلامِه، فحلف ألا يكلِّمَهُ أبدًا ولا ينفعَه بنفعٍ أبدًا، فلما قدِم عميرٌ مكة أقام بها يدعو إلى الإسلامِ ويُؤذي من خالفه أذىً شديدًا، فأسلمَ على يده ناسٌ كثيرٌ[1].

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٢/ ٤٧٢، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٤٧.

(٥٣) ومن الأخبارِ في غزوة أُحدٍ من الدلائل

١٨٤- عن محمدِ بن إسحاقَ حدثني صالحُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ أن أُبيَّ بنَ خلفٍ كان يَلقى رسولَ الله ﷺ بمكةَ فيَقولُ: يا محمدُ، إن عندي فرسًا أعلفُه كلَّ يوم فرقًا من ذرةٍ؛ أقتُلك عليه. فيقولُ رسولُ الله: «**بل أنا أقتُلك إن شاءَ الله**» فلما كان يومُ أحدٍ طعنَه رسولُ الله ﷺ في عنقِه طَعنةً تدأدأ منها عن فرسِه مِرارًا. فلما رجعَ إلى قريشٍ وقد خدشَه في عنقِه خَدشًا غيرَ كبيرٍ فاحتقنَ الدمُ قال: قتَلني والله محمدُ. قالوا: ذهبَ الله فؤادُك، إن بك بأس! قال: إنَّه قد كان قال لي بمكةَ: «**أنا أقتُلك إن شاء الله**» فوالله، لو بصقَ عليَّ لقتلَني. فمات عدوُّ الله بسرفٍ وهُم قافِلون به إلى مَكةَ[1].

١٨٥- عن قتادةَ بن النعمان: أنه أصيبَت عينُه يوم أحد فسالت حدقتُه على وجنتِه، فأرادوا أن يَقطَعوها فسألوا النبيَّ ﷺ.

فقال: «**لا**».

فدعا به فغَمزَ عينه براحَته، فكان لا يدري أيَّ عينيه أصيبَت[2].

١٨٦- عن حنظلةَ بن أبي عامرٍ أخِي بني عمرِو بن عوفٍ أنه التقى هو وأبو سفيانَ بنُ حربٍ فلما استعلاه حنظلةُ رآه شدادُ بن الأسودِ -وكان يُقال له: ابن شعوب- قد علا أبا سفيان فضربهُ شدادٌ فقتله.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص٣٣١).

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٣/ ١٢٠ (١٥٤٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٠٠.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن كان صاحِبَكم -يعني: حنظلة- لتغسِّلُه الملائكةُ، فاسألوا أهلَهُ ما شأنه؟**»

فسئلت صاحبتُه فقالت: خرجَ وهو جُنبٌ حين سمعَ الهائعةَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لذلك غسَّلته الملائكةُ**»[١].

١٨٧- عن أنسٍ: أن أبا طلحةَ قال: رفعتُ رأسي يومَ أحدٍ فإذا ليس أحدٌ منهم إلا وهو تحت حجفتِهِ يميدُ من النعاسِ، وذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا﴾ [آل عِمران:١٥٤][٢].

(١) أخرجه ابن حبان ١٥/ ٤٩٥-٤٩٦ (٧٠٢٥)، والحاكم ٣/ ٢٢٥ (٤٩١٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٢٤٦.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٠٧)، وأصله في البخاري (٤٠٦٨).

(٥٤) غزوة بني النضير وما عصم الله به نبيه ﷺ من غدرهم وما هموا به من قتله

١٨٨- عن ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ [المائدة:١١] وذلك أنَّ عمرو بنَ أميةَ الضَّمري حيث انصرفَ من بئرِ مَعونةَ لقيَ رَجُلين كلابِيَّين معهما أمانٌ من رسولِ الله ﷺ، فقتلَهما، ولم يعلمْ أنَّ معهما أمانًا من النبيِّ ﷺ فوَداهما رسولُ الله ﷺ، ومضى إلى بني النضيرِ معه أبو بكر وعُمرُ وعلي فتَلَقَّوه بنو النضيرِ، فقالوا: مَرحبًا يا أبا القاسمِ، ماذا جئتَ له؟ قال: «**رجلٌ من أصحابي قتلَ رجلَينِ من بني كِلابٍ معهما أمانٌ مني فطُلبَ مني ديتُهما، فأريدُ أن تُعينوني**» قالوا: نَعم، والحبُّ لك والكرامةُ يا أبا القاسمِ، اقعُد حتى نجمعَ لك، فقعدَ رسولُ الله ﷺ تحت الحِصنِ، وأبو بكر عن يَمينه وعمرُ عن يسارِه وعليٌّ بين يديه، وقد تَوامرَ بنو النضيرِ أن يَطرحوا عليه حجرًا -وقال بعضُ أهل العلمِ: بل ألقَوا فأخذَه جبريلُ عليه السلام وأخبرَ النبيَّ ﷺ بما تَوامرَ الفَسقةُ وما هَموا به- فقام رسولُ الله ﷺ، واتبَعه أبو بكر وعمرُ وعليٌّ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ ﴾ [المائدة:١١] الآية[١].

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٨٠، وانظر: «سيرة ابن هشام» ١/ ٥٦٣.

(٥٥) غَزوةُ ذاتِ الرِّقاع

١٨٩- عن جابرِ بن عبدِ الله قال: خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاعِ على جملٍ لي ضعيفٍ، فلما قَفَلَ رسولُ الله ﷺ جَعَلَت الرفاقُ تمضي، فجَعَلْتُ أتخلَّف حتى أدركني رسولُ الله ﷺ فقال: «**ما لك يا جابرُ؟**»

قلت: يا رسولَ الله، أبطأ بي جَملي.

قال: «**فأنِخهُ**» وأناخَ رسولُ الله ﷺ، ثم قال: «**أعطني هذه العصا من يدِك أو اقطَع لي عصًا من شجرةٍ**».

قال: ففعلت فأخذَه رسولُ الله ﷺ فنخَسه به نخَساتٍ، ثم قال: «**اركب**» فركبتُ فخرجَ -والذي بعثه بالحقِّ- يُواهِقُ ناقتَه[1] مُواهَقَةً[2].

١٩٠- عن جابرِ بن عبدِ الله قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ في غزوةِ ذات الرقاعِ حتى إذا كنا بحرَّةِ واقم عَرضت امرأةٌ بدويةٌ بابن لها فجاءت إلى رسولِ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله، هذا ابني قد غلبَني عليه الشيطان.

فقال: «**أدنيه مني**» فأدنَتهُ منه.

فقال: «**افتحي فمَه**» ففتحته، فبسقَ فيه رسولُ الله ﷺ فقال: «**اخسَأ عدوَّ الله، أنا رسولُ الله**» قالها ثلاثًا، ثم قال: «**شأنُكِ بابنِك، ليس عليه بأسٌ، لن يعودَ إليه شيءٌ مما كان يصيبُه**».

---

(١) (يُواهِقُ ناقتَه مُوَاهَقَةً) يُواهِقُ: يباري في السير ويماشي، ومُواهَقَة الإبل: مد أعناقها في السير.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٩٧)، ومسلم (٧١٥).

ثم أقبلنا راجعين حتى إذا كنا بحرَّةٍ عرضت لنا الأعرابيةُ التي جاءت بابنِها بوطَب[١] من لبنٍ وشاةٍ فأهدته له ﷺ فقال: «**ما فعلَ ابنُك؟ هل أصابه شيء مما كان يُصيبه؟**»

قالت: والذي بعثَك بالحقِّ، ما أصابهُ شيء مما كان يصيبُه. وقَبِلَ هديَّتَها[٢].

قال الشيخُ -أسعده الله-: وفي هذه الغزوةِ قصةُ الأشاءتينِ واجتماعِهما لاستتارةِ النبيِّ ﷺ بهما عندَ حاجتِه ورجوعِهما إلى مغرسِهما[٣].

١٩١- وفيها أيضًا: قصةُّ غورثِ بنِ الحارثِ المحاربيِّ لما استَلَّ على النبيِّ عليه السلام سيفَه فقال: مَن يمنعُك مني؟ فقال: «**الله**» فأخذَه راجفٌ، فسقطَ السيفُ من يدِه[٤].

١٩٢- وفيها أيضًا قصةُّ الجملِ الذي بركَ بين يديِ النبيِّ ﷺ ساجِدًا[٥]، وشكَواه إليه لما هَموا بنَحرِه.

في غيرِ ذلك من الآياتِ قد تقدَّم ذكرُها في أبوابِها.

---

(١) (بوَطَب) الوَطَب: الزق الذي يكون فيه السمن واللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٢١ (٣١٧٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٩١١٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ١٨.

(٣) تقدم (٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩١٠، ٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣).

(٥) أخرجه أحمد ٢٢/ ٢٣٥ (١٤٣٣٣).

(٥٦) ومن الأخبارِ في غزوةِ الخَندق وبني قُريظة

١٩٣- عن البراءِ بن عازبٍ قال: لما كان حين أمرَنَا رسولُ الله ﷺ بحفر الخندقِ، وعرضت لنا في بعضِ الخندق صخرةٌ عظيمة شديدةٌ، لا تَأخذ فيها المعاول.

قال: فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء رسولُ الله، فلما رآها ألقى ثوبَه، وأخذ المِعول فقال: «**بسم الله**» ثم ضرب ضربةً فكسر ثلثَها.

وقال: «**الله أكبر، أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إني لأُبصرُ قصورَها الحمرَ الساعة**».

ثم ضرب الثانية فقطع ثلثًا آخرَ، فقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيحَ فارسَ، والله إني لأبصر قصرَ المدائن الأبيضَ**».

ثم ضرب الثالثة وقال: «**بسم الله**» فقطع بقية الحجر، فقال: «**الله أكبر، أعطيتُ مفاتيحَ اليمن، والله إني لأبصِرُ أبوابَ صنعاء من مكاني هذه الساعةَ**»[(١)].

١٩٤- عن محمدِ بن إسحاقَ، حدثني سعيدُ بن مينا أنه حدثَ أن ابنةً لبشيرِ بنِ سعد أُختِ النعمانِ بن بشيرٍ قالت: دعَتني عَمرةُ بنتُ رواحةَ فأعطَتني حفنةً من تمرٍ في ثَوبي، ثم قالَت: يا بُنية، اذهَبي إلى أبيكِ وخالكِ عبدِ الله بنِ رواحةَ بغدائِهما. قالَت: فأخذتُها فانطلَقتُ بها، فمررتُ برسولِ الله ﷺ، وأنا ألتمسُ أبي وخالي، فقالَ: تعالي يا بُنيَّة. «**ما هذا معك؟**» فقلتُ: يا رسولُ الله، هذا تمرٌ بعثتني

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢٠/ ٣٨٦ (٣٧٩٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» ٨/ ١٣٤، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٤٢١.

به أمي، إلى أبي بشيرِ بن سعد، وخالي عبدِ الله بن رواحةَ يتغدَّيا به قال: «**هاتِ**» قالت: فصببتُه في كفَّي رسولِ الله ﷺ فما ملأَهما، ثم أمرَ بثوبٍ فبُسطَ له، ثم دَحا التمرَ عليه فتبددَ فوق الثوبِ، ثم قال لإنسانٍ عنده: «**اصرُخ في أهلِ الخندقِ أن هلُمَّ إلى الغداءِ**» فاجتَمع أهلُ الخندقِ عليه، فجعَلوا يأكلون منه، وجعلَ يزيدُ، حتى صدرَ أهلُ الخندقِ عنه، وإنه ليسقطُ من أطرافِ الثوبِ[(١)].

١٩٥- عن جابرِ بن عبدِ الله: كنا مع رسولِ الله ﷺ يومَ الخندقِ نحفِرُ فيه فلبثنا ثلاثةَ أيامٍ لا نَطعم شيئا، ولا نقدِرُ عليه فعَرَضَت في الخندقِ كُدْيةٌ[(٢)] فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كديةٌ قد عرضتْ في الخندقِ فرَشَشنا عليها الماءَ، فقام رسولُ الله ﷺ وبطنُه معصوبٌ بحَجرٍ، فأخذَ المِعولَ أو المِسحاة، ثم سمى ثلاثًا، ثم ضربَ فعادَت كثيبًا أهيلَ.

فلما رأيتُ ذلك من رسولِ الله ﷺ قلت: يا رسولَ الله ائذَن لي، فأذن لي، فجئتُ إلى امرأتي فقُلتُ: ثَكلَتكِ أمُّكِ، إني قد رأيت من رسولِ الله ﷺ شيئًا لا صبرَ عليه فما عندَك؟

قالت: عندي صاعٌ من شعيرٍ وعَناقٌ، قال: فطحنَّا الشعيرَ وذبحنا العناقَ وأصلحناها وجعلناها في البُرمةِ، وعجنت الشعيرَ ، ثم رجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ فلبثت ساعةً، ثم استأذنتُه الثانيةَ فأذِنَ لي، وإذا العجينُ قد أمكن، فأَمَرتُها بالخبز وجعلتُ القِدرَ على الأَثافِيِّ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ فسارَرتُه فقلتُ: إن عندنا طُعَيِّما لنا، فإن رأيتَ أن تقومَ معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلتَ.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨.
(٢) (كُدْيَة): وهي القطعة الصلبة الصماء.

قال: «**ما هو وكم هو؟**»

قلت: صاعٌ من شعيرٍ وعَناقٌ.

قال: «**ارجع إلى أهلِك فقل لها: لا تنزِع البرمةَ من الأثافيِّ، ولا تُخرجي الخبزَ من التَّنور حتى آتيَ**».

ثم قال للناس: «**قوموا إلى بيتِ جابرٍ**».

فاستَحييتُ حياءً لا يعلمُه إلا الله، فقلتُ لامرأتي: ثَكِلتكِ أمُّك قد جاءك رسولُ الله ﷺ بأصحابه أجمعين.

فقالت: أكان رسولُ الله ﷺ سألَكَ كم الطعامُ؟

قلت: نعم.

قالت: فالله ورسولُه أعلَمُ، قد أخبرتَه بما كان عندنا.

قال: فذهب عني بعضُ ما كنت أجدُ، قلت: لقد صَدَقتِ، فجاء رسول الله ﷺ ثم قال لأصحابه: «**لا تَضاغَطوا**».

قال: ثم بَرَّك على التنورِ وعلى البُرمةِ فجعلنا نأخُذُ من التنورِ، ونأخذ من البرمةِ، فنثرُدُ ونغرفُ ونقرب إليهم.

وقال رسول الله ﷺ: «**لِيجلس على الصحفةِ سبعةٌ أو ثمانية**»، قال: فلما أكلوا كشَفنا التنورَ والبرمةَ، فإذا هما قد عادا إلى أملأ ما كانا فنثرُد لهم ونغرفُ ونقرب إليهم، فلم نزل نفعلُ ذلك، كلَّما فتحنا التنورَ وكشفنا عن البرمَةِ وجدناهما أملأَ ما كانا حتى شبعَ المسلمون كلهم وبقِيَ طائفةٌ من الطعام.

فقال لنا رسولُ الله ﷺ: «**إن الناسَ قد أصابَتهُم مَخمصةٌ فكلوا وأطعِموا**» فلم نزل يومنا نأكلُ ونُطعم[(١)].

١٩٦- عن سهلِ بن سعدٍ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في الخندقِ، فأخذ الكِرزِين[(٢)] فحَفَرَ به، فصادفَ حجَرًا، فضحك فقيل: لِمَ ضَحِكتَ يا رسولَ الله؟

قال: «**ضحكتُ من ناس يُؤتى بهم من قِبَلِ المشرق في الكُبولِ**[(٣)]**، يُساقون إلى الجنةِ، وهم كارِهون**»[(٤)].

فأخبر ﷺ بانتشارِ المسلمين، وظهورِهم حتى يَسبُون سبايا الأممِ من البالِغين وغيرِهم مُقَيَّدين، مُساقينَ إلى بلادِ الإسلامِ، فيسترقون فيُسلمون.

١٩٧- عن سليمانَ بن صُردٍ قال: قال رسول الله ﷺ يومَ الأحزابِ: «**الآن نَغزوهم ولا يغزونا**»[(٥)]. فحقَّق الله تعالى خبرَه فغزا ولم يُغز بعدَه.

١٩٨- عن حُذيفةَ بن اليمانِ قال: كنا في المسجدِ فقال فتًى من القوم: لو أدركتُ النبيَّ عليه السلام لخدمتُه، ولفعلتُ وفعلت، فقال حذيفة: لقد رأيتُني ليلةَ الأحزابِ، ونحن مع رسولِ الله ﷺ فكان رسولُ الله ﷺ قائمًا يصلي في ليلة باردةٍ لم أرَ كذلك البردِ قبلَه ولا بعدَه بردًا أشدَّ منه، فحانَت منه التفاتةٌ، فقال: «**ألا رجلٌ يذهبُ إلى هؤلاء فيأتيني بخبرِهم فأُدخِله مُدخلي يوم القيامةِ؟**» فما قامَ منا شبحٌ -يعني: إنسانًا- فأَسكَتوا، ثم عاد فأَسكَتوا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) (الكِرْزِين) الكِرْزِن: الفأس.

(٣) (الكبول) جمع الكَبل: وهو القيد.

(٤) أخرجه أحمد ٣٦/ ٥٣٩ (٢٢٢٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤١٠٩).

فقال: «**يا حذيفةُ**».

قلت: لبيك، فقمتُ حتى أتيته، وإن جنبيَّ ليضطَرِبان من البردِ، فمسحَ رأسي ووجهي، ثم قال: «**اذهبْ إلى هؤلاء فائتِنا بخبرِهم، ولا تُحْدِثَن حَدثًا حتى ترجعَ**»، ثم قال: «**اللهم احفظْه من بين يديهِ، ومن خلفِه، وعن يمينِه، وعن شِمالِه، ومن فوقِه، ومن تحتِه حتى يرجعَ**».

قال: فلأن يكونَ أرسَلَها أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها.

قال: فأخذتُ سيفي وقَوسي، ثم شَدَدتُ عليَّ أحلاسي، ثم انطلقتُ أمشي نحوهم كأني أمشي في حمَّامٍ[1]، فوجدتهم قد أُرسِلَت عليهمُ الريحُ فقطعت أطنابَهم، وقطعت أبنيَتَهم، فلم تدعْ لهم شيئًا إلا أهلكته.

قال: وأبو سفيانُ يَصطَلي[2] قاعدًا عند نارٍ له، فصرت إليه فأخذتُ سهمًا من كِنانتي فوضعتُه في كَبِد قوسي[3] -قال: وكان حذيفةُ راميًا- فذكرتُ قولَ رسولِ الله ﷺ: «**لا تُحدِثَنَّ حدثًا حتى ترجعَ**» فرددتُ سهمي في كنانتي، فقال رجلٌ من القومِ: ألا إن فيكم عينًا للقومِ، ليأخذ كلُّ رجلٍ بيد جَليسه فأخذتُ بيد جليسي فقلت: مَن أنت؟ فقال: سبحان الله! أما تعرِفُني؟ أنا فلان. فإذا رجلٌ من هوازنَ فرجعتُ إلى النبيِّ ﷺ فأخبرتُه الخبرَ، وكأني أمشي في حمام!

---

(١) (الحَمَّام) مشتق من الحميم، وهو الماء الحار.

(٢) (يَصْطَلي) أي: يستدفئ.

(٣) (كبدَ قوسِي) هو مقبضها وكبد كل شيء وسطه.

فلما أخبرتُه ضِحك حتى بدت ثناياه في سَوادِ الليل، وذهب عني الدفاء، فأدناني رسولُ الله ﷺ فأنامني عند رجليهِ وألقى عليَّ طرفَ ثوبه، فإن كنت لألزقُ صدري بطرَف قدمَيَّ، فلما أصبحوا هَزَمَ الله الأحزابَ(١).

قال الشيخُ -أسعده الله-: وفي إرسالِ الله الريحِ عليهم المسقطةِ لفساطيطهم وخيمِهم فعجزوا عن إمساكِ خيمِهم وخيولِهم، فصرفَهم الله عَزَّوَجَلَّ مغتاظِينَ موتورِينَ منهزِمِينَ، فكانت الريحُ عذابًا عليهم، ونصرةً لرسول الله ﷺ، قال ﷺ: نُصرتُ بالصَّبا وأُهلكت عادٌ بالدبورِ(٢).

١٩٩- عن عائشةَ: أن النبيَّ ﷺ لما فرغَ من الأحزابِ دخل المُغتسلَ ليَغتسلَ، فجاءه جبريلُ فقال: يا محمدُ، قد وَضعتُم سلاحَكم، وما وَضعنا أسلحتَنا بعدُ، انهَد -أو انهَض- إلى بني قُريظةَ. فقالَت عائشةُ: يا رسولَ الله، لقد رأيتُ رأسَه من البابِ، وقد عصبه الغبارُ(٣).

٢٠٠- عن سعيدِ بن المسيبِ قال: كانت قريظةُ قد مكرَت برسولِ الله ﷺ، وكاتَبت مُشرِكي قريشٍ، وعيينةَ بن حصن وأبا سفيانَ بنَ حرب يومَ الأحزابِ: أن اثبُتوا فإنا سنُخالفُ المسلمينَ إلى بيضَتِهم. فلما هزمَ الله الأحزابَ ندبَ النبيُّ ﷺ أصحابَه فطَلبوهم إلى حمراءِ الأسدِ، ثم رَجعوا، فوضعَ النبيُّ ﷺ لَأْمَتَه واغتسلَ واستَجمرَ، فناداه جبريلُ: عذيرُك من مُحاربٍ، ألا أراك قد وَضعتَ لَأْمَتَك، ولم نَضعها نحن. فقام النبيُّ ﷺ فزِعًا، فقال النبيُّ ﷺ لأصحابِه: «**عَزمتُ**

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٨).
(٢) الصَّبَا: ريح تهب من مطلع الشمس، والدبور عكسها.
(٣) أخرجه البخاري (٢٨١٣، ٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩).

عليكم لا تُصلوا العصرَ حتى تأتوا بني قُريظةَ» وخرجَ النبيُّ عليه السلام فمرَّ بمجالسَ بينه وبين بني قريظةَ، فقال: «**هل مرَّ بكم مِن أحدٍ؟**» فقالوا: نعم، مرَّ علينا دحيةُ الكلبي على بغلةٍ شَهباءَ تحتَه قطيفَةٌ من ديباجٍ. فقال النبيُّ عليه السلام: «**ليسَ ذاك دحيةُ الكلبي، ولكن جبريلُ عليه السلام أُرسِلَ إلى بني قُريظةَ ليُزلزِلَ حُصونَهم، ويقذفَ في قلوبِهم الرعبَ**» فحاصرَهم أصحابُ النبيِّ عليه السلام فلما انتَهى إليهم النبيُّ عليه السلام أمرَ أصحابَه أنْ يستُروه بحجفِهم لِيَقوه الحجارةَ حتى يُسمعَهم كلامَه، ففعَلوا، فناداهم: «**يا إخوةَ القِردةِ والخنازيرِ**» فقالوا: يا أبا القاسمِ، ما كنتَ فحاشًا. فدَعاهم إلى الإسلامِ، وقاتلَهم رسولُ الله عليه السلام، ومن معه من المسلمينَ حتى نَزلوا على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ، فحَكمَ فيهم أن تُقَتَّلَ مُقاتلتُهم، وتُقسَّم أموالُهم، وتُسبى ذَراريهم، وقال النبيُّ ﷺ: «**أصابَ الحُكمَ**»[1].

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ٣٦٧ (٩٧٣٧).

(٥٧) ذِكر غزوةِ الرَّجيعِ

٢٠١- عن أبي هريرةَ قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ سريةً عَينًا، وأمَّر عليهم عاصمُ بنُ ثابت، وهو جدُّ عاصمِ بن عمر فانطَلقوا حتى كانوا ببعضِ الطريقِ بين عسفانَ ومكةَ نُزولًا ذُكِروا لحيٍّ من هذيلٍ يُقال لهم: بنو لحيانَ، فتبِعوهم بقريبٍ من مائةِ رجلٍ رامٍ، فاقتَصوا آثارَهم حتى نزَلوا مَنزلًا نزَلوه، فوَجدوا فيه نوى تمرٍ تَزوَّدوه من تمرِ المَدينةِ، فقالوا: هذا من تَمرِ يثربَ، فاتَّبعوا آثارَهم حتى لَحِقوهم، فلما آنسَهم عاصمُ بنُ ثابت وأصحابُه لجأوا إلى فَدفَدٍ، وجاء القومُ، فأحاطوا بهم فقالوا: لكم العَهدُ والميثاقُ، وإن نزلتُم إلينا لا نقتلُ منكم رجلًا. فقال عاصمٌ: أما أنا فلا أنزلُ في ذمةِ كافرٍ، اللهمَّ أخبِر عنا رسولَك.

قال: فقاتَلوهم، فرمَوهم حتى قَتلوا عاصمًا في سبعةِ نفرٍ، وبقي خُبيبُ بنُ عدي وزيدُ بن دثنَّةٍ، ورجلٌ آخرُ، فأعطَوهم العهدَ والميثاقَ إن نزلوا إليهم؛ فنَزلوا إليهم، فلما استَمكَنوا منهم خلَعوا أوتارَ قسيِّهم فربَطوهم بها، فقال الرجلُ الثالثُ الذي معهما: هذا أولُّ الغدرِ، فأبى أن يصحبَهم، فجرُّوه فأبى أن يتبعَهم، فضرَبوا عنقَه، وانطلَقوا بخبيبِ بنِ عدي، وزيدِ بن دثِنَّة حتى باعوهما بمكةَ، فاشتَرى خُبيبًا بنو الحارثِ ابن عمرو بنِ نوفل، وكان قَتلَ الحارثَ يومَ بدرٍ، فمكثَ عندهم أسيرًا حتى إذا أجمَعوا على قتلِه استعارَ موسى من إحدى بناتِ الحارثِ ليستَحِدَّ بها فأعارَته. قالَت: فغَفلتُ عن صبيٍّ لي، فدرجَ إليه حتى أتاه. قالَت: فأخذَه فوضَعه على فخذِه، فلما رأيتُه فزِعتُ فَزعًا شديدًا عرَفه فيَّ والموسى في يدِه، فقال: أتَخشين أن أقتلَه؟! ما كنتُ لأفعلَ إن شاءَ الله. قال: فكانَت تقولُ: ما رأيتُ أسيرًا خيرًا من خُبيبٍ، لقد رأيتُه يأكلُ قِطفًا من عِنبٍ، وما بمَكةَ يومئذٍ ثمرةٌ، وإنه لموثقٌ

في الحَديدِ، وما كان إلا رزقًا رزقه الله إياه. ثم خَرجوا به من الحرمِ ليَقتلوه، فقال: دَعوني أصَلي ركعَتين. فصلى ركعَتين، ثم قال: لولا أنْ تَروا أن ما بي جزعٌ من الموتِ لزدتُ، فكان أولَ مَن سنَّ الرَّكعتين عند القتلِ، ثم قال: اللهمَّ أحصِهم عددًا، ثم قال:

ولستُ أبالي حينَ أُقتَل مسلمًا ** على أيِّ شقٍّ كان في الله مَصرَعي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يشَأ ** يُبارِك على أوصالِ شِلوٍ ممزَّعِ

ثم قام عقبةُ بنُ الحارثِ فقتَله، وبعثَت قريشٌ إلى عاصمٍ ليُؤتَوا بشيءٍ من جسدِه يعرِفونَه، وكان قَتلَ عظيمًا من عُظمائِهم يومَ بدرٍ، فبعَث الله عليه مثلَ الظُّلَّةِ من الدَّبرِ فحمَته من رسلِهم، فلم يَقدروا على شيءٍ منه[1].

قال الشيخ -أسعدَه الله-: وفي قصةِ عاصمٍ وخبيبٍ غيرُ دلالةٍ، منها: حمايةُ الدبرِ عاصمًا، حتى لم يَقدروا على قطعِ رأسِه، أو شيءٍ من جسدِه، فأكرَمه الله بإجابةِ دعوَته حين قال: اللهمَّ إني أحمي لك دينَك فاحمِ لي لَحمي، وكان قد عاهَد اللهَ أن لا يمسَّ مشرِكًا ولا يمسَّه مشركٌ أبدًا فوفى الله له، فمنَعه منهم كما امتنَع منهم في حياتِه، وهي آيةٌ شريفةٌ، ودلالةٌ قويةٌ.

وما أكرمَ الله به خُبيبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من إطعامِه القِطفَ من العنبِ في زمان وحينٍ لا يُوجد منه بمكةَ حبةٌ ولا ثمرةٌ، فهذه المكرُمةُ شبيهةٌ بما قصَّ الله من شأن مريمَ عليها السلام ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران:٣٧] وإبلاغُ سلامِه رسولَه عليه السلام، فهما دلالَتان واضِحتان، ومثلُهما جائزٌ في إبَّان النبوةِ، وبهما كانَت الأنصارُ تفتخرُ، فسمَّت عاصمًا حميَّ الدبرِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥).

(٥٨) ذكر سريته ﷺ التي بعثها إلى بشير بن رزام اليهودي

٢٠٢- عن عُروةَ بن الزبير قال: بعث رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن عَتيك في ثلاثين راكبًا، فيهم عبد الله بن أُنيس إلى مستنير بن رِزامٍ اليهودي حتى أتوه بخيبرَ، وبلغَ رسولَ الله ﷺ أنه يجمعُ غطَفان؛ ليغزو بهم رسولَ الله ﷺ، فأتوه فقالوا: إنا أرسَلَنا إليك رسولُ الله ﷺ ليستَعمِلَك على خيبرَ، فلم يزالوا به يَخدَعونه حتى أقبلَ معهم في ثلاثين راكبًا، مع كل رجل منهم رديفٌ من المسلمين، فلما بَلغوا قَرقرةَ -وهي من خيبرَ على ستةِ أميالٍ- ندِم المستنيرُ بن رزامٍ اليهودي، فأهوى بيده إلى السيفِ لسيفِ عبدِ الله بن أنيسٍ ففطِن له عبدُ الله بن أنيسٍ فزجَرَ راحلتَه.

واقتَحَم عبدُ الله بن أُنيس حتى استمكَن من المستنيرِ بن رزام، فضربَ عبدُ الله بن أنيس رجلَه فقَطَعَها واقتحم، والمستنير بن رزام في يده مِخْرَشٌ[1] من شَوْحَط[2]، فضرب عبدَ الله بن أنيس فشجَّه مأمومةً، وانكفَأَ كل رجل من المسلمين إلى رديفِه فقتلهُ، غير رجل من اليهودِ أعجزَهم شدًّا، ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ، وقدموا على رسولِ الله ﷺ، فبصقَ في شجةِ عبدِ الله فلم تقحُ ولم تُؤذه[3].

---

(١) (مِخْرَش) المِخْرَش: عصا معوجة الرأس كالصولجان.

(٢) (شَوْحَط): ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القسي، والواو زائدة.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٣/ ١٣٥ (٣٣٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٢٩٤.

(٥٩) قصةُ عبدِ الله بنِ أُنَيسٍ مع سفيانَ بن خالدٍ الهذليِّ، وقيلَ: ابنُ سفيانَ، وقيلَ: سفيانُ بنُ عبدِ الله

٢٠٣- عن عبدِ الله بن أُنَيسٍ قال: دَعاني رسولُ الله ﷺ، فقال: «**إنَّه قد بلغَني أنَّ ابنَ سفيانَ بن نُبيحٍ الهُذلي جمعَ لي الناسَ يغزوني، وهو بنخلةَ أو بعُرنةَ، فائتِه فاقتُله**».

قال: قلتُ: يا رسولَ الله، انعَته لي حتى أعرفَه.

قال: «**إذا رأيتَه أذْكَرَك الشيطانَ، آيةُ ما بينكَ وبينَه أنك إذا رأيتَه وجدتَ له قُشعريرةً**».

قال: فخَرجتُ مُتوَشحًا سَيفي، حتى دفعتُ إليه وهو في ظَعنٍ يرتادُ له مَنزلًا، وحين كان وقتُ العصرِ، فلما رأيتُه وجدتُ ما وصف لي رسولُ الله ﷺ من القُشعريرةِ فأقبلتُ نحوه، وخشيتُ أن تكونَ بيني وبينَه مجادلةٌ تشغلُني عن الصلاةِ، فصليتُ وأنا أمشي نحوه أومئُ برَأسي، فلما انتهيتُ إليه قال: من الرجلُ؟

قلتُ: رجلٌ من العربِ سمعَ بك وبجمعِك لهذا الرجلِ، فجاءَك لذلك.

قال: أجل، أنا من ذلك.

قال: فمَشيتُ معه شَيئًا حتى إذا أمكنَني جعلتُ عليه السيفَ حتى قتلتُه، ثم خرجتُ وتركتُ ظعائنَه مكباتٍ عليه.

فلما قدمتُ على رسولِ الله ﷺ فرآني قال: «**أفلحَ الوجهُ**».

قلتُ: قتلتُه يا رسولَ الله.

قال: «**صدقتُ**».

قال: ثم قامَ معي رسولُ الله ﷺ، فدخلَ بيتَه وأعطاني عصًا، فقال: «**أمسِك هذه العصا عندك يا عبدَ الله بنَ أُنَيسٍ**».

قال: فخرجتُ بها على الناسِ، فقالوا: ما هذه العصا؟

قلتُ: أعطانيها رسولُ الله ﷺ، وأمرَني أن أمسكَها.

قالوا: أفلا ترجعُ إلى رسولِ الله ﷺ فتسألُه لِمَ ذلك؟

قال: فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله، لمَ أعطيتَني هذه العصا؟

قال: «**آيةٌ بيني وبينك يومَ القيامةِ، إنَّ أقل الناسِ المتَخَصِّرون يومئذٍ**».

قال: فقرنَها عبدُ الله بسيفِه، فلم تزلْ معه حتى إذا مات أمرَ بها فضُمَّت معه في كفنِه، ثم دُفِنا جميعًا[1].

---

(١) أخرجه أحمد ٢٥/ ٤٤٠ (١٦٠٤٧).

(٦٠) ومما جرى بالحُديبيةِ مما يدخل في هذا الباب

٢٠٤- عن المِسورِ بن مَخرمةَ قال: خَرَجَ النبيُّ ﷺ زمن الحُديبيةِ، وسارَ حتى إذا كان بالثنيَّةِ التي يهبط عليهم منها بَرَكَت به راحلته، فقال الناسُ: حَلْ حَلْ[(١)] فألحَّت[(٢)]. فقالوا: خَلَأتِ[(٣)] القَصواءُ، خلأت القصواءُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**ما خلأت القَصواءُ، وما ذاك لها بخُلقٍ، ولكن حبَسها حابسُ الفيلِ**».

ثم قال: «**والذي نفسي بيدِه، لا يسألوني خُطَّةً[(٤)] يعظِّمون بها حرمةَ الله عَزَّوَجَلَّ إلا أعطيتُهم إياها**».

ثم زُجرت فوثَبَت، فعدل عنهم حتى نزلَ بأقصى الحديبيةِ، على ماء ثَمَدٍ قليلِ الماءِ، إنما يتبرَّضه الناس تبرُّضًا، ولم يلبث الناسُ أن نزحوه، فشكوا إلى رسولِ الله ﷺ العطشَ، فنزعَ سهمًا من كِنانتِه، ثم أمرهم أن يجعلوه في الدلوِ، فوالله ما زالَ يَجيشُ لهم بالرِّيِّ حتى صدروا عنه[(٥)].

٢٠٥- عن البراءِ بن عازبٍ قال: نزلنا يومَ الحديبيةِ فوجدنا ماءَها قد شربَها أوائلُ الناسِ، فجلسَ النبيُّ ﷺ على البئرِ، ثم دعا بدلو منها فأخذَ منه بفيهِ، ثم مجَّه فيها ودعا الله فكثُر ماؤها حتى رَوِي الناس[(٦)].

---

(١) (فقال الناس: حَلْ حَلْ): كلمة تقال للناقة إذا تركت السير.

(٢) (فألحَّت) أي: تمادت على عدم القيام، وهو من الإلحاح.

(٣) (خَلَأت) أي: وقفت لا تتحرك وإن ضربت.

(٤) (خُطَّة) أي: خصلة.

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

(٦) أخرجه البخاري (٤١٥٠)، وابن أبي شيبة ١٦/ ٤٦٠ (٣٢٣٨٣) واللفظ له.

٢٠٦- عن سلمةَ بنِ الأكوعِ قال: غَزَونا مع رسولِ الله ﷺ هوازِنَ، فأصابنا جَهدٌ شديدٌ حتى هَمَمنا بنحرِ ظَهرِنا، فقال نبي الله ﷺ: «**اجمَعوا بعضَ أزوادِكم**».

فأمرَ نبي الله ﷺ بنِطعٍ فمُدَّ، فجاء القومُ بتمرٍ فنبذوه، فتطاولتُ له أحزرُه، فإذا هو كرَبضةِ الشاةِ، فحشونا جُرُبنا منه، ودعا بنطفةٍ من ماء في إداوةٍ، فصُبَّت في قدحٍ، فجعلنا نتطهَّرُ به حتى تطهَّرنا جميعا[١].

٢٠٧- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرَجنا مع رسولِ الله ﷺ عامَ الحديبيةِ حتى إذا كنا بعسفانَ قال رسولُ الله ﷺ: «**أيكم يعرفُ طريقَ ذاتِ الحنظلِ؟ فإن عيونَ قريشٍ على ضَجنان ومرِّ الظهرانِ، فأيكم يعرفُ طريقَ ذاتِ الحنظلِ؟**» فأخَذنا حين أمسَينا على جبالٍ يقالُ لها: سراوع، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**ألا رجلٌ يسعى أمام الرَّكبِ؟**» فنزل رجلٌ فجعل تَنكبُه الحجارةُ، ويتعلقُ به الشجرُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اركَب**» فركبَ، ثم قال: «**ألا رجلٌ يسعى أمام الرَّكبِ؟**» فنزل رجلٌ آخر تَنكبُه الحجارةُ، ويتعلقُ به الشجرُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اركَب**» فركبَ، ثم قال لنا رسولُ الله ﷺ: «**خذوا هاهنا**» فأشارَ إلى ناحيةٍ، فأصابنا الطريقُ، فسِرنا حتى أقبَلنا في آخر الليلِ على عقبةِ ذاتِ الحنظلِ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ هذه الثنيةِ الليلةَ كمثلِ البابِ الذي قال الله تعالى لبني إسرائيلَ: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ [البقرة:٥٨] ما هبطَ أحدٌ من هذه الثَّنيةِ الليلةَ إلا غُفرَ له**» فاطلعتُ في آخر الناسِ ألتمسُ أخي قتادةَ بنَ النعمانِ بما سمعتُ من رسولِ الله ﷺ، فجعل الناسُ يركبُ بعضُهم بعضًا، حتى

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٤)، ومسلم (١٧٢٩).

وجدتُ أخي في آخر الناسِ؛ فلما هَبطنا نزَلنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «**من كان معه ثَقَلٌ فليصطَنِع**» يقولُ أبو سعيدٍ: وأيُّنا الذي معه ثَقَلٌ؟ فقلتُ: يا رسولَ الله، عسى أن ترى قريشٌ نيرانَنا فقال: «**لن يَروكم**» فلما أصبَحنا صلى رسول الله عليه السلام الصبحَ وصلينا معه، ثم قال: «**والذي نَفسي بيدِه، لقد غُفرَ الليلة للركبِ أجمعين، إلا رُويكبًا واحدًا التقَت عليه رحالُ القومِ ليس منهم**» فذَهبنا ننظرُ، فإذا أعرابيٌّ بين ظهرانَي القومِ، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**يوشكُ أن يأتي قومٌ تَحقِرون أعمالَكم مع أعمالِهم**» فقُلنا: من هُم يا رسولَ الله، أقريشٌ؟! قال: «**لا، ولكن أهلُ اليمنِ، هم أرقُّ أفئدةً، وألين قلوبًا**» فقلنا: أهم خيرٌ منَّا يا رسولَ الله؟ قال: «**لو كان لأحدِهم جبلُ ذهبٍ فأنفقَه ما أدرَك مُدَّ أحدِكم ولا نَصيفَه، ألا إن هذا فضلُ ما بيننا وبين الناسِ** ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد: ١٠]»[1].

فقَولُه ﷺ لهم حين قالوا: عسى قريشٌ ترى نيرانَنا. فقال: «**لن يَروكم**». وقولُه ﷺ في مجيءِ أهلِ اليمنِ، كلاهما إخبارٌ بغيبٍ تَحقَّق، ولم يَظهرْ خِلافُه.

---

(١) انظر: مغازي الواقدي ٢/ ٥٨٥.

(٦١) ذكرُ ما في قصةِ خيبرَ

٢٠٨- عن سلمةَ بنِ الأكوعِ قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكرِ بن أبي قُحافةَ الصديقَ برايتِه إلى حُصونِ خيبرَ، فقاتلَ فرجعَ، ولم يك فتحٌ، وقد جهِدَ، ثم بعثَ عمرُ الغد، فقاتَلَ فرجعَ، ولم يك فتحٌ، وقد جهدَ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**لأُعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يحبُّ الله ورسولَه، يفتح الله على يديه، ليس بفرَّارٍ**» فدعا بعليٍّ، وهو أرمَدُ، فتفل في عينيه، فقال: «**خذ هذه الرايةَ، وامضِ بها حتى يفتح الله عليك**».

قال سلمةُ: فخرج بها -والله- يهرِولُ هرولةً، وإنا خلفَه نتبعُ أثرَه، حتى ركزَ رايته في رضم من حجارةٍ تحت الحِصنِ فاطلع إليه يهوديٌّ من رأسِ الحصن.

فقال: من أنت؟ قال: عليُّ بن أبي طالبٍ.

قال: يقولُ اليهوديُّ: غُلبتم وما أُنزل على موسى عليه السلام، أو كما قال. فما رجعَ حتى فَتَحَ الله على يديه[1].

٢٠٩- عن أبي هريرةَ قال: شهِدنا مع رسولِ الله ﷺ خيبرَ فقال رسولُ الله ﷺ لرجل ممن معه يدَّعي الإسلامَ: «**هذا من أهلِ النارِ**».

فلما حضرَ القِتالُ قاتَلَ الرجلُ من أشدِّ القتالِ، فكثُرت به الجراحُ فأَثْبَتَتْهُ، فجاء رجلٌ فقال: يا رسول الله، أرأيتَ الرجلَ الذي ذكرتَهُ من أهلِ النارِ؟! قاتَلَ في سبيلِ الله من أشدِّ القتال، فكثُرت به الجِراح فأثبتته.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٧/ ٣٥ (٦٣٠٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٢٠٩. وأصله في البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧).

فقال النبيُّ ﷺ: «**أما إنه من أهلِ النارِ**»، فكان بعضُ المسلمين يرتابُ.

قال: فبينا هو على ذلك إذ وَجَدَ ألَمَ الجراحِ فأهوى بيده إلى كنانتِه فانتزَعَ سهمًا فانتحرَ بها، فاشتَدَّ رجالٌ من المسلمين إلى رسولِ الله ﷺ فقالوا: صدَّقَ الله حديثَك؛ قد انتحَرَ فلانٌ، فقَتَلَ نفسَه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا بلالُ، قم فأذِّن: إنه لا يدخل الجنَّة إلا مؤمنٌ، وإن الله تعالى ليُؤَيِّدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ**»(١).

٢١٠- عن ابنِ عباسٍ: أن امرأةً من اليهودِ أهدت لرسولِ الله ﷺ شاةً مسمومةً، ثم عَلِمَ بها بعدُ أنها مسمومةٌ، فأرسلَ إليها: «**ما حملك على ما صَنَعتِ؟**»

قالت: أحببتُ إن كنتَ نبيًّا فسيُطلِعُك الله عليه، وإن كنت كاذبًا أرحتُ الناسَ منك(٢).

٢١١- عن محمدِ بن إسحاقَ قال: وكان مِن حديث الأسودِ الراعي: أنه أَتَى رسولَ الله ﷺ وهو محاصِرٌ لبعض حصونِ خيبرَ، ومعه غنمٌ له كان فيها أجيرًا لرجلٍ من يهود، فقال: يا محمدُ، اعرِض عليَّ الإسلامَ. فعرضَ عليه فأسلَم، وكان رسولُ الله ﷺ لا يحقرُ أحدًا أن يدعوَه إلى الإسلامِ، ويعرضَ عليه، فلما أسلَم قال: يا رسولَ الله، إني كنتُ أجيرًا لصاحبِ هذا الغنمِ، وهي أمانةٌ عندي، فكيف أصنعُ بها؟ قال: «**اضرِبها في وجوهِها، فإنها سترجعُ إلى ربِّها**» أو كما قال رسولُ الله ﷺ، قال: فقام الأسودُ فأخذَ حفنةً من حصباءَ فرمى بها في وجوهِها، وقال: ارجع إلى صاحبِك، فوالله لا أصحبُكِ، فخَرجَت مجتمعةً كأن سائقًا يسوقُها حتى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٣)، ومسلم (١١١).

(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٦ (٢٧٨٤).

دخلَت الحصنَ، ثم تقدمَ إلى ذلك الحصنِ ليقاتلَ مع المسلمينَ فأصابَه حجرٌ فقتلَه، وما صلى لله صلاةً، فأُتِيَ به رسولَ الله ﷺ فوضِعَ خلفَه فسُجِّي بشَملةٍ كانت عليه، فالتفتَ إليه رسولُ الله ﷺ ومعه نفرٌ من أصحابِه ثم أعرضَ عنه، قالوا: يا رسولَ الله، لم أعرضتَ عنه؟ قال: «**إن معه الآن لزوجتَيه من الحورِ العينِ**»[(١)].

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ١٠٣ (٢٤٦٣)، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٦٢) ذِكرُ ما كان في فتحِ مكةَ

٢١٢- عن ابنِ عمرَ أن رسولَ الله ﷺ لما دخلَ مكةَ وجد بها ثلاث مئة وستين صنمًا، فأومأَ إلى كلِّ صنمٍ بعصاهُ، وقال: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] الآية، فيَسقُط الصنمُ ولا يمسه(١).

(١) أخرجه ابن حبان ١٤/ ٤٥٢ (٦٥٢٢)، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٤٥٢ (١٣٦٤٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٧٢.

(٦٣) ذكر ما روي في غزوة حنين من الدلائل والآيات

٢١٣- عن العباسِ بن عبدِ المطلب قال: شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ يومَ حنينٍ، لقد رأيت رسولَ الله ﷺ ما معه إلا أنا وأبو سفيانَ بنَ الحارثِ بن عبدِ المطلب، فلزِمنا رسولَ الله ﷺ فلم نُفارقه، وهو على بغلةٍ شهباءَ، أهداها له فروةُ بنُ نفاثةَ الجذاميِّ، فلما التَقى المسلمونَ ولَّوا مدبرينَ، فطفِقَ رسولُ الله ﷺ يُركِضُ بغلتَه قِبلَ الكفارِ، وأنا آخِذٌ بلجام بغلةِ رسولِ الله ﷺ أكفُّها وهو لا يَألو ما أسرعَ نحو المشركينَ وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ آخِذٌ بغرزِ رسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**نادِ: يا أصحابَ الشجرةِ**» وكنتُ رجلًا صيتًا، فقلتُ بأعلى صَوتي: أين أصحابُ الشجرةِ؟ فوالله، لكَأَنَّ عَطفَتَهم حين سمعوا عطفةَ البقرةِ على أولادِها، يقولون: يا لبيكَ، يا لبيكَ، يا لبيكَ. فأقبل المسلمونَ فاقتَتلوا هم والكفارُ، فنادَت الأنصارُ يقولونَ: يا معشرَ الأنصارِ، ثم قُصِرَت الدعوةُ على بني الحارثِ بن الخزرجِ، فنادوا: يا بني الحارث بن الخزرجِ، يا بني الحارثِ بن الخزرج. فنظر رسولُ الله ﷺ وهو على بغلتِه كالمتطاولِ عليها إلى قتالِهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**حميَ الوَطيسُ**» ثم أخذ رسولُ الله ﷺ حصياتٍ فرمى بهنَّ وجهَ الكفارِ، ثم قال: «**انهزَموا وربِّ الكعبةِ**» فانهزموا وربِّ الكعبةِ. قال: فذهبتُ أنظرُ فإذا القتالُ على هيئتِه فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم رسولُ الله ﷺ بحصياتِه فما زلتُ أرى حدَّهم كليلًا، وأمرَهم مُدْبِرًا حتى هزمَهم الله، فكأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يركضُ خلفَهم على بغلتِه[١].

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٥).

٢١٤- عن محمدِ بن إسحاقَ، عن أبيه قال: سمعتُ جبيرَ بنَ مُطعمٍ يقول: رأيتُ يومَ حنينٍ شيئًا أسودَ مثلَ البِجاد يدبُّ بين السماءِ والأرضِ، فلما وقعَ في الأرضِ فشا في الأرضِ، وانهزمَ المشركون[1].

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ٧٧، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٧١)، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٤٤٩.

(٦٤) ذكرُ ما في غزوةِ تبوكَ من نحو ما مضى: إخبارٌ عن غيبٍ

٢١٥- عن أبي حُميدٍ الساعدي قال: غَزَونا مع رسولِ الله ﷺ تَبوكًا، فلما جاوَزَ وادي القُرى إذا امرأةٌ في حديقةٍ لها، فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابِه: «**اخرُصوا**».

وخرص رسولُ الله ﷺ عشرةَ أوسُقٍ، وقال للمرأةِ: «**أحْصي ما يخرجُ منها**» فلما أتى تبوكًا قال: إنها ستهبُّ الليلةَ ريحٌ شديدةٌ فلا يقومنَّ أحدٌ، ومن كان له بعيرٌ فليعقله، قال: فعَقَلنا إبلَنا، وقام رجلٌ فألقته الريحُ بجبلي طيِّئ، ثم رجعَنا فلما أتينا وادي القُرى، قال: للمرأة: «**كم جاء خرصُك؟**» قالت: عشَرةَ أوسقٍ خرصَ رسولِ الله ﷺ(١).

٢١٦- عن أبي عمرة الأنصاريِّ قال: كنا مع رسولِ الله ﷺ في غزاةٍ فأصابَتنا مخمصةٌ، فاستأذنَ الناسُ رسولَ الله في نحرِ بعضِ ظُهورِهم، فقالوا: ينفعُنا الله به، فهمَّ أن يأذنَ لهم فلما رأى عمرُ أن رسولَ الله ﷺ قد همَّ أن يأذنَ لهم، قال: يا رسولَ الله، كيف إذا لَقينا العدوَّ غدًا جياعًا رجالًا، ولكن إن رأيتَ يا رسولَ الله أن تدعو الناسَ ببقايا أزوادِهم، فتجمعُها فتدعو الله فيها بالبركةِ فلعل الله أن ينفعَنا بدعوتِكَ، فجعل الرجلُ يجيءُ بالحفنةِ من الطعامِ، والمُدِّ وفوق ذلك، فكان أعلى من جاء بصاعينِ فجمعَها رسولُ الله ﷺ، ثم دعا بما شاءَ الله أن يدعوَ، ثم دعا الناسَ بأوعيتِهم، فما بقي وعاءٌ في الجيشِ إلا مَلَؤوه، وبَقي مثلُه، فضحكَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢).

رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذُه، ثم قالَ: «**أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأني رسولُ الله، لا يَلقى الله بها عبدٌ مؤمنٌ إلا حُجبت عنه النارُ يومَ القيامة**»(١).

٢١٧- عن معاذِ بن جبلٍ أنهم خرجوا مع رسولِ الله ﷺ إلى تبوكٍ، فكان النبيُّ ﷺ يجمعُ بين الظهرِ والعصرِ، والمغربِ والعشاءِ جميعًا، ثم قال: «**إنكم ستأتون إن شاءَ الله غدًا عينَ تبوك، وإنكم تأتونها حين يُضحي النهارُ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائِها شيئًا حتى آتيَ**»، فجئنا وقد سبقَ إليها رجلان، والعينُ مثل الشراكِ تبضُّ بشيء من مائِها.

فسألهما رسولُ الله ﷺ: «**هل مَسستُما من مائِها شيئًا؟**» قالا: نعم! فسبَّهما رسولُ الله ﷺ، وقال لهما ما شاءَ الله أن يقولَ، ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلًا حتى اجتمَعَ في شيء، ثم غَسل رسولُ الله ﷺ فيه وجهَهُ ويديه، ثم أعادَهُ فيها، فجَرت العينُ بماءٍ كثيرٍ، فاستقى الناسُ.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشكُ يا معاذُ، إن طالَت بك حياةٌ أن ترى ما هاهنا قد مُلئَ جنانًا**»(٢).

٢١٨- عن عبدِ الله بن عباسٍ أنه قال: قيل لعمرَ بن الخطابِ: حدِّثنا مِن شأنِ ساعة العُسرةِ.

فقال عمرُ: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى تبوكٍ في قَيظٍ شديدٍ، فنزلنا منزلًا أصابنا فيه عطشٌ حتى ظننا أن رقابنا ستَنقَطِعُ، حتى إن كان الرجلُ لينحرُ بعيرَه فيعصرُ فِرثَه فيشربُه ويجعلُ ما بقي على كبِدِه.

---

(١) أخرجه أحمد ٢٤/ ١٨٤ (١٥٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٧٠٦).

فقال أبو بكرٍ الصديق: يا رسولَ الله، إن الله قد عوَّدَك في الدعاءِ خيرًا، فادعُ لنا ربك.

قال: «أتُحبُّ ذاك؟»

قال: نعم.

فرفع يديه فلم يُرجِعهُما حتى قالت السماءُ فأظلت، ثم سكبَت، فمَلؤوا ما معهم، ثم ذهبنا لننظُرَ، فلم نجدها جاوزَت العَسكرَ[(١)].

٢١٩- عن عاصمِ بن عمرَ بن قَتادة، عن محمودِ بن لَبيدٍ، عن رجالٍ من بني عبدِ الأشهلِ. قال عاصم: فقلت لمحمود: هل كان الناس يَعرفون النفاقَ في المنافقين؟

قال: نعم والله، إن كان الرجلُ ليعرفُه من أخيه، ومن أبيه، ومن ابنِه، ومن عمه، ومن عشيرتِه، ثم يلبس بعضُهم بعضًا على ذلك.

ثم قال: لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجلٍ من المنافقين معروفٌ نفاقُه، كان يسيرُ مع النبي ﷺ حيث سارَ، فلما كان بالحِجرِ من أمرِ الماءِ ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حين دعا، فأرسلَ الله سحابةً فأمطَرَت حتى ارتوى الناس؛ أقبلنا عليه نقولُ: ويحَك هل بعد هذا شيء؟!

قال: فقال: سحابةٌ مارَّةٌ، ثم إن رسولَ الله ﷺ خرجَ حتى إذا كان ببعضِ الطريقِ ضلَّت ناقتُه، فخرج في طلبِها أصحابُه، وعند رسولِ الله ﷺ رجل من

(١) أخرجه البزار ١/ ٣٣١ (٢١٤)، والطبري في «تفسيره» ١٢/ ٥٢، وابن خزيمة في «صحيحه» ١/ ٥٢ (١٠١)، وابن حبان ٤/ ٢٢٣ (١٣٨٣).

أصحابِه يُقال له: عُمارة بن حَزمٍ، وكان عقبيًّا بدريًّا، وهو عمُّ بني عمرو بن حزمٍ، وكان في رحلِه زيدُ بن نصيب القينُقَاعي، وكان منافقا.

فقال زيدُ بن نصيبٍ -وهو في رحلِ عمارةَ، وعمارةُ عندَ رسولِ الله -ﷺ: أليس محمدٌ يزعم أنه نبيٌّ، ويخبِرُكم عن خبرِ السماءِ، وهو لا يدري أين ناقتُه؟!

فقال رسول الله عليه السلام -وعمارة عنده-: «**إن رجلًا قال: هذا محمدٌ يخبرُكم أنه نبيٌّ، ويزعُم أنه يخبِرُكم بأمرِ السماءِ، وهو لا يدري أين ناقَته! وإني والله ما أعلمُ إلا ما علمني الله، وقد دلَّني الله عليها، وهي في الوادي من شِعبِ كذا وكذا، قد حبسَتها شجرةٌ بزمامِها، فانطلِقوا حتى تأتوا بها**».

فذهبوا فَجاؤوا بها، فرجع عمارةُ بن حزمٍ إلى رحلِه، فقال: والله لعجبٌ من شيءٍ حدثناه رسولُ الله ﷺ آنفًا عن مقالةِ قائلٍ: أخبره الله عنه كذا وكذا، للذي قال زيدُ بن نصيب، فقال رجلٌ ممن كان في رحلِ عمارة، ولم يحضر رسولَ الله ﷺ: زيدٌ والله قال هذه المَقالة قبل أن تأتي.

قال: فأقبلَ عمارةُ على زيد يجَأُ في عُنقِه ويقول: يالَعِباد الله، إن في رحلي لداهيةٌ وما أدري! اخرُج يا عدوَّ الله من رحلي، فلا تَصحَبني، فزعَمَ بعضُ الناسِ أن زيدًا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناسِ: لم يزل مُصرًّا بشرٍّ حتى هلك[(١)].

٢٢٠- عن محمدِ بن إسحاقَ قال: ولما انتَهى رسولُ الله ﷺ إلى تبوك دعا خالدَ بنَ الوليدِ فبعثَه إلى أُكَيدرَ دومةَ -وهو أكيدرُ بنُ عبدِ الملكِ- رجلٍ من كِندةَ، فكان ملكًا عليها، وكان نصرانيًّا، فقال رسولُ الله ﷺ لخالدٍ: «**إنك ستجدُه يصيدُ**

---

(١) أخرجه الطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٥.

البقرَ» فخرجَ خالدٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتى إذا كان من حِصنِه بمنظرِ العين، في ليلة مقمرةٍ صائفةٍ، وهو على سطحٍ له ومعه امرأتُه، فباتَت البقرةُ تحكُّ بقرونِها بابَ القصرِ، فقالَت له امرأتُه: هل رأيتَ مثل هذا قط؟! قال: لا. قالَت: ومن يترُك هذا؟ قال: لا أحدَ، فنزل فأمرَ بفرسِه فأسرِجَ، وركب نفرٌ معه من أهل بيتِه، فيهم أخٌ له يقال له: حسانُ، فركبَ وخرجوا معه بمطاريدهم، فلما خرجوا تلقَّتهم خيلُ رسول الله ﷺ، فأخذته وقتلوا أخاه حسانًا، وقد كان عليه قبالةٌ من ديباجٍ مخوصٍ بالذهبِ، فاستلبَه خالدٌ فبعث به إلى النبيِّ ﷺ، ثم إن خالدًا أقدمَ بأُكيدرٍ على رسولِ الله ﷺ فحقنَ له دمَه وصالحَه على الجزيةِ، ثم خلى سبيلَه، فرجع إلى قريتِه، فقال رجلٌ من طيِّء يقال له: بجيرُ بن بجرةَ، يذكر قولَ رسولِ الله ﷺ لخالدٍ: «**إنك ستجدُه يصيدُ البقرَ**» وما صنع البقرُ تلك الليلةِ، حتى استخرَجته لتصديقِ قولِ رسولِ الله ﷺ:

تباركَ سائقُ البقراتِ ليلًا ** رأيتُ الله يَهدي كلَّ هادِ
فمَن يكُ جائرًا عن ذي تَبوكٍ ** فإنَّا قد أمِرنا بالجِهادِ[1]

قال الشيخُ: وفي هذه الغزوةِ صرفَ الله عَزَّوَجَلَّ مكيدةَ المنافقين عن رسولِ الله ﷺ، حين همُّوا بتَنفيرِ راحِلتِه إذا صعدَ العَقبةَ؛ ليسقُط منها، فعصمَه الله، وحرسَه من مكيدتِهم.

٢٢١- عن صلة بن زفرٍ قال: قلنا لحذيفةَ: كيف عرفتَ أمرَ المنافقين ولم يعرفْه أحدٌ من أصحابِ رسولِ الله عليه السلام: أبو بكرٍ ولا عمرُ؟

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٣٧)، والطبري في «تاريخه» ٣/ ١٠٨-١٠٩، وابن منده في «معرفة الصحابة» (ص٢٩٣)، وانظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٥٢٦.

قال: إني كنتُ أسيرُ خلف رسولِ الله ﷺ، فنام على راحلتِه، فسمعتُ ناسًا منهم يقولون: لو طرحناه عن راحلتِه فاندقَّت عنقُه، فاسترَحنا منه. فسِرتُ بينه وبينهم، وجعلتُ أقرأُ وأرفعُ صوتي، فانتبَه النبيُّ عليه السلام، فقال: «**مَن هذا؟**» قلت: حذيفةُ. قال: «**من هؤلاء خلفَك؟**» قلت: فلانٌ وفلان، حتى عددتُهم. قال: «**وسمعتَ ما قالوا؟**» قلتُ: نعم؛ ولذلك سرتُ بينك وبينهم. قال: «**فإن هؤلاء فلانٌ وفلان -حتى عدَّ أسماءهم- منافقون، فلا تخبرنَّ أحدًا**»[1].

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٣/ ١٦٥ (٣٠١٥).

(٦٥) ذكر ما جرى من الدلائل في غزوة مؤتة

٢٢٢- عن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: نعى النبيُّ ﷺ جعفرًا وزيدًا. نعاهم قبل أن يجيءَ خبرُهم، وعيناه تذرِفان[1].

(٦٦) وما ذكر في غزوة الطائف

٢٢٣- عن الزهريِّ قال: فلما صدرَ أبو بكر وأقام للناسِ حجَّهم قدم عروةُ بن مسعودٍ على رسولِ الله ﷺ فأسلم، ثم استأذن رسولَ الله ﷺ ليرجعَ إلى قومِه، فقال: «**إني أخافُ أن يقتلوكَ**» قال: لو وجدوني نائمًا ما أيقظوني. فأذن له رسولُ الله ﷺ فرجعَ إلى الطائفِ، فقَدِمَ عِشاءً فجاءَه ثقيفٌ، فخبَّرهم ودعاهم إلى الإسلامِ، ونصحَ لهم، فاتَّهموه وعصَوه وأسمَعوه من الأذى ما لم يكنْ يخشاهم عليه، فخرَجوا من عنده حتى إذا أسحَروا وطلعَ الفجرُ قام على غرفةٍ له في داره فأذنَ بالصلاةِ وتَشَهَّد، فرماه رجلٌ من ثقيفٍ بسهم فقتلَه.

فزعَموا أن رسولَ الله ﷺ حين بلغَه قتلُه قال: «**مَثَلُ عروةَ مثلُ صاحب ياسين دعا قومَه إلى الله فقتَلوه**»[2].

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٠).
(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧/ ١٤٧ (٣٧٤)، والحاكم ٣/ ٧١٣ (٦٥٧٩).

(٦٧) قصة هدمِ بيت العُزَّى

٢٢٤- عن أبي الطُّفيلِ قال: لما فتحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ بعثَ خالدَ بن الوليدِ إلى نخلةَ، وكانت بها العُزَّى، فأتاها خالدٌ وكانت على ثلاثِ سَمُراتٍ، فقطع السَّمرات وهدَمَ البيتَ الذي كان عليها، ثم أتَى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: «**ارجعْ فإنك لم تصنَع شيئا**».

فرجع، فلما نظرَت إليه السدَنةُ -وهم حجبَتُها- أمعنوا في الجبلِ، وهم يقولون: يا عُزَّى خبِّليه، يا عُزَّى عوِّريه.

فأتاها خالدٌ، فإذا امرأةٌ عريانةٌ ناشرةٌ شعرَها تحثو الترابَ على رأسِها، فعمَّمها بالسيفِ حتى قَتَلَها، ثم رجعَ إلى النبي عليه السلام فأخبرهُ، فقال: «**تلك العزى**»[(١)].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٢/ ١٩٦ (٩٠٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» ١٠/ ٢٧٩ (١١٤٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٧٧، والضياء في «الأحاديث المختارة» ٨/ ٢١٩ (٢٥٨).

(٦٨) فصل فيما أخبرَ به ﷺ من الغُيوبِ فتحقق ذلك على ما أخبرَ به في حياتِه، وبعد موتِه، كالإخبارِ عن نموِّ أمرِه وافتتاح الأمصارِ والبُلدان الممصَّرة كالكوفةِ والبصرةِ وبغداد على أمته، والفتن الآتية بعدَه، ورِدَّةُ جماعةٍ ممن شاهدَهُ ورآه ﷺ، وإخبارُه بعددِ الخلفاءِ ومدَّتِهم، والمُلك العَضوضِ بعدهم.

٢٢٥- عن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله زَوى لي الأرضَ، فأُريتُ مشارقَها ومغارِبها، وإن أمتي سيبلُغُ مُلكُها ما زُوِي لي منها، وأعطيتُ الكَنزينِ: الأحمرَ والأبيضَ، وإني سألتُ ربي لأُمَّتي ألا يُهلِكَها بسَنةٍ بعامةٍ، ولا يسلِّطَ عليهم عدوًّا من سِوى أنفسِهم فيستبيح بيضتَهم، وإن ربي قال: إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتُك لأمتك ألا أُهلِكها بسَنةٍ بعامةٍ، ولا أسلطَ عليهم عدوًّا مِن سوى أنفسِهم فيستبيحُ بيضتَهم، ولو اجتمعَ عليهم مَن بين أقطارِها، حتى يكون يُهلِكُ بعضُهم بعضًا».

ثم قال رسولُ الله ﷺ: «إنما أخافُ على أُمتي الأئمةَ المُضلينَ، فإذا وُضِعَ السيفُ في أمتي لم يرجِع عنها إلى يومِ القيامةِ».

وقال: «لا تقومُ الساعةُ حتى يلحَقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تُعبدَ الأوثانُ، وأنه سيكونُ في أمتي ثلاثون كذابًا يزعُمُ أنه نبيٌّ، وأنا خاتمُ النبيين، لا نبيَّ بعدي، ولن تَزالَ طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمرُ الله»[(١)].

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

٢٢٦- عن العباسِ بن عبد المطلبِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يظهرُ الدين حتى يُجاوِزَ البحارَ، وحتى تُخاضَ البحار بالخيلِ في سبيلِ الله، ثم يأتي قومٌ يقرؤون القرآنَ، يقولون: قد قرأنا القرآن، مَن أقرأُ مِنَّا؟ مَن أفقَهُ منا؟ مَن أعلم منَّا؟**» ثم التفتَ إلى أصحابه، فقال: «**هل في أولئك من خيرٍ؟ وأولئك هم وقودُ النارِ**»[(١)].

٢٢٧- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**إنكم مَنصورون، ومفتوحٌ لكم، ومُصيبون، فمن أدرك ذلك منكم فليتقِ الله، وليأمُر بالمعروفِ، ولْيَنه عن المنكرِ، ومن كذب عليَّ متعمدًا؛ ليتبوَّأ مقعده من النارِ**»[(٢)].

٢٢٨- عن عقبةَ بن عامرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «**ستُفتح لكم الأرضُ، وتُكفون المؤنةَ، فلا يَعجِزُ أحدُكم أن يلهو بأسهمِه**»[(٣)].

٢٢٩- عن سفيانَ بن أبي زُهير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**يُفتحُ اليمن فيأتي قوم يَبِسُّون**[(٤)] **فيتحملون بأهاليهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفتحُ الشامُ فيأتي قوم يَبِسُّون فيتحمَّلون بأهاليهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم تُفتحُ العراقُ فيأتي قومٌ يَبِسُّون فيتحملون بأهاليهم ومن أطاعَهم، والمدينةُ خير لهم لو كانوا يَعلمون**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البزار ٤/ ١٤٩ (١٣٢٣)، وأبو يعلى في «مسنده» ١٢/ ٥٦ (٦٦٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٥٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٩١٨).

(٤) (يَبِسُّون): يسوقون دوابهم.

(٥) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨٨).

٢٣٠- عن أبي هريرةَ قال: كنا عند النبيِّ ﷺ إذ نزلت عليه سورة الجُمعةِ فلما قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قيل: من هؤلاء يا رسولَ الله؟ قال: فلم يُراجعْهُ النبيُّ ﷺ حتى سأله مرَّتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمانُ الفارسي، قال: فوضَعَ النبيُّ ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «**لو كان الإيمانُ عند الثُريَّا لناله هذا وأصحابُهُ**»(١).

٢٣١- عن سمرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يوشِكُ أن يَملأ الله أيديَكم من العَجمِ، ثم يجعلُهم أسدًا، لا يفرون فيَقتلون مُقاتلتكم، ويأكلون فَيئكم**»(٢).

٢٣٢- عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا هلكَ كِسرى فلا كسرى بعدَه، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده، والذي نفسي بيده لتُنفقُنَّ كنوزَهما في سبيلِ الله** عَزَّوَجَلَّ»(٣).

٢٣٣- عن جابرِ بن سمرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**عُصَيْبةٌ**(٤) **من المسلمين يفتتحونَ البيتَ الأبيضَ: بيتَ كِسرى وآلِ كسرى**»(٥).

٢٣٤- عن جابرِ بن سمرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تَستَخرِجون كَنزَ الأبيضِ كِسرى وآل كسرى**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).
(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٠٩ (٢٠١٢٣).
(٣) أخرجه البخاري (٣١٢٠)، ومسلم (٢٩١٨).
(٤) (عُصَيْبة) تصغير: عصبة، وهي الجماعة.
(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٢).
(٦) أخرجه أحمد ٣٤/ ٤٠١ (٢٠٨٠٥)، وأصله في البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١).

٢٣٥- عن عبد الله بن بُسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لتُفتحنَّ عليكم أرضُ فارسَ والرومِ، حتى يكثُر الطعامُ، فلا يُذكرُ عليه اسمُ الله**»[(١)].

٢٣٦- عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا مشَت أمَّتي المُطَيْطاء**[(٢)]**، وخَدَمَتها أبناءُ الملوكِ: أبناءُ فارسَ والرومِ، سُلط شرارُهُم على خيارِهم**»[(٣)].

٢٣٧- عن كعبِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ: يقول: «**إذا فُتحَت مصرُ فاستوصوا بالقِبطِ خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا**» يعني: أن أُمَّ إسماعيلَ كانت منهم[(٤)].

٢٣٨- عن أمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أوصى رسولُ الله ﷺ عند وفاته، فقال: «**الله الله في قِبطِ مصرَ، فإنكم ستَظهرونَ عليهم، فيكونون لكم عدةً وأعوانًا في سبيلِ الله**»[(٥)].

عن عَدي بن حاتمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مُثِّلت لي الحيرةُ كأنيابِ الكلابِ، وإنكم ستَفتوحنَها**» فقام رجلٌ، فقال يا رسولَ الله: هب لي بنت بُقَيلة، فقال: «**هي لك**»، قال: فأَعطَوهُ إياها فجاءَ أبوها، فقال: أتبيعُها، قال: نعم، قال: بكم؟ احتكِم ما شئتَ.

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٣٤، والضياء في «الأحاديث المختارة» ٩/ ٩١، ٩٢ (٧٣).
(٢) (المُطَيْطاء): مشية فيها تبختر ومد اليدين.
(٣) أخرجه الترمذي (٢٢٦١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٥٢٥.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/ ٣٦٢ (١٩٣٧٥)، الطبراني في «المعجم الكبير» ١٩/ ٦١ (١١١)، والحاكم ٢/ ٦٠٣ (٤٠٣٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٢٢.
(٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٢٣/ ٢٦٥ (٥٦١).

قال: بألفِ درهمٍ، قال: أخذتُها، قال: لو قلت ثلاثينَ ألفًا! قال: وهل عددٌ أكثرُ من ألف؟[(١)].

٢٣٩- عن عَدي بن حاتمٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أسلِم، فوالله لا تقومُ الساعة حتى تسيرَ الظَّعينةُ من ظعائِنِ المسلمين في غيرِ جوارٍ إلى البيت العتيقِ، والله لا تقومُ الساعةُ حتى تُصابَ كنوز كسرى بن هُرمز فتنفَقَ في سبيل الله**»، قال: قلت كِسرى بن هرمز؟ قال: «**نعم، كِسرى بن هرمز**» ثلاثًا، «**والله لا تقومُ الساعة حتى تُنبذ الفضةُ والذهبُ في الطريقِ فلا يمسها أحدٌ**».

قال عدي: فأنا سرتُ بالظعينةِ من الحِيرةِ إلى البيت العتيقِ في غير جوارٍ، يعني: أنه حجَّ بأهله، وكنت في أولِ خيلٍ أغارت على المدائنِ، والله لتكوننَّ الثالثة، كما كانت هاتان، إنه لحديثُ رسول الله ﷺ إياي[(٢)].

٢٤٠- عن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُؤثِر عن رسولِ الله ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتى تقاتِلوا التُرك: حمرَ الوجوه، صِغارَ العيونِ، ذُلْفَ الأنوفِ[(٣)]، كأن وجوهَهُم المَجَانُّ المُطْرَقَة[(٤)]، ولا تقومُ الساعةُ حتى تقاتِلوا قومًا نِعالُهم الشعرُ**»[(٥)].

٢٤١- عن جابرِ بن سمرةَ، عن نافعِ بن عتبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنت مع النبيِّ ﷺ في غَزاةٍ فأتاه قومٌ من قِبَلِ المغربِ، عليهم ثيابُ الصوفِ، فوافقوه عند أَكَمةٍ،

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٤/ ٤٣٧ (٢٤٩٠)، وابن حبان ١٥/ ٦٥ (٦٦٧٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٠/ ١٩٦ (١٨٢٦٠).

(٣) (ذُلْف): جمع الذَّلَف وهو: قصر الأنف وانبطاحه.

(٤) (وجوههم المَجَانّ المُطْرَقَة) جمع مجن وهو الترس والميم زائدة لأنه من الجنة.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢).

وهم قيامٌ، وهو قاعد، فأتيتُه، فقمت بينهم وبينه، فحفِظتُ منه أربعَ كلماتٍ أعدُّهن في يدي، قال: «**تَغزونَ جزيرةَ العربِ فيفتحُها الله، ثم تغزونَ فارسَ فيفتَحُها الله، ثم تَغزون الرومَ فيفتَحُها الله، ثم تَغزون الدجَّال فيفتَحُه الله**»[(١)].

٢٤٢- عن خَبَّابٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَكَونا إلى رسولِ الله ﷺ وهو مضطجعٌ في بُرد له في ظلِّ الكعبة، فقلنا: ألا تدعو الله لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فجلس مُحمَرٌّ وجهُهُ، ثم قال: «**والله، إن مَن كان قبلَكُم ليُؤخذُ الرجلُ فيُشقُّ باثنين ما يَصرفه عن دينه شيءٌ، ويمشَّط بأمشاطِ الحديدِ ما بين عصَبٍ ولحمٍ ما يصرفُه عن دينه شيءٌ، وليُتمَّن الله هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ منكم من صنعاءَ إلى حضر موتَ، لا يَخشى إلا الله والذئبَ على غنمه**»[(٢)].

٢٤٣- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنَعت العراقُ قَفيزَها ودرهَمها، ومَنَعت الشام مُدْيها ودينارَها، ومَنَعت مصرُ إردبَّها ودينارَها، وعُدتُم من حيث بدأتُم**» ثلاث مرات، أُشهد على ذلك لحمَ أبي هريرة ودمَه[(٣)].

٢٤٤- عن عبدِ الرحمن بن شُماسةَ قال سمعتُ أبا ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «**ستفتحونَ أرضًا يُذكر فيها القِيراطُ**[(٤)]**، فاستوصوا بأهلِها خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا، وإذا رأيت رجلين يقتتلان على موضعِ لِبنة فاخرج منها**» فمرَّ بربيعةَ وعبدِ الرحمن ابنا شُرحبيل بن حسَنة يتنازَعان على موضعِ لبنةٍ، فخرَج منها[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٦).

(٤) (القِيراط): جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٤٣).

٢٤٥- عن أبي يحيى أن جُبيرَ بن نُفيرٍ حدثه، عن عبدِ الله بن حَوالةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إنكم ستكونون أجنادًا مُجندةً، جندًا بالشامِ، وجندًا بالعراقِ، وجندًا باليمنِ، فعليكُم بالشامِ، فإنها صفوةُ الله من بلادِه، وفيها خيرتُه من عبادِه، وفيها يَربِط الله نورَه فمن أبي فلْيَلحَق بيمنِه، ولْيَسق من غُدُرِه، فإن الله قد تكفَّل لي بالشامِ وأهلِه**»[1].

٢٤٦- عن أبي بَكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذَكَرَ رسولُ الله ﷺ أن أرضًا تُسمَّى البصرة أو البُصيرة ينزِلها ناسٌ من المسلمين، فبينما هم كذلك، إذ جاءَهم بنو قَنْطُوراءَ[2]، حتى يَنزِلوا بنهرٍ، يقال له: دِجلة ذي نخلٍ، فيتفرَّق الناسُ عند ذلك لثلاثِ فرقٍ: فأما فرقةٌ فتلحَقُ بأصلها فهَلَكوا، وأما فرقةٌ فتأخذُ على نفسِها وكفروا، وأمَّا فرقةٌ فتقاتِلُهم قتالًا شديدًا، فيفتح الله على بقيَّتهم[3].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٣/ ٤٦٦ (٢٠٣٥٦).

(٢) (بنو قَنْطُوراء) الترك، قيل: نسبوا لأمهم.

(٣) أخرجه أحمد ٣٤/ ٥٥ (٢٠٤١٣).

(٦٩) ومنه إخبارُه ﷺ عن الأمراءِ السوءِ المؤخِّرون الصلاةَ عن مواقيتِها وعن الولاةِ الجَورةِ أصحابِ السياطِ

٢٤٧- عن عبدِ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يا عبدَ الله، سَيَلِي أمورَكم بعدي أمراءُ، يُطفئون السُّنَّةَ، ويُعلنون البدعةَ، ويُؤخِّرون الصلاةَ عن مَواقِيتها**»[(١)].

٢٤٨- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**صِنفان من أهلِ النارِ، لم أرهما: قومٌ معهم سياطٌ كأذنابِ البقر يضرِبون بها الناسَ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مائلات مُميلات، رؤوسهنَّ كأمثالِ أَسْنِمَةِ البُخْتِ[(٢)] المائلة، لا يدخُلن الجنةَ، ولا يجِدنَ ريحَها، وإن ريحَها لتوجدُ من كذا وكذا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٨٦٥)، وأصله في مسلم (٥٣٤).

(٢) (رؤوسهن كأمثال أَسْنِمَةِ البُخْتِ) أي: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو نحوها.

(٣) أخرجه مسلم (٢١٢٨).

(٧٠) وأما إخباره ﷺ عن وقوع الفتن الكائنة بعده فإنها كثيرةٌ واسعةٌ اقتصرنا على القليلِ منها، فمنها ما أخبرَ بوقوعها بالمدينة

٢٤٩- عن أسامةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أشرفَ النبيُّ ﷺ على أُطْمٍ[(١)] من آطام المدينة فقال: «**هل ترون ما أرى؟ إني لأَرى الفِتن تقع خلالَ بيوتِكم كمواقِعِ القَطْرِ**»[(٢)].

٢٥٠- عن كُرزِ بن علقمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألَ رجلٌ رسولَ الله ﷺ هل للإسلامِ من منتهى؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**نعم، أيُّما أهل بيتٍ من العربِ أو العجَم أرادَ الله بهم خيرًا، أدخلَ عليهم الإسلامَ**» قال: ثمَّ مه يا رسول الله؟ قال: «**ثم تقعُ الفتنُ كأنها الظُّلَلُ**».

فقال له الرجلُ: كلا والله، إن شاءَ الله يا رسولَ الله، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**والذي نَفسي بيدِه، لتعودُنَّ فيها أساودَ صُبًّا[(٣)]، يَضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[(٤)].

٢٥١- عن أمِّ حبيبةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُريتُ ما تَلقى أمَّتي من بعدي، وسَفْك بعضِهم دماءَ بعض، وكان ذلك سابقًا من الله عَزَّوَجَلَّ، فسألتُه أن يُولِيَني شفاعةً فيهم يومَ القيامةِ ففعلَ**»[(٥)].

---

(١) (على أُطْم): الحصون التي تبنى بالحجارة.
(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٨)، ومسلم (٢٨٨٥).
(٣) (أَساوِد صُبًّا) الأسود أخبث الحيات وأعظمها، وإذا أراد أن ينهش ارتفع ثم انصب على الملدوغ.
(٤) أخرجه أحمد ٢٥/ ٢٥٩ (١٥٩١٧).
(٥) أخرجه أحمد ٤٥/ ٣٩٩ (٢٧٤١٠).

٢٥٢- عن النُّعمانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صحِبنا رسولَ الله ﷺ وسمعناه يقولُ: «**إن بين يَدي الساعةِ فِتنًا، كأنها قطعُ الليل يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبحُ كافرًا، يَبيعُ أقوامٌ أخلاقَهم في عرَضٍ -أو بعرضٍ- من الدنيا يسيرٍ**»[(١)].

٢٥٣- عن أبي بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ليَرِدنَ عليَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابي، حتى إذا رُفِعوا إليَّ اختُلِجوا دوني، فأقولُ: ربي أصحابي، فيُقالُ: إنك لا تَدري ما أحدَثوا بعدَك**»[(٢)].

٢٥٤- عن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسولَ الله، بلغني أنك تقولُ: «**إن قومًا من أمَّتي سيكفُرون بعد إيمانِهم**»، قال: «**أجل يا أبا الدرداءِ، ولستَ منهم**»[(٣)].

٢٥٥- عن سعيدِ بن جُمهان، حدثني سَفينةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسولِ الله ﷺ قال: خَطبَنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**الخلافةُ في أمتي ثلاثون سنةً، ثم تكون مُلكًا**».

ثم قال سفينة: أمسِكْ: خلافة أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اثنتا عشرةَ سنة وستةُ أشهرٍ، وخلافة عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثنتا عشرة سنةً، ثم خلافة عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تكملةُ الثلاثين، قلت: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ قال: كان أولَّ الملوكِ[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد ٣٠/ ٣٥٣ (١٨٤٠٤).

(٢) أخرجه أحمد ٣٤/ ١٣٣ (٢٠٤٩٤)، وهو في البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤) من حديث أنس.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ١/ ١٢٩ (١٤١)، والبزار ١٠/ ٤٩ (٤١١٢)، والطبراني في «الكبير» ١/ ٨٩ (١٣٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٤٠٣.

(٤) أخرجه الطيالسي (١٢٠٣)، وأبو داود (٤٦٤٦)، والترمذي (٢٢٢٦).

٢٥٦- عن عبدِ الرحمن بن أبي بَكرةَ، عن أبي بكرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: وفَدنا إلى معاويةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع زيادٍ، ومعنا أبو بكرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فدَخلنا عليه، فقال له معاويةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حدِّثنا حديثًا سمعتَه من رسولِ الله ﷺ عسى الله أن ينفعنا به.

قال: نعم، كان نبيُّ الله ﷺ يُعجبه الرؤيا الصالحةُ، ويسأل عنها، فقال رجل: يا رسولَ الله إني رأيتُ رؤيا، كأن ميزانًا دُلِّي من السماءِ، فوُزنت أنت وأبو بكرٍ فرجحتَ بأبي بكرٍ، ثم وزِن أبو بكر بعمرَ فوَزن أبو بكر عمرَ، ثم وُزنَ عمرُ بعثمان فَرَجح عمرُ بعثمانَ، ثم رُفعَ الميزان، فاستاء لها رسولُ الله ﷺ، ثم قال: خلافةُ نبوةٍ، ثم يؤتِي الله المُلك من شاءَ، فغضِب معاويةُ، فزَخَّ في أقفائِنا فأخرَجنا.

فقال زيادٌ لأبي بكرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما وجدتَ من حديثِ رسولِ الله ﷺ حديثًا تُحدثه غيرَ هذا؟ قال: والله لا أُحدثه إلا به حتى أفارقَه، فلم يَزَل زيادٌ يطلبُ الإذنَ حتى أذن لنا، فدخلنا، فقال معاويةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يا أبا بكرةَ حَدثنا بحديثِ رسول الله ﷺ لعلَّ الله أن ينفعنا به.

قال: فحدثتُه آخرُ مثلَ حديثه الأول.

فقال له معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا أبا لك، تُخبرنا أنا مُلوك، فقد رَضينا أن نكون ملوكًا[(١)].

قال الشيخُ -حرسه الله-: ورَفعُ الميزان بعد وزنِ الثلاثةِ، يدلُّ على رفع اعتدالِ الأحوال وزوالها في الاستواءِ بما حدثَ من الفتن بقتلِ عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وتشتُّتِ الكلمِ، وليس ذلك بقادحٍ في خلافةِ عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولا إمامتِه، إذ موجب

---

(١) أخرجه أحمد ٣٤/ ١٤٠ (٢٠٥٠٣)، وأبو داود (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧).

الخلافة استحقاقُ خصالها وشرائِطها لا الرغبة، وارتفاعُ الفتن، ثم إنْ وَقَعَ اختلالٌ والتباسٌ في الأمرِ فعلى الإمام أن يجتهدَ في إزالته بما يقتضيه حكمُ الشريعةِ، فإن استقامَ فهو الغرضُ المقصود والأمرُ المحمود، وإن امتنعت استقامتُه وتعذَّرَ، فعلى الله حسابُ المعتدين والمخالِفين.

ونظيرُ هذا الحديث تَسبيحُ الحصا في يد النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، ثم لم يُسمَع لها تسبيحٌ، فهو أيضًا دليلٌ على وقوعِ الفتن، وتغير الأمورِ بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وليس ذلك من استحقاقِ الخلافة وسقوطِها في شيء، والله أعلم.

٢٥٧- عن سماكِ بن حربٍ قال: سمعتُ جابرَ بنَ سَمُرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يخطبُ يقول: «**إن الإسلامَ لا يزالُ عزيزًا إلى اثني عَشرةَ خليفةٍ**» ثم قال كلمةً لم أحفظها، فقلتُ لأبي: ما قال؟ فقالَ: «**كلُّهم من قريشٍ**»[1].

٢٥٨- عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: خرج النبيُّ ﷺ إلى حائط من حوائط المدينةِ لحاجتِه، فخرجتُ في أثَره وهو مُتدَلٍ القفَّ، وقال: ثم جاء عثمانُ، فقلت: كما أنت، حتى استأذنَ النبيَّ ﷺ لك، فقال: «**ائذَن له، وبشِّره بالجنةِ مع بلاءٍ يصيبُه**»[2].

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٢)، ومسلم (١٨٢١).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

٢٥٩- عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يا عثمانُ، إنه لعل الله أن يُقمِّصَّك قميصًا، فإن أرادوك على خَلعِه، فلا تخلَعه**» ثلاثَ مراتٍ، قال: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله؛ تقولُها ثلاثًا؟![١].

٢٦٠- عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صعدَ النبيُّ ﷺ أحدًا ومعه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ فرجف بهم، فقال: «**اثبُت أحُد فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشَهيدان**»[٢].

٢٦١- عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من كذبَ عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعدَه من النارِ**»، وأشهدُ أنه كان مما يُسرُّه إليَّ رسول الله ﷺ: «**لتُخَضَّبن هذه من هذا**» يعني: لحيتَه من رأسِه[٣].

٢٦٢- عن عمَّارِ بن ياسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أنا وعليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفيقين في غزوةِ العشيرةِ، فنزلنا منزلًا فعمِدنا إلى صَورٍ من النخلِ[٤] فنمنا تحته في دَقْعَاء[٥] من الترابِ، فما أيقظَنا إلا رسول الله ﷺ، فأتى عليًّا فغمزه برِجله، وقد تترَّبنا في ذاك التُّراب، فقال: «**قم، ألا أخبرُك بأشقى الناسِ؟ أُحيمرُ ثمودَ عاقرُ الناقة، والذي يضربُك على هذا**» وأشارَ إلى قَرنِه «**وتَبْتَلَّ هذه منها**» وأخذ بلحيته[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠٥)، وابن ماجه (١١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٥).

(٣) أخرجه أحمد ٢/ ١٨٢ (٨٠٢).

(٤) (صَورٍ من النخلِ) الصور: الجماعة من النخل.

(٥) (الدَّقْعَاء): التراب.

(٦) أخرجه أحمد ٣٠/ ٢٥٦ (١٨٣٢١).

(٧١) ذكرُ إخبارِه ﷺ بإصلاحِ الله بالحسنِ بين فئتين وما كان منه مع معاويةَ وحقنِ دماءِ المسلمين

٢٦٣- عن أبي بكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسولُ الله ﷺ: «**إن ابني هذا سيِّدٌ، لعلَّ الله تعالى أن يُصلحَ به بين فئتين من المسلمينَ عظيمتين**»[(١)].

(٧٢) ذكر خبر في ذي الثُّدَيةِ، وَصَفَه رسولُ الله ﷺ بصفة لقبِه

٢٦٤- عن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ يقسم قسمًا، فقال له ذو الخويصِرة التميمي: يا رسولَ الله، اعدل، قال: «**ويحَكَ؟ فمن يعدِل إذا لم أعدِل؟!**» فقام عمرُ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسولَ الله، ائذن لي حتى أضربَ عنقَهُ.

فقال النبيُّ ﷺ: «**لا، إن له أصحابًا يحقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِه، وصيامَه مع صيامِه، يَمرُقون من الدين مُروقَ السهمِ من الرمِيَّةِ، حتى إن أحدهُم لينظرُ إلى نصلِه فلا يَجد فيه شيئًا، ثم ينظرُ إلى نَضِيِّه[(٢)] فلا يجد فيه شيئًا، ثم ينظر على قُذذِه[(٣)] فلا يجد فيه شيئًا، يسبقُ الفرْثَ والدمَ، يَخرجون على خيرِ فرقةٍ من الناسِ، منهم رجل مُخدَّجٌ[(٤)]، إحدى يديه مثل ثَديِ المرأةِ، أو البَضعة[(٥)] تَدَردَرُ[(٦)]**».

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) (نَضِيِّه) أي: عود السهم قبل أن يراش وينصل.

(٣) (قُذذِه) جمع قذة وهي ريش السهم.

(٤) (مُخدَّج) أي: ناقص الخلق.

(٥) (بَضْعَة) أي: قطعة لحم.

(٦) (تَدَردَر) أي: تضطرب.

قال أبو سعيدٍ: أشهدُ لَسمعتُ هذا من رسولِ الله ﷺ، وأشهدُ أني كنت مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قاتَلَهم، فأرسلَ في القتلى، فأُتِيَ به على النعتِ الذي نعتَ رسولُ الله ﷺ[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

(٧٣) ذكر إعلامه ﷺ عمار بن ياسر أنه مقتول بين صفين، وأن الفئة الباغية تقتله، وأن آخر شراب يشربه ضياح لبن

٢٦٥- عن حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبيَّ ﷺ -وضربَ جنبَ عمار- فقال: «**إنك لن تموتَ حتى تَقتلَك الفئةُ الباغية عن الحقِّ، يكون آخرَ زادك من الدنيا شربةٌ من لبن**»[(١)].

(٧٤) ذكر أخباره ﷺ عن مسيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى الحرة

٢٦٦- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما أتت على الحَوْأَبِ سمعت نُباحَ الكلاب، فقالت: ما أظنني إلا راجعةً، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**أيَّتُكن تنبحُ عليها كلابُ الحَوْأَبِ**[(٢)]؟»، فقال لها الزبيرُ بن العوامِ: لا تَرجعين عسى الله أن يُصلحَ بك بين الناسِ[(٣)].

(٧٥) إخبارُه ﷺ عن المختارِ بن أبي عبيدٍ والحجّاج بأوصافِهما لا بأسمائهما

٢٦٧- عن أبي نوفلَ بن أبي عقربٍ، عن أسماءَ بنتِ أبي بكر أنها قالت للحجاجِ: أما إن رسولَ الله ﷺ حدثنا أن في ثقيفٍ كذابًا ومُبِيرًا[(٤)]، فأما الكذابُ فقد رأيناه، وأما المُبيرُ فلا إخالُك إلا إياه[(٥)].

---

(١) أخرجه البزار ٧/ ٣٥١ (٢٩٤٨)، والطبري في «تاريخه» ٥/ ٣٨-٣٩، والحاكم ٢/ ١٦٢ (٢٦٥٢).

(٢) (الحَوْأَب) منزل بين مكة والبصرة.

(٣) أخرجه أحمد ٤٠/ ٢٩٨ (٢٤٢٥٤).

(٤) قوله: (مُبِيرًا) أي: مهلك، يسرف في إهلاك الناس.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٤٥).

(٧٦) إخبارُه ﷺ بموت النجاشي

٢٦٨- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ نَعى النجاشيَّ في اليوم الذي ماتَ فيه، خَرَجَ إلى المُصلَّى، فصف بهم، وكبر أربعًا[(١)].

(٧٧) ما أخبرَ به ﷺ عن مدةِ عبد الله بن بُسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

٢٦٩- عن عبدِ الله بن بسرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبيَّ ﷺ وضع يده على رأسِه، وقال: «**يَعيشُ هذا الغلامُ قرنًا**» قال: فعاش مئةَ سنة، وكان في وجهه ثُؤْلُولٌ[(٢)]، فقال: «**لا يموتُ، حتى يذهبَ هذا الثؤلولُ من وجهه**»، فلم يمت حتى ذهب الثؤلولُ من وجهِه[(٣)].

(٧٨) قولُه ﷺ للأنصار: «ستلقَون بعدي أثَرةً»

٢٧٠- عن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دعا رسولُ الله ﷺ الأنصارَ ليقطَع لهم مالَ البحرين، فقالوا: لا والله، حتى تَقطَع لإخوانِنا من قريشٍ مثلَها، فقال: «**إنكم ستَرَون بعدي أَثَرةً، فاصبروا حتى تلقَوني على الحوضِ**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٥)، ومسلم (٩٥١).

(٢) (الثُّؤْلُول): هو الخراج التي تظهر على الجلد قدر الحمصة فما دون.

(٣) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» ٢/ ١٧ (٨٣٦)، والحاكم ٤/ ٥٤٥ (٨٥٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٥٠٣.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٦٣)، ومسلم (١٨٤٥).

(٧٩) إخباره ﷺ عن شهادة أُمِّ حرامٍ الأنصارية

٢٧١- عن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا ذهبَ إلى قباء، يدخلُ على أم حَرام بنت مِلحان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فتطعمُه، وكانت أُمُّ حرامٍ تحت عبادةَ بن الصامتِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فدخل عليها رسولُ الله ﷺ يومًا فأطعمتهُ، وجلست تَفلي رأسَه، فنامَ رسولُ الله ﷺ، ثم استيقَظَ وهو يضحكُ، فقالت: ما يُضحِكُك يا رسول الله؟

فقال: «**أُناس من أمتي عُرِضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله، يَركبون ثَبَجَ**[1] **هذا البحرِ، ملوكٌ على الأسِرَّةِ**» أو «**مثلُ الملوك على الأسِرَّة**».

قالت: فقلت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يَجعَلني منهم، فدعا لها، ثم وضعَ رأسَه فنام، ثم استيقَظَ وهو يضحكُ، فقلت: ما يُضحكُك يا رسول الله؟

فقال: «**ناسٌ من أمتي عُرِضوا علي غُزاةً في سبيلِ الله، ملوكٌ على الأسِرَّة**»، أو «**مثلُ الملوك على الأسرة**»، كما قال في الأولى.

فقلت: يا رسولَ الله، ادعُ الله أن يَجعلَني منهم.

قال: «**أنت من الأوَّلين**».

قال: فركِبَت أمُّ حرام البحرَ في زمن معاويةَ، فصُرعت عن دابَّتِها حين خرجت من البحرِ فماتتْ[2].

---

(١) (يركبون ثَبَجَ هذا البحر): الثَّبَج: ظهر الشيء.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢).

(٨٠) ما أخبرَ النبيُّ ﷺ من إطْلاعِ الله تعالى إياه على كتاب حاطبِ بن أبي بَلتعة

٢٧٢- قال ابنُ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قال عمرُ بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: كتبَ حاطبُ بن أبي بلتعةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى مكةَ، وأَطلعَ الله عليه نبيَّه عليه السلام، فبعث عليًّا والزبيرَ بن العوامِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في أَثَر الكتاب، فأدركا امرأةً على بعيرٍ، فاستخرجاه من قَرنٍ من قرونها، فأتيا به النبيَّ عليه السلام فقُرِئ عليه.

فأرسلَ إلى حاطب بن أبي بلتعةَ: «**أنت كَتَبتَ هذا؟**»

قال: نعم، يا رسولَ الله.

قال: «**ما حَمَلَك على ذلك؟**»

قال: يا رسول الله، والله إني لناصحٌ لله ولِرسولِه، ولكني كنت غريبًا في أهلِ مكةَ، وكان أهلُ بيتي بين ظَهرانِيهم، فخَشيتُ عليهم، وكتبت كتابًا لا يضرُّ الله ورسولَه شيئًا، وعسى أن يكون منفعةً لأهلي.

قال عمرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: فاخترَطتُ سيفي، فقلت: يا رسولَ الله، أمكِنِّي من حاطبٍ، فإنه قد كَفَرَ؛ فأضرِب عنقه.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**يا ابنَ الخطابِ، ما يُدريك لعلَّ الله اطَّلَع إلى هذه العصابةِ من أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غَفرتُ لكم**»[(١)].

---

(١) أخرجه البزار ١/٣٠٨ (١٩٧)، والطبراني في «الأوسط» ٣/١١٢ (٢٦٤٧)، والحاكم ٤/٨٧ (٦٩٦٦). وأصله في البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٨١) إخبارُه ﷺ عن إفاضةِ الدنيا والمالِ على أصحابه من بعدِه

٢٧٣- عن محمدِ بن كعبٍ القُرظي قال: دُعي عبدُ الله بن يزيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى طعامٍ، فلما جاء رأى البيتَ منجَّدًا، فقعد خارجًا وبكى فقيل له: ما يُبكيك؟

قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا شيَّع جيشًا، فبلغ معهم عقبة الوداعِ قال: «**أستودعُ الله دينكم وأمانَتكم وخواتيمَ أعمالِكم**».

قال: فرأى رجلًا ذات يومٍ قد رقَّع بُردة له بقطعةِ فروة، استقبل مطلِع الشمسِ، ثم قال: «**تطالَعَت عليكم الدنيا – ثلاثًا - يغدو أحدُكم في حُلَّة، ويروحُ في أخرى، وتَسترون بيوتَكم كما تُسترُ الكعبة؟**»

قال عبد الله: فلا أبكي، وقد رأيتُكم تسترون بيوتكم كما تسترُ الكعبة[(١)]!

(٨٢) ما أخبرَ عن العَنسي ومُسيلمة بما أُري في النومِ

٢٧٤- عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ، وفي يدي سِوارَين من ذهبٍ، فأهمني شأنُهما، فأوحي إليَّ في المنامِ أن انفُخهُما، فنفختُهما فطارا، فأوَّلتُهما كذَّابَين يخرجان بعدي**». فكان أحدُهما العنسيُّ والآخرُ مُسيلمة صاحب اليمامةِ[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٠٩٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» ٩/ ١٨٩ (١٠٢٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» ٧/ ٤٤٣، والحاكم ٢/ ١٠٧ (٢٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤).

(٨٣) إخباره ﷺ قريشا أنه بعث إليهم بالذبح فأشار إلى وقائعه بهم بيده وغيره

٢٧٥- عن عمرِو بن العاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ما رأيتُ قريشًا أرادوا قتلَ النبيِّ ﷺ، إلا يومًا ائتمروا به، وهم جلوسٌ في ظلِّ الكعبة، ورسولُ الله ﷺ يُصلي عند المقامِ، فقام إليه عقبةُ بن أبي مُعيط، فجعل رداءه في عنُقه، ثم جذبه حتى وجبَ لرُكبَتَيه ساقطًا، وتصايحَ الناسُ، فظنوا أنه مقتولٌ، وأقبل أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يشتدُّ، حتى أخذ بِضبعَيْ رسول الله ﷺ من ورائه، وهو يقول: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]؟

ثم انصرفوا عن النبيِّ ﷺ، فقام رسولُ الله ﷺ فصلى، فلما قَضى صلاتَه، مر بهم وهم جلوسٌ في ظِلِّ الكعبةِ، فقال يا معشر قريش: «**أما والذي نفسي بيدِه، ما أُرسِلت إليكم إلا بالذبحِ**»، وأشار بيده على حلقِه.

فقال له أبو جهل: يا محمدُ، ما كنت جهولًا؛ فقال له النبيُّ ﷺ: «**أنتَ مِنهُم**»[١].

(١) أخرجه أحمد ١١/ ٦٠٩ (٧٠٣٦).

(٨٤) وقد رُوِيَت أخبارٌ في هدمِ الكعبةِ وصفةِ هادِمِها

٢٧٦- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يُخَرِّب الكعبةَ ذو السُّوَيْقَتَين**[(١)] **من الحبشةِ**»[(٢)].

قال الشيخُ -أسعده الله-: هذا الحديثُ في نظائِرِه يحتجُّ على نبوته، ويحتجُّ بها على من آمَنَ بالرسولِ، دون من يَحتاجُ على إقامةِ الدلالة على نبوتِه.

---

(١) (ذو السُّوَيْقَتَين) تثنية سُوَيْقَة، وهي تصغير ساق، أي: له ساقان دقيقان.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٨٥) ومن إخبارِه ﷺ بالغيوبِ عن ضمائرِ أقوامٍ

٢٧٧- عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ من الأنصارِ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله، كلماتٌ أسألك عنهن فعلِّمنيهن؟

قال: «**إن شئت أخبرتُك عما جئت تسألُ، وإن شئتَ سألتني فأخبرتُك**».

قال: لا، بل يا نبيَّ الله أخبرني عما جئتُ أسألك.

قال: «**جئتَ تسألُني عن الحاجِّ ما له حين يخرُج من بيته؟ وما له حين يقفُ بعرَفات؟ وما له حين يرمي الجِمار؟ وما له حين يحلِقُ رأسه؟ وما له حين يقضي آخرَ طوافه بالبيت؟**»

قال: يا نبي الله، والذي بعثَك بالحقِّ ما أخطأتَ مما كان في نفسي شيئًا.

قال: «**فإن له حين يخرجُ من بيته: أن راحلتَه لا تَخطو خُطوةً إلا كُتبت له بها حسنةٌ، أو حُطَّت عنه بها خطيئةٌ، فإذا وقف بعرفاتٍ فإن الله تعالى يقولُ للملائكة: انظروا إلى عبادي شُعثًا غبرًا، اشهدوا أني قد غفرتُ لهم ذنوبَهم، وإن كانت عددَ قطرِ السماءِ، ورملِ عالِجٍ، وإذا رمى الجمارَ فإن أحدًا لا يَدري ما له حتى يتوفَّاه الله يوم القيامةِ وإذا حلق رأسهُ، فله بكل شعرةٍ سقطت من شعره نورٌ يوم القيامةِ، وإذا قضى آخر طوافِه خرج من ذنوبِه كيومِ ولدته أمه**»(١).

(١) أخرجه ابن حبان ٥/ ٢٠٦ (١٨٨٧)، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٤٢٥ (١٣٥٦٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٢٩٣.

(٨٦) ذِكرُ إخبارِه ﷺ بأسرعِ نسائه لحوقًا به بعد مَوته

٢٧٨- عن عائشةَ أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبيُّ ﷺ: «**أسرعُكن لحاقًا بي أطولُكن يدًا**».

قالت: فكن يتطاوَلن أيتهنَّ أطولُ يدًا، فكانت أطولُنا يدًا زينب؛ لأنها كانت تَعمَل بيدِها وتصدَّق[1].

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٠)، ومسلم (٢٤٥٢).

(٨٧) ذِكرُ إخبارِه ﷺ فاطمةَ عليها السلام أنها أوَّلُ من يَلحقُ به بعد موته

٢٧٩- عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قالت: أقبلت فاطمةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا تمشي كأن مِشيتَها مشيةُ رسولِ الله ﷺ فقال: «**مرحبًا بابنَتي**».

فأجلَسها على يَمينه، ثم أسرَّ إليها حديثًا فبَكت. فقلت لها: استخصَّك رسولُ الله ﷺ ثم تَبكين؟ ثم أسر إليها حديثًا فضحِكت.

فقلت: ما رأيت كاليومِ فرحًا أقربَ من حزن، فسألتها عما قال.

فقالت: ما كنت لأُفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ، حتى قبِض، فسألتها فقالت: أسرَّ إلي قال: «**إن جبريلَ عليه السلام كان يُعارِضني بالقرآنِ كل سنة مرةً، وإنه عارَضني العامَ مرتين، ولا أُراهُ إلا قد حَضَرَ أجَلي، وإنك أول أهلي لحاقًا بي، ونعم السلفُ أنا لك**».

فبكيت لذلك، ثم قال: «**ألا تَرضين أن تكوني سيدةَ نساءِ الأمةِ، أو نساءِ المؤمنين؟**» فضحِكتُ[(١)].

قال الشيخ -أسعده الله-: وجه الدلالةِ في إخبارِه ﷺ عن الغيوبِ على صحة نبوتِه وثبوتِ رسالته، أن مولدَهُ ومنشأهُ في قومٍ أمِّيين، لم يتَعاطَوا علمًا بالنجومِ، ولا حكمًا بالطوالعِ والكواكبِ حسب ما يَستنبطُ المنجمون، ولا عُرِفَ وهو يَطلبُ شيئا من ذلك في بلدِه وأسفارِه، وكانت الكهانةُ بطلت بمبعثِه ﷺ، فلم يكن إخبارُه ﷺ بالغيوبِ إلا بوحي يأتيه به جبريلُ عليه السلام عن الله تعالى، ولو كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

في قومِه وبلده المنجمون والمستنبطون فلم يُخالِطهم، ولا عُرِفَ بالأخذِ عنهم، وأخبر بما أخبرَ من الغيوبِ لكان ذلك دلالة على نبوتِه ومعجزة له، وإذا خفيَ ذلك على عشيرتِه وخلطائِه لمفارقة ذلك العادات، وليس بجائزٍ أن يكون إخبارُه مأخوذًا عن الشياطين مع ما جاءَ من سبِّهم ولعنِهم، فثبت بهذا أن الأخذَ فيما أخبرَ به من الغيوبِ عن الله تعالى.

وأما ما اعتَرَضَ به بعض الملحدةِ والكفرة فإنه لم يأت بآيةٍ قاطعةٍ مُحتجًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩] مما أشبهَهُ من الآي، فكيف وقد وَردَ القرآن بقوله: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر:١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِ﴾ [الجن:٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ... فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: ١٣-٢٤]، وقوله تعالى لليهودِ: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا﴾ [الجمعة:٦-٧]، وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٩]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٩٧﴾ [الشعراء:١٩٧]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٣٣﴾ [طه:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:١-٣]، الآية وما في معناها من الآي.

وإنما مُنعوا الآي التي يَقترحونها على النبيِّ ﷺ بأن تأتيهم الملائكة عيانًا فيقولون: ﴿لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ [الحِجر:٧] فأنزل الله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ [الحِجر:٨]، وقوله:

﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ [الفرقان:٧-٨] وما في معناه فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١].

فكان النبيُّ عليه السلام يُعرفهم إنما الآيات عندَ الله، ولا يُرسلها إلا بما يَعلمُ فيه من الصلاحِ، وأن شهوات الكفارِ والجهالِ لا نهايةَ لها، وفيما أنزلتُه من الكتابِ المنبئِ عن الغيوبِ كفايةٌ مع ما كان الله تعالى يُظهرُه عليه من الآيات سفرًا وحضرًا، واستفاضَت الأخبارُ به بنقلِ الأمناء العدولِ من جهات كثيرةٍ مختلفةٍ يستحيلُ فيها مع مُضِيِّ السنين وتَطاولِ المدة واختلافِ هممِ النقلةِ ودواعيهم التواطؤ عليها، وحَصلت بحمد الله تعالى الدلائلُ خاصًّا وعامًّا.

والقرآن هو الحجةُ الباقيةُ بقاءَ الدهرِ التي عجزت العربُ مع فصاحتِهم وبلاغتِهم عن معارضتِه، فخاطروا بنفوسهم وأموالهم وأولادِهم لعجزِهم عن معارضتِه مع ما يَرجعون إليه من العقولِ الراجحةِ والأَنَفةِ الكاملةِ، فليس يخلو تَركُهم معارضته من أحد أمرين، إما عجزًا عنها أو قدرة عليها، فإن كان عجزًا فهو ما نقولُه، وإن كانوا قادرين على معارضتِه فلم يُعارضوا لصرفٍ صرَفهم الله عنها فهو أيضًا معجزةٌ، كما لو أن مدعيًا ادعى النبوةَ، فقال: إنكم لو أردتُم الكلامَ يومكم هذا لم يُمكِنُكم، فلم يُمكِنهم الكلام، كان ذلك معجزةً له، وآية للصرفةِ التي صرفَهُم الله تعالى عن النطقِ والكلامِ، وقد كان أمره ﷺ في الانتفاءِ عن علم الغيبِ وتعرية من ادعائه ظاهرًا منتشرًا، وأنه لا يعلمُ منه إلا ما علمه الله تعالى وأنبأه.

(٨٨) فصل في ذِكرِ ما ظهرَ لأصحابِه ﷺ في حياتِه

٢٨٠- عن يحيى بن جَعدة عن جدتِه قالت: جاءت أم مالكٍ الأنصارية بعُكَّة سمنٍ إلى رسولِ الله ﷺ، فأمر رسولُ الله ﷺ بلالًا فعَصَرَها ثم دفعَها إليها فرَجعت فإذا هي مملوءة، فأتت النبي ﷺ فقالت: نزل فيَّ شيء يا رسولَ الله؟

قال: «**وما ذاك يا أُمَّ مالك؟**»

قالت: رددت عليَّ هديتي، قال: فدعا بلالًا فسأله عن ذلك، فقال: والذي بعثَك بالحقِّ لقد عصرتُها حتى استَحييتُ.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**هنيئًا لك يا أمَّ مالك، هذه بركةٌ عجَّل الله لك ثوابَها**»[(١)].

٢٨١- عنِ البراءِ بنِ عازبٍ أن رجلًا كان يقرأُ سورةَ الكهفِ وإلى جانبِه فرسٌ مربوطٌ بشطنين فتَغشَّتْه سحابةٌ فجعلت تدورُ وتدنو، وجعلَ فرسُه ينفرُ منها، فلما أصبحَ ذكرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**»[(٢)].

٢٨٢- عن أنسٍ أن أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ وعبادَ بن بِشرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كانا عند رسولِ الله ﷺ في ليلةٍ ظلماءَ حندسٍ، فخرجا من عندِه فأضاءَت عصا أحدُهما مثل السراجِ فمشَيا في ضوئِها حتى إذا تفرَّقا إلى منازلِهما أضاءَتْ عصا الآخَر[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٦/ ٤٨٩ (٣٢٤١٩)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ٦/ ١٧٧ (٣٤٠٥)، والطبراني في «الكبير» ٢٥/ ١٤٥ (٣٥١)، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٢٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٣٩)، ومسلم (٧٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٨٠٥).

٢٨٣- عن مُطرفِ بنِ عبدِ الله قال: قال لي عِمرانُ بنُ حُصَيْن: إنه كان يُسلَّم عليَّ، فلمَّا اكتَوَيْت انقطعَ التسليمُ، فقلتُ له: أمِنْ قِبَل رأسِكَ كان يَأتيك التسليمُ أو من قِبَل رِجلَيْك؟ قال: لا، بل من قِبَل رأسي. فقلتُ: فإني لا أَرَى أن تَموت حتَّى يعودَ ذلك. فلما كان بعدُ قال لي: أشعرت أن التسليمَ عاد لي، ثُم لم يَلبَثْ إلَّا يسيرًا حتى ماتَ(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٢٦).

(٨٩) فصل فيما وقعَ من الآيات بوفاتِه

٢٨٤- عن عائشةَ قالت: لما أرادوا غسلَ رسولِ الله ﷺ اختلَفوا فيه فقالوا: والله ما ندري أنُجرِّدُ رسولَ الله من ثيابِه كما نجردُ موتانا أو نغسِّلُه وعليه ثيابُه؟ قالَت: فلما اختَلفوا ألقى الله تعالى عليهم النومَ حتى ما مِنهم رجلٌ إلا ذقنُه في صدرِه، ثم كلمَهم مكلِّمٌ من ناحيةِ البيتِ لا يدرون من هو: أن اغسِلوا النبيَّ عليه السلام وعليه ثيابُه. قال: فقاموا إلى رسولِ الله ﷺ فغَسلوه وعليه قميصُه، يصبُّون الماءَ فوقَ القميصِ ويدلِّكونَه والقميصُ دون أيديهم[(١)].

٢٨٥- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**ما من نبي إلا تُقبضُ نفسُه فيرى الثوابَ، ثم تُردُّ إليه فيخيَّر بين أن يُردَّ أو يَلحَق**» فكنت قد حفِظتُ ذلك منه، وإني لُمسندتُه إلى صدري فنظرتُ إليه حتى مالت عُنُقه، فقلت: قد قَضى!

فعرفت الذي قال، فنظرتُ إليه حتى ارتفَعَ ونظرَ فقلت: إذن والله لا تَختارُنا.

فقال: «**مع الرفيقِ الأعلى في الجنة** ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩]»[(٢)].

٢٨٦- عن أَوسِ بن أَوسٍ الثقفيِّ عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُم يَوْمُ الجُمُعَةِ، فيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفيهِ قُبِضَ، وفيهِ النَّفْخةُ، وفيهِ الصَّعْقةُ فَأَكْثِروا**

---

(١) أخرجه أبو داود (٣١٤١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٣٧)، ومسلم (٢٤٤٤)، وأحمد ٤٠/ ٥١٠ (٢٤٤٥٤)، واللفظ له.

عليَّ الصلاةَ فيهِ، فإنَّ صَلاتَكُمْ تُعرَضُ علَيَّ»، قالوا: يا رَسولَ الله وكيفَ تُعرَض صلاتُنا عليك وقد أرِمْت؟! يَقولون: بَلِيتَ. فقال: **«إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسادَ الْأَنْبِياءِ»**[١].

٢٨٧- عن أنس أن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج يَستسقي وخَرَجَ بالعباسِ معه يستسقي به ويقولُ: اللهم كنا إذا قَحِطنا على عهدِ نبيِّنا ﷺ توسَّلنا بنبينا، وإنا نتوسلُ إليك بعمِّ نبيك فاسقِنا، قال: فسُقوا»[٢].

٢٨٨- عن جابرِ بن سمرةَ قال: كنت قاعدًا عند عمرَ بن الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ جاءه ناسٌ من أهلِ الكوفة فشَكَوا سعدًا، فبعث من يسألُ عنه بالكوفةِ، فطِيف به في مساجدِ الكوفة فلم يُقَل له إلا خيرًا، حتى انتهى إلى مَسجد بني عبس، فإذا رجلٌ يُدعى أبا سعدة فقال: اللهم إنه كان لا ينفِرُ في السريةِ، ولا يَقسِم بالسَّويةِ، ولا يَعدِل في القضيةِ، قال: فغضِبَ سعد فقال: اللهم إن كان كاذبًا فأطِل عمرَه، وأَشِدَّ فقرَه، وأعرِض عليه الفِتنَ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠).

قال الشيخ ابن العثيمين: «النوع الرابع من التوسل: أن يتوسل إلى الله بدعاء من ترجى إجابته كطلب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النبي ﷺ أن يدعو الله لهم، مثل قول الرجل الذي دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: ادع الله أن يغيثنا، وقول عكاشة بن محصن للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعلني منهم. وهذا إنما يكون في حياة الداعي، أما بعد موته فلا يجوز؛ لأنه لا عمل له، فقد انتقل إلى دار الجزاء؛ ولذلك لما أجدب الناس في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يطلبوا من النبي ﷺ أن يستسقي لهم؛ بل استسقى عمر بالعباس عم النبي ﷺ، فقال له: قم فاستسق؛ فقام العباس فدعا»، مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٢/ ٣٤٢.

قال: فزعمَ عبدُ الملك بن عُمير أنه رآه قد سقطَ حاجباه على عينيه، وقد افتقرَ وافتُتِن، فما يجدُ شيئًا، يُسأل كيف أنت يا أبا سعدة؟ فيقول: شيخٌ كبير مَفتونٌ أجيبت فيَّ دعوةُ سعدٍ[١].

قال الشيخ -أسعده الله-: وكان سعدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع ما أجرَى الله تعالى على يديه من معجزاتٍ، آيةً متصلةً بآيةِ النبيِّ ﷺ؛ لدعائِه ﷺ لسعدٍ بأن تُستجابَ دعوتُه.

٢٨٩- عن جابرٍ قال: صُرِخ بنا إلى قتلى أحدٍ، وذاك إذا أجرى معاويةُ العين، فاستخرَجناهم بعد أربعينَ سنةٍ لينةٌ أجسادُهم[٢].

٢٩٠- عن جابرٍ قال: لَمَّا حضرَ قتالُ أحُدٍ، دعاني أبي منَ الليلِ، فلمَّا أَصبَحْنا كان أولَ قتيلٍ، قال: فدَفَنْته مع آخَرَ في قبرٍ، ثُم لم تَطِبْ نفسي أن أَترُكَه مع آخرَ في قبرٍ، فاستَخرَجْتُه بعد سِتَّةِ أشهرٍ، فإذا هو كيَوْمِ وضَعْتُه غيرَ هُنَيَّةٍ عند أُذُنِه[٣].

٢٩١- عن أنس أن أبا طلحةَ خرج في غزوةٍ فركب في البحرِ فمات، فلم يجدوا له جزيرةً يدفِنوه فيها إلا بعدَ سبعةِ أيام فلم يتغيَّرْ، فدفَنوه فيها[٤].

٢٩٢- عن أنسٍ: أن ثابتَ بنَ قيسٍ جاء يومَ اليمامةِ وقد تَحَنَّط ولبِسَ أكفانَه، فقال: اللهمَّ إني أبرأُ إليك ممَّا جاءَ به هؤلاءِ، وأَعتذرُ إليك ممَّا صنعَ هؤلاءِ. فقُتِلَ، وكانت له دِرعٌ فسُرِقت، فرآه رجُل فيما يَرى النائمُ فقال: إن دِرعي في قِدْرٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥).
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٣/ ٥٤٧ (٦٦٥٦)، وابن أبي شيبة ٧/ ٣٧٢ (٣٦٧٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (١٣٥١).
(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٤٠٦)، وأبو يعلى في «مسنده» ٦/ ١٣٨ (٣٤١٣).

تحت الكانونِ في مكانِ كذا وكذا. وأَوْصى بوصايا، فطلَبوا الدرعَ فوجَدوها وأَنفَذوا الوَصايا[(١)].

قال الشيخ -أسعدَه الله-: وقد ذكرنا ما حضرَ ذِكرُه من الأخبارِ في مقصدنا وغرضِنا لهذا الكتابِ على شرائطِنا المذكورةِ في صدره، ومن تأملَ فصولَه وما جرت عليه أحوالُ الرسول ﷺ من الآيات المقترنةِ بها زال الارتيابُ عنه في صحةِ دعوتهِ ﷺ، لاسيما من انتحلَ نبوةَ الأنبياءِ، إذ لا سبيلَ له إلى إثبات نِحلتِه إلا بالمنقول من الأخبار.

وأما اعتراضُ اليهودِ والنصارى على نَقَلةِ آيات نبيِّنا ﷺ بنوعٍ من أنواعه، فذلك ممكن مثلُه في معارضتِه فيما يُذكر من معجزةِ موسى وعيسى عليهما السلام وما ادُّعي في شيءٍ منه أنه احتيالٌ وتمويه؛ ادُّعي مثلُه في معجزتِهما كما ذَكر اليهودُ في أمر عيسى وإحيائِه الموتى وإبرائِه الأكمَه والأبرصَ، وذكر ماني وغيرِه في آيات موسى نحوها.

ولا عُذرَ للنصارى في الطعنِ على شيء من دلائلِه ﷺ المرويةِ؛ لغيبتِهم عن المسيحِ ومشاهدتِهم لإحياءِ الموتى وإبراءِ الأكمَهِ والأبرصِ، وإنما عُمدتُهم ما يذكرونه من نقلِ قومٍ -يرجع أصلُ خبرهم إلى كاتبي الأناجيلِ الأربعةِ- يجوز عليهم الخطأ والغلطُ والتواطؤ والتحرضُ.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» كما في «المطالب العالية» ١٦/ ٥٠٤ (٤٠٨٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» ٢/ ٧٠ (١٣٢٠)، والحاكم ٣/ ٢٣٥.

ونَقلةُ أعلامِ نبينا ﷺ ودلائلِه قومٌ لا يَحصُرهم العددُ لاستفاضَتِه في الأصل والفرعِ، فإن ادَّعوا الاستفاضةَ في أصول أخبارِهم كانوا غالطين مُكابرين؛ لأن دينَ المسيحِ عليه السلام كثُرَ المتدينون به بعدَه، لما انتَشرَ في الأقطارِ والأمصارِ من آمن به، ولم يكنْ له أصحابٌ وأتباعٌ يكثر عددُهم.

والإسلامُ انتشر في حياة الرسولِ ﷺ ودخل الناسُ فيه أفواجًا كما ذكَر الله تعالى، وفتحَ ﷺ مكةَ ومعه عشرةُ آلافِ فارسٍ من المهاجرين والأنصارِ وغيرِهم من قبائل العربِ من المسلمين، ثم غزا حُنينًا في بضعةَ عَشر ألفًا كما ذكرَ الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ [التوبة:٢٥] هذا مَن شهدَ معه الفتحَ والمغازي سوى المقيمين ببلاد اليمنِ والبوادي واليمامةِ وهجر، وكان معه فى مخرجِه إلى تبوك زيادةٌ على عشرين ألفًا، ولا سبيلَ للنصارى أن يدَّعوا مثلَه ولا عُشرَ عشيره.

والخبرُ إذا عدِم في أصل نقلِه شرطُ التواترِ فلا وجه لادعاءِ الاستفاضة في فرعه، وإن ادَّعوا موافقتِنا لهم في نبوة عيسى عليه السلام، عورِضوا بالانفصالِ من اليهود إذا تعلَّقوا باتفاقِكم معهم على نبوةِ موسى عليه السلام مع تكذيبِهم إياهم في نبوةِ المسيح.

فإن احتجَّ اليهودُ بهذا على النصارى وعلينا بتصديقِنا إياهم على نبوةِ عيسى عليه السلام عورِضوا بأن التصديقَ والتكذيبَ لا يتعلقُ بهما حقٌّ ولا باطلٌ، وإنما يصحُّ الحقُّ ويبطلُ بالبراهين، ونحن قد أقَمنا البرهانَ على صدقِ نبوةِ المسيحِ ومحمد صلى الله عليهما بمثل ما أقاموا هم على صدقِ نبوة موسى عليه السلام لَمن أنكرَ نبوتَه، وإنما يضرُّنا خلافُهم لو أخلَينا دعوانا من البرهانِ، وقد أورَدنا أوفرَ مما

أوردوا من استفاضةِ الأخبارِ بنقل العالَم الكثير المختلِفي الدواعي والهممِ والبلدان أن محمدًا ﷺ قد أتى بآيات كثيرةٍ، كنبع الماءِ الكثير من بين أصابعِه فصدر عنه الخلقُ الكثير لطهورِهم وشربِهم وسقيِ ركائبهم، فعل هذا في مواضعَ كثيرةٍ سفرًا وحضرًا، وآخرُ ذلك في غزوة تبوكٍ وأهلُها يبلغون زيادةً على عشرين ألفًا.

وهذا النوع أقوى مما يُذكر عن المسيح عليه السلام؛ لأنه مما لا يَجري فيه تمويهٌ ولا مُواضعةٌ، كما قد يكون ذلك في إحياء الموتى وإبراءِ الزَّمْنى، فكذلك تفجيرُ الماء من الحجرِ لقومِ موسى عليه السلام فهو من أقوى ما جَرى على يده، وما جرى من محمدٍ ﷺ مثلُه أقوى وأعجبُ من إخراج الماءِ وانفجارِه من بين أصابعِه، ولا فرقَ بين هذا ولا بين انفجارِ الماء من الحجر بضربِ موسى إياه، وهل عرفوا هذا مِن موسى عليه السلام إلا بنقلِ الأخبارِ نحو ما وُجِد من ذلك فيما وُجِد من محمدٍ ﷺ؟! ونحن لم نشاهدْ موسى عليه السلام ولا آياتِه، وإنما نُقِلت أخبارُ آياتِه إلينا كما نقِلت أخبارُ آيات نبيِّنا ﷺ إلينا، وهو أخبرَنا أن موسى عليه السلام هو الذي بشَّرَ بمحمدٍ ﷺ في التوراةِ، وأعلَمه الله تعالى فيما كلَّمه به أنه كتب رحمتَه للذين يتَّقون ويتَّبعون النبيَّ الأميَّ الذي يأمرُهم بالمعروف وينهاهم عن المنكرِ، ويجده أهلُ التوراةِ والإنجيلِ في كتبهم.

فإن كان موسى الذي ادَّعوا إقرارَنا به هو الذي بشرَ بمحمدٍ فقد ثبتَت نبوةُ محمد ﷺ، وإن يكنْ غيرَ المبشَّر به، فنحن لا نعرفُه فضلًا أن نؤمنَ به، فإن قالوا: إن أخبارَهم قد نقلَتها أهلُ الملل المختلفةِ فليست أخبارُكم كذلك! قيل: فهل هو إلا أنتم والنصارى والمسلمون، وسائرُ الناس مكذِّبون لكم، فخبِّرونا عما حكيناه من آيات موسى هذه قبل أن تكونَ النصارى والمسلمون أما كانت صحيحة؟ ولو

أنكرَها أهلُ الشركِ والزنادقةِ والمعطلةِ بعد موتِ موسى عليه السلام بماذا يُدفع إنكارُهم وقولُهم، والآية حينئذٍ لا ينقلُها أهلُ المللِ المختلفةِ؟

وهل المرجعُ في إثبات آياتِ موسى عليه السلام إلا إلى نقل أوائلِكم وأسلافِكم؟! وفي هذا كلامٌ كثير وقد ذكرَه النظارُ من المسلمين في كتبِهم، وفيما ذكرنا من الرواياتِ بأسانيدِها عن النقلةِ كفايةٌ لمقصودنا وغرضِنا من هذا الكتاب، والله ولي التوفيق لمن استوفَقه، وهو المعينُ.

(٩٠) فصل فيما جرى على أيدي الصحابة بعده

٢٩٣- عن قيسِ بنِ أبي حازمٍ قال: رأيتُ خالدَ بنَ الوليدِ أُتيَ بسَمٍّ فقال: ما هذا؟ قالوا: سَمٌّ. قال: بِسْمِ الله. فازْدَرَدَهُ[(١)].

٢٩٤- عنِ ابنِ عمرَ: أن عمرَ بعثَ جيشًا وأمَّرَ عليهم رجلًا يُدعَى ساريةَ، قال: فبينا عمرُ يخطبُ الناسَ يومًا فأَقبَلَ يَصيح وهو على المنبرِ: يا ساريَ الجبلَ، يا ساريَ الجبلَ. فقدمَ رسولُ الجيشِ فسألَه فقال: يا أميرَ المؤمنين لَقِينا عدوَّنا فهزَمونا، فإذا صائحٌ يَصيحُ: يا ساريَ الجبلَ. فأَسنَدْنا ظهورَنا إلى الجبلِ فهزَمَهمُ اللهُ تعالى. فقيل لعمرَ: إنك كنتَ تَصيحُ بذلك[(٢)].

٢٩٥- عن قيسٍ قال: كان أبو الدرداءِ إذا كتبَ إلى سَلمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أو سلمانُ إلى أبي الدرداءِ كتبَ إليه بآيةِ الصَّحفةِ، قال: وكنَّا نَتحدثُ أنه بينما هما يَأكُلان من الصحفةِ، فسبَّحَت الصحفةُ وما فيها[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٧٨)، وأبو يعلى في «مسنده» ١٣/ ١٤١ (٧١٨٦)، والطبراني في «الكبير» ٤/ ١٠٥-١٠٦ (٣٨٠٨-٣٨٠٩).

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (٣٥٥)، والآجري «في الشريعة» ٤/ ١٨٨٨، واللالكائي في «أصول اعتقاد أهل السنة» ٧/ ١٤٠٩ (٢٥٣٧)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٣١٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «هواتف الجنان» (١٣٦)، وأبو علي الصواف في «فوائده» (١٦).

(٩١) فصل في ذِكْر مُوازاةِ الأنبياءِ عليهم السلام في فضائِلهم بفضائلِ نبيِّنا ﷺ، ومُقابلةِ ما أُوتوا منَ الآياتِ بما أُوتيَ، إذ أُوتيَ ما أُوتوا وشبهَه ونَظيرَه

فكان أولَ الرسل نوحٌ عليه السلام وآيتُه التي أوتيَ وشفاءُ غيظِه، وإجابةُ دعوتِه في تَعجيلِ نِقمة الله لُكذِّبيه حتى هلَكَ مَن على بسيطِ الأرض من صامِتٍ وناطِقٍ إلَّا مَن آمَن به ودخَل معه سفينتَه مُؤمنًا، ولعَمري إنها آيةٌ جليلةٌ وافقَتْ سابقَ قدَرِ الله تعالى، ونافذَ عِلمِه في إهلاكهم، فكذلك نبيُّنا ﷺ لَّما كذَّبه قومُه وبالَغوا في أَذيَّته والاستهانةِ بمَنزلتِه منَ الله تعالى وعبادتِه، حتى أَلقَى الشقيُّ عقبةُ بن أبي مُعَيْطٍ سَلى جَزورٍ على ظهرِه ساجدًا، فدعا وقال: اللهمَّ عليك الملأَ من قريشٍ.

٢٩٦- عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما رسولُ الله ﷺ يُصلِّي عند الكعبةِ وجَمعُ قريشٍ يَنظُرون فقال قائلٌ منهم: ألَا تَرَوْن إلى هذا المَرائي أيُّكم يَقوم إلى جَزورِ آل فلانٍ فيَعمدُ إلى فرثِها ودمِها وسلاها حتى إذا سجدَ وضعَه بين كتِفَيْه؟ فانطلقَ أَشقاهُم فجاءَ به حتَّى إذا سجدَ رسولُ الله ﷺ وضعَه بين كتِفَيْه وثبتَ رسولُ الله ﷺ ساجدًا، وضحِكوا حتَّى مال بعضُهم على بعضٍ منَ الضحِكِ، فانطلَقَ مُنطلِقٌ إلى فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي جُوَيْرِيةٌ فأقبلَت تَسعَى، وثبت النبيُّ ﷺ ساجدًا حتى نَحَّتْه عنه، وأقبلَت عليهم تَسبُّهم، فلمَّا قضى النبيُّ ﷺ صلاتَه استقبلَ الكَعبةَ وقال: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**»، ثُم سمَّاهم فقال: «**اللهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمرِو بنِ هِشامٍ، وشَيْبةَ، وعُتبةَ، والوَليدِ بنِ عُتبةَ، وأُميَّةَ بنِ خلَفٍ، وعُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ، وعمارةَ بنِ الوَليدِ**».

قال عبدُ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والَّذي نَفسِي بيَدِه، لقَدْ رأَيْتهم صرعَى يُسحَبون إلى القَليبِ، قَليبِ بدرٍ، ثُم قال رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَتبِعْ أهلَ القَليبِ لَعْنةً**»[١].

وإن قلتَ: إن نوحًا عليه السلام لَمَّا امتَلَأَ مِن أذيةِ المُكذِّبين له وعيل صبرُه؛ سأَلَ ربَّه تعالى أن يَنصرَه؛ فقال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ١٠﴾ [القمر:١٠]، فهطَلت السماءُ بماءٍ مُنهمرٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ١١﴾ [القمر:١١]، فكانت دَعوتُه دعوةَ انتقامٍ وانتصارٍ، فكذلكَ محمدٌ ﷺ دعا ربَّه فهطَلَت السماءُ بدُعائِه ومسألتِه بماءٍ مُنهمرٍ؛ رحمةً وغوثًا للخليقةِ والأنامِ.

٢٩٧- عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أصابَ أهلَ المدينةِ قحطٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فقام إليه الناسُ يومَ جُمُعةٍ وهو على المنبرِ يَخطبُ فقالوا: يا رسولَ الله غلَتِ الأسعارُ واحتُبِسَت الأمطارُ فادعُ اللهَ أن يَسقيَنا. فرفعَ رسولُ الله ﷺ يدَه فاستَسْقى، قال: فمُطِرْنا، فلم نزَلْ نُمطرْ حتى كانتِ الجمعةُ المُقبلةُ، فقام إليه الناسُ فقالوا: ادعُ اللهَ أن يَحبسَها عنَّا، فتبسمَ رسولُ الله ﷺ ورفعَ يدَه وقال: «**اللَّهُمَّ حَوالَيْنا وَلا عَلَيْنا**». قال: فتَحرَّفت، فصارتِ المدينةُ كأَنَّها إكليلٌ وما حولَها مَمطورٌ[٢].

ولبِثَ نوحٌ عليه السلام في قومه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، فبلغَ جميعُ مَن آمنَ به رجالًا ونساءً الذين ركِبوا معه سفينتَه دونَ مائةِ نفسٍ، وآمَن بنَبيِّنا ﷺ في مُدَّة عِشرين سنةً الناسُ شرقًا وغربًا، ودانت له جَبابرةُ الأرضِ ومُلوكُها، وخافت على هَلاكِ مُلكِهم ككِسرَى وقيصر عَظيمَيِ الأرضِ شرقًا وغربًا، وأسلمَ النجاشيُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٠)، ومسلم (١٧٩٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٢١).

والأقيالُ رغبةً في دِينِ الله وإكرامًا من الله تعالى لنبيِّه ﷺ، والْتزَمَ مَن لم يُؤمِنْ به من عظماءِ الأرضِ الجزيةَ والإتاوةَ عن صَغارٍ، أهلُ نجرانَ وهجرَ وأيلةَ وأُكيدر دُومة، فذَلُّوا له مُنقادين لِما أيَّدَه اللهُ تعالى به من الرعبِ الذي يسيرُ بين يديه شهرًا، ونصَرَه وفتحَ له الفتوحَ، ودخلَ الناسُ في دِينِ الله -مُصدِّقين به- أفواجًا فأَتَوْه طائِعين راغبين مُؤمنين به مُصدِّقين له تمكينًا منَ الله له واعتلاءً، فأيُّ كرامة أعظمُ منها! وأيُّ منزلةٍ أرفعُ منها!

فإن قال قائلٌ: فإن الله تعالى قد خصَّ نوحًا عليه السلام بأن نحَلَه اسمًا من أسمائِه فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء:٣] قيل: وقد خصَّ محمدًا ﷺ بأن نحَلَه أسماءً من أسمائِه جمَعَها اللهُ تعالى له ولم يَشرَكه فيه أحدٌ فقال: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨]، وسمَّى الأنبياءَ عليهم السلام في حال مخاطبتِه لهم بأسمائِهم فقال: يا آدمُ، ويا نوحُ ويا إبراهيمُ، ويا موسى، ويا يحيى، ويا داودُ، ويا عيسى. وخاطبَ محمدًا ﷺ بصفةٍ من صفاتِ الشرفِ والرِّفعةِ، فقام مقامَ الكُنيةِ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة:٤١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال:٦٤] ، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدَّثر:١]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل:١] .

فهذه الكُنى أكبرُ وأجلُّ وأعظمُ في الخِطابِ منَ الاسمِ، ولَمَّا أن آذاه المُشرِكون بما أُوذِيَ به الأنبياءُ قبلَه نوحٌ ومَن بعدَه، فنسَبوه على الجنونِ والشِّعرِ والسِّحرِ والكهانةِ وما لا يليقُ به وبغيرِه منَ الأنبياءِ عليهم السلام، فقالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر:٦] احتملَ ﷺ تَكذيبَهم وأذِيَّتَهم صابرًا؛ عِلمًا منه ﷺ بأن اللهَ تعالى وليُّ نُصرتِه وظهيرُه عليهم وعلى أهل الأديانِ كلِّها ولو كرِهَ المُشرِكون، فكانت نُصرةُ الله تعالى له أعودَ عليه مِنِ انتصارِه لنَفسِه بنَفسِه ولم يَسلُك مَسلَك مَن تَقدَّمه منَ الأنبياءِ عليهم السلام في انتِصارِهم

لأنفسِهم، كقول نوحٍ عليه السلام لَّما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأعراف:٦٠]، فقال مُجيبًا عن نفسِه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١﴾ [الأعراف:٦١]، وكقول هودٍ عليه السلام لَّما قال له قومُه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ [الأعراف:٦٦] فقال دافِعًا عن نفسِه: ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾ [الأعراف:٦٧]، وكما قال فِرعونُ لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٠١]، فنصَر نفسَه بنفسِه فقال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء:١٠٢]، وما في مَعناهُ وشبهِه، ولَّما قال الُمشرِكون له ﷺ: إنه شاعِرٌ، ساحِرٌ، مَجنونٌ. صبرَ وسكَتَ ووكلَ نصرتَه إلى الله حتى تولَّى اللهُ تعالى ذلك بوَحْيٍ يُتلَى فقال: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]، ولَّما قالوا له: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ [القلم:٥١] أعرضَ عنهم امتِثالًا لأمرِ الله تعالى إذ قال: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [النَّجم:٢٩]، فأنزلَ الله تعالى نُصرتَه من السماءِ فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾ [القلم:٢]، ولَّما قالت قريشٌ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ [النحل:١٠٣] وقالوا: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان:٤]، أنزلَ اللهُ تعالى ناصرًا له ودافعًا عنه فقال: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٦﴾ [الفرقان:٦] في أمثالِه من الآياتِ.

(٩٢) القولُ فيما أُوتيَ إبراهيمُ عليه السلام

فإن قيلَ: إبراهيمُ عليه السلام خُصَّ بالخُلَّةِ مع النبوةِ. قيلَ: فقدِ اتَّخذَ اللهُ مُحمدًا ﷺ خليلًا وحبيبًا، والحبيبُ ألطفُ من الخليلِ.

٢٩٨- فعن عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»(١).

فإن قيلَ: فإن إبراهيمَ عليه السلام حجِبَ عن نمرودَ بحجبٍ ثلاثةٍ، قيل: قد كان كذلكَ، وحُجِبَ محمدٌ ﷺ عن مَن أرادوا قتلَه بخمسةِ حجبٍ، قال اللهُ تعالى في أمرِه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس:٩]، فهذه ثلاثةٌ، ثُمَّ قال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾ [الإسراء:٤٥]، ثُمَّ قال: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس:٨] فهي خمسةُ حُجبٍ.

فإن قيلَ: فإن إبراهيمَ عليه السلام قصمَ نمرودَ ببُرهانِ نبوَّتِه فبَهَتَه. قال: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨] قيل: محمدٌ ﷺ أتاهُ المكذبُ بالبعثِ أبيُّ بنُ خلفٍ بعَظْمٍ بالٍ ففركَه وقال: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، فأنزلَ اللهُ البرهانَ الساطعَ فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس:٧٩] فانصرفَ مَبهوتًا ببرهانِ نبوتِه ﷺ.

فإن قيل: فإن إبراهيمَ عليه السلام كسرَ أصنامَ قومِه غضبًا لله. قيل: فإن محمدًا ﷺ نكسَ ثلاثمائةٍ وسِتِّين صنمًا نُصِبَت حولَ الكعبةِ بإشارتِه إليهِنَّ فيتَساقَطْن.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٣).

(٩٣) القولُ فيما أُوتِيَ موسى عليه السلام: من العَصا واليَدِ وتَفجُّر الماء من الحِجرِ في التيهِ وغيرِها من آياتِه

كان أعظمُ آياتِه وأنبهُها ﷺ العصا الخشبَ المواتَ الَّتي جعلَها اللهُ تعالى حيًّا ثُعبانًا يَتلقَّف ما يَأفِك سحَرةَ فرعونَ، ثُم تَعود إلى مَعناها وخاصتِها من مآربِ موسى عليه السلام كما ذكرَ اللهُ تعالى، وقد أُعطِيَ نظيرَها وأعجبَ منها محمدٌ ﷺ: خوار الجِذعِ اليابسِ وحَنينه.

٢٩٩- فعن أمِّ سلَمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كانَ لرسولِ الله ﷺ خشبةً يَستندُ إليها إذا خطبَ، وصُنعَ له كرسيٌّ أو مِنبرٌ، فلمَّا فقدَتْه خارَتْ كما يَخورُ الثورُ، حتى سمِعَ أهلُ المسجدِ، فأَتاها رسولُ الله ﷺ فسكَنت[(١)].

وأبلغُ في الأعجوبةِ إجابةُ الأشجارِ واجتماعِهنَّ لدَعوتِه لَمَّا دعاهُنَّ ورُجوعُهن إلى أمكنتِهنَّ بعد أن أَمَرَهُنَّ.

فإن قلتَ: فإن موسى عليه السلام كان في التيهِ يَضربُ بعصاه الحجرَ فينفجرُ منه اثنتَا عشرةَ عينًا في التيه ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة:٦٠]، قيل له: كان لمحمدٍ ﷺ مثلُه وأعجبُ منه، فإن نبعَ الماء من الحجرِ مشهورٌ في المعلوم والمتعارفِ، وأعجبُ من ذلك نبعُ الماء من بين اللحمِ والعظمِ والدمِ، كان يفرجُ بين أصابعِه في مخضبٍ، فينبعُ من بين أصابعِه الماءُ ماءً جاريًا عذبًا يروي العددَ الكثير من الناس والخيلِ والإبلِ.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٥٥ (٥٢٤-٥٢٥)، وله شواهد منها حديث جابر في صحيح البخاري (٣٥٨٣).

٣٠٠- وعن أبي عَمرةَ الأنصاريِّ قالَ: كُنا معَ رسولِ الله ﷺ في غزوةٍ غزاها، فأصابَ الناسَ مَخمصةٌ، فدعا بركوةٍ فوُضِعَت بين يديه، ثُم دعا بماءٍ فصبَّه فيها، ثُم مجَّ فيها بما شاءَ اللهُ أن يَتكلَّم، ثُم أَدخلَ خِنصِره فيها، فأقسمُ بالله، لقد رأَيْت أصابعَ رسولِ الله ﷺ تَفجَّرُ ينابيعُ الماء منها، ثُم أمرَ الناسَ فسَقوا وشَرِبوا وملؤُوا قِرَبهم وإداواتِهم[(١)].

فإن قيل: إن مُوسى عليه السلام أتَى فِرعونَ وقومَه بالعذابِ الأَليمِ: الجرادِ والقملِ والضفادعِ والدمِ آيات مُفصلات على ما أخبرَ اللهُ به، قيل: قد أُرسلَ على قريشٍ في عهدِ النبيِّ ﷺ الدخانُ آيةً بينةً ونِقمةً بالِغةً، قال اللهُ تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠﴾ [الدُخان:١٠]، ودعا على قريشٍ فابتُلوا بالسنينَ.

٣٠١- فعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يَدعو في الصلاة حين يقولُ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، ثُم يقول وهو قائمٌ: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ كَسِنِي يُوسُفَ**»، ثُم يقولُ: «**اللهُ أَكْبَرُ**» وضاحية مُضرَ يومئذ مُخالفون لرسول الله ﷺ[(٢)].

فإن قيل: إن موسى عليه السلام أُنزلَ عليه وعلى قومِه المَنُّ والسلوى وظُلِّلَ عليهم الغمامُ، قيل: إن المَنَّ والسلوى رِزْق رزَقهم اللهُ كُفُوا السعيَ فيه والاكتسابَ، وأُعطيَ محمدٌ ﷺ وأمتُه ما هو أعظمُ منه ممَّا كان محظورًا على مَن تَقدَّمه من الأنبياء عليهم السلام والأممِ، فأحلَّ الله تعالى له ولأمتِه الغنائمَ ولم تحلَّ لأحد كان قبلَه، وأُعطيَ من جنسِه أصحابُه حين أصابَتْهم المجاعةُ في السَّرية التي

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٠٠٥)، والطبراني في الأوسط (٦٣).
(٢) أخرجه البخاري (٨٠٤)، ومسلم (٦٧٥).

بُعثوا فيها، فقذفَ لهم البحرُ حوتًا أكَلوا منه وأْتَدَموه نصفَ شهرٍ، مع أنه ﷺ كان يُشبِع النفرَ الكثيرَ من الطعامِ اليسيرِ واللبَن القليلِ حتَّى يَصدُروا عنه شباعًا رواءً.

٣٠٢- عن حذيفةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: خرجَ رسولُ الله ﷺ فسجدَ سجدةً ظننا أن نفسَه قُبِضت فيها، فلمَّا رفع رأسه قال: «**أَعْطَانِي رَبِّي بِلَا فَخْرٍ العِزَّ وَالنُّصْرَةَ والرُّعْبَ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيَّ شَهْرًا، وطَيَّبَ لِي وَلِأُمَّتِي الغَنِيمَةَ، وَأَحَلَّ لَنَا كَثِيرًا مِمَّا شَدَّدَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا**»(١).

٣٠٣- وعن جابرٍ قال: بعَثَنا رسولُ الله ﷺ في ثلاثمائةِ راكبٍ وأميرُنا أبو عبيدةَ بنُ الجراح؛ نَرصُد عيرًا لقريشٍ، فأصابنا جوعٌ شديدٌ حتى أكَلْنا الخبطَ، فسُمِّيَ ذلك الجيشُ جيشَ الخَبَط، قال: فألقَى لنا البحرُ ونحن بالساحلِ دابَّةً تُسمَّى العنبرَ فأكَلْنا منه نصفَ شهر، وأْتَدَمْنا به، وادَّهَنا بودَكه حتى ثابَتْ أجسامُنا.

قال: فأخذ أبو عُبيدةَ ضلعًا من أضلاعه فنصبَه، ثُم نظرَ أطولَ رجل وأعظمَ جمَل في الجيش فأمَرَه أن يركبَ الجملَ ويَمُرَّ تحتَه، ففعلَ فمرَّ تحته فأَتينا النبيَّ ﷺ فأَخبَرْناه، فقال: «**هَلْ مَعَكُمْ مِنْهُ شَيْءٌ؟**» قُلنا: لا.

قال: وحدَّثنا أبو الزُّبيرِ عن جابرٍ عن النبيِّ ﷺ مثلَه، زاد: وكان فينا رجلٌ معه جرابٌ فيه تمْر، وكان يُعطينا منه قبضةً قبضةً، ثُم صار إلى تمرة تمرة فلمَّا فنِيَ وجَدْنا فقْده(٢).

---

(١) أخرجه أحمد ٣٨/ ٣٦١ (٢٣٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٦١)، ومسلم (١٩٣٥).

فإن قيلَ: فإن موسى عليه السلام أُعطِيَ العَصا فكانت ثعبانًا تتلقَّفُ ما صنعَت السحرةُ، فاستغاث فرعونُ بموسى عليه السلام رهبةً وفَرَقًا منها، قيل: قد كان لمحمدٍ ﷺ أختُ هذه الآية بعينِها.

٣٠٤- عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال أبو جهل بن هشام: يا معشرَ قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيبِ دينِنَا وشتمِ آبائنا وتسفيهِ أحلامنا وسبِّ آلهتنا، وإني أعاهدُ الله لأجلسَنَّ له بحجرٍ قدرَ ما أطيقُ حملَه، فإذا سجد في صلاتِه فضَختُ به رأسَه، فأسلِموني عند ذلك أو امنَعوني، فليصنَع بنو عبدِ منافٍ ما بدا لهم، قالوا: لا والله، لا نسلِمُك لشيءٍ أبدًا، فاصنَع ما تريدُ.

فلما أصبح أبو جهلٍ أخذ حجرًا كما وصَف، وجلس لرسولِ الله ﷺ، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسولُ الله ﷺ بمكة قبلتُه إلى الشام، وكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانيِّ والحجرِ الأسودِ فجعل الكعبةَ بينه وبين الشامِ، فقام رسولُ الله ﷺ يصلي، وقد غدَت قريشٌ في أنديتِهم يَنتظرون ما أبو جهلٍ صانعٌ؟ فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتملَ أبو جهلٍ الحجرَ ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع مَبهوتًا مُنتقعًا لونُه مرهوبًا قد يبسَت يداه على حجَره حتى قذفَ الحجرَ من يده، وقامت إليه رجالاتٌ من قريشٍ وقالوا له: مالكَ يا أبا الحكمِ؟ قال: قمتُ إليه لأفعلَ به ما قلتُ لكم البارحةَ، فلما دنوتُ منه عرضَ لي دونه فحلٌ من الإبل، لا والله ما رأيتُ مثلَ هامتِه ولا قَصرتِه ولا أنيابِه لفحلٍ قط! فهمَّ أن يأكلَني، فذكر لي أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ذاك جبريلُ عليه السلام لو دنا مني لأخذَه**»[(١)].

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (ص١٩٧-٢٠٠).

فإن قيل: فإن موسى عليه السلام لَمَّا وفدَ بخيار قومِه إلى الله تعالى سبعين نفسًا من أَفاضِلهم، فلمَّا صاروا معه في البرِّيَّة غلبَ روح القُربة على قلبِه، وتحقَّق فيه صِدقُ الإجابة، وظاهر قوة الوصول أسرعَ على ربه تعالى ناسيًا لقَوْمه؛ لما وجَد بقلبِه وجِسمه من الهيمانِ والولَهِ قاصدًا لُمناجاته فقال اللهُ تعالى له: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣﴾ [طه:٨٣]، فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾ [طه:٨٤].

وهذه حالةٌ شريفة خصَّ بها موسى دون سائِر المرسَلين، قيل: قد كان لمحمدٍ ﷺ كذلك، وخصَّ بما هو أعلى منه وأشرف؛ لأن موسى عليه السلام عبَّر عن نفسِه ودلَّ على قصدِه ومرادِه، فعظَّمَ اللهُ شأن محمدٍ ﷺ بآيَتَيْن أَعلَمه فيهما رِضاه عنه وأَعطاه سُؤلَه ومُناه من غير سؤالٍ منه في ذلك ولا رغبة تَقدَّمت منه، فقال تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة:١٤٤]، وقال في الآيةِ الأُخرى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾ [الضُّحى:٥]، فمنَحَه اللهُ تعالى رِضاهُ وأعطاهُ مُناهُ في جميع ما يَهواهُ ويَتمنَّاه.

وغيره من الأنبياء سأَلوا وطلَبوا رِضا مولاهُم، وخصَّه مع الرضا بالرحمة والرأفةِ فقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وكان رقيقَ القلب، فأمرَ اللهُ تعالى موسى بالمُلايَنة لِفرعونَ لِما كان عليه من الفَظاظةِ والغِلظة فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه:٤٤]، وذكرَ عن محمدٍ عليه السلام بالمُلاينة والرأفة والرحمةِ وأمَرَه بضِدِّها فقال: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة:٧٣] لِما خصَّه اللهُ به من الرأفةِ والرحمةِ واللِّين كما قال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

فإن قيل: فإن اللهَ تعالى أكرمَ موسى عليه السلام بما منَّ عليه من إلقاء المَحبَّة منه عليه، فقال: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]، فقد تُؤوِّل على وُجوهٍ، قيل: حبَّبْتكَ إلى عبادي. وقيل: جعلَ اللهُ تعالى بين عَيْنيه نورًا لا يَنظُر إليه أحدٌ إلَّا أَحبَّه، وقيل: أَسْكنت بين عَيْنيكَ ملاحةً وغنجًا تَسبِي به مَن رأيتَه.

وقد أُوتيَ محمدٌ ﷺ من نظائر هذه الكرامةِ غيرَ واحد، منها إقسامُ الله تعالى بالضُّحى والليلِ إذا سجَى أنه ما ودَّعه وما قَلاه، ثُم ما افتَرَض على خلقِه منِ اعتقادِ محبَّتِه حتى جعلَ ذلك منهاجًا إلى طاعته، ومِفتاحًا للقُربة إليه وسبيلًا إلى الفوزِ بغُفرانه ورحمته، وذلك قوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور:٥٤]، وكيف لا يَكون مُعظَّمًا مُفضلًا وقد أقسمَ الله تعالى بحياتِه؟! فقال: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ [الحجر:٧٢].

(٩٤) القولُ فيما أعطِيَ إدريسُ عليه السلام من الرفعةِ التي نوَّه الله بذكرِها فقال تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم:٥٧]

فالقولُ فيه: إن نبينا محمدًا ﷺ قد أعطِيَ أفضلَ وأكملَ من ذلك؛ لأن الله تعالى رفعَ ذِكره فقال: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ [الشَّرح:٤] رفعَ الله ذكرَه في الدنيا والآخرةِ فليس خطيبٌ ولا متشفعٌ ولا صاحبُ صلاةٍ إلا وينادِي بها: أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقرَنَ الله تعالى اسمَه باسمِه في ذكر توحيدِه والشهادةِ بربوبيتِه في مشارقِ الأرض ومغاربِها، وجعل ذلك مِفتاحًا للصلواتِ المفروضةِ.

(٩٥) القولُ فيما أعطِي هودٌ عليه السلام

فإن قيلَ: فإن هودًا عليه السلام قد انتصرَ الله له من أعدائِه بالريحِ العقيمِ، فهل فُعِل بمحمدٍ ﷺ شيئًا من هذا؟ قيل: الذي أعطِيَ محمدٌ ﷺ أفضلُ من هذا؛ لأن الله تعالى انتصرَ من أعدائِه يومَ الخندقِ بالريح فقال: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [الأحزاب:٩] وكانت ريحُ هودٍ ريحَ سخطٍ وانتقام، وريحُ محمدٍ ﷺ ريحُ رحمةٍ، قال الله تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [الأحزاب:٩] إلى قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠﴾ [الأحزاب:١٠].

(٩٦) القولُ فيما أعطِيَ صالحٌ عليه السلام

فإن قيلَ: فقد أخرج الله تعالى لصالحٍ عليه السلام ناقةً، جعلها له على قومه حُجةً وآيةً لها شِربٌ ولقومه شِربُ يومٍ معلوم، قلنا: فقد أعطَى الله محمدًا ﷺ مثلَ ذلك؛ لأن ناقةَ صالحٍ عليه السلام لم تكلم صالحًا ولا ناطَقته ولم تشهَد له بالنبوةِ، ومحمدٌ ﷺ شهدَ له البعيرُ النادُّ شاكيًا إليه ما همَّ به صاحبُه من نحرِه.

(٩٧) القولُ فيما أُوتيَ داودُ عليه السلام

قال اللهُ تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ الآية [سبأ:١٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ﴾ الآية [ص: ١٧ - ١٨]، فإن قيل: فسخَّرَ اللهُ الجبالَ له والطيرَ بالتسبيحِ. قيل: قد أعطَى اللهُ تعالى محمدًا ﷺ من جِنْسه مثلَه وزيادةً، فقد سبَّح الحصى في يدِه وفي يدِ مَن يَتبعُه وصدَّقه؛ رِفعةً لشأنِه وشأن مُصدِّقيه.

٣٠٥- فعن عبدِ الله قال: كُنَّا نأكلُ عند النبيِّ ﷺ فنَسمَع تَسبيحَ الطعامِ[(١)].

فإن قيل: فقد سخِّرت له الطير. قيل: فقد سخِّر لرسولِ الله ﷺ مع الطير البهائمُ العظيمة، الإبلُ فما دونها، وما هو أعسرُ وأصعبُ من الطير، السِّباع العادِية الضارية تَتهيَّبه وتَنقادُ لطاعته كالبعيرِ الشاردِ الَّذي سجدَ له، وقد تقدمَ ذكرُه، والذئبِ الذي نطقَ بنُبوَّته والتصديقِ بدعوته ورِسالته.

٣٠٦- وعن أبي سعيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بينما راعٍ بالحَرَّة إذِ انتهزَ الذئبُ شاةً، فتبِعه الراعي فحال بينه وبينها، فأقبلَ الذئبُ على الراعي فقال: يا راعي ألَا تَتَّقي الله! تَحولُ بيني وبين رِزق ساقَه الله إليَّ؟! فقال الراعي: العجبُ من ذئبٍ مُقْعٍ على ذنَبِه يُكلِّمني بكلام الإنسِ! فقال الذئبُ: ألَا أُخبرُك بما هو أعجبُ من هذا؟ رسولُ الله ﷺ بين الحَرَّتين يَدعو الناسَ إلى أنباء ما قد سبقَ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٩).

فساق الراعي شاتَه حتى أتَى المدينةَ فزواها إلى زاويةٍ من زواياها، ثم دخلَ على النبيِّ ﷺ فأخبَرَه بما قال الذئبُ، فخرجَ رسولُ الله ﷺ فقال للراعي: «**أَخْبِرْهُمْ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ**»، فأَخبَرَهم بما قال الذئبُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**صَدَقَ الرَّاعِي، أَلَا إِنَّهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلَامُ السِّبَاعِ الْإِنْسَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُكَلِّمَ السِّبَاعُ الْإِنْسَ**»[(١)].

٣٠٧- عن عبد الله بن مسعود قال: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ في سفرٍ، فدخل رجُل غيضةً فأخرجَ منها بيضَ حُمَّرةٍ، فجاءت الحُمرةُ ترفُّ على رأسِ رسولِ الله ﷺ، فقال: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هَذِهِ؟**» فقال رجلٌ منَ القومِ: أنا أَخَذْت بَيْضها. فقال: «**رُدَّهُ رَحْمَةً لَهَا**»[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨١)، وأحمد ١٨/ ٣١٥-٣١٦ (١١٧٩٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٧٥).

(٩٨) القولُ فيما أُوتيَ سُليمانُ بنُ داودَ عليه السلام

فإن قيل: فقد أُعطيَ سليمانُ مُلكًا لا يَنبَغي لأحدٍ من بعدِه. قيل: إن محمدًا ﷺ أُعطيَ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ فأَباها ورَدَّها؛ اختيارًا للتَّقلُّل والرِّضا بالقوت استِصْغارًا لها بحذافيرِها إيثارًا لمرتبتِه، ورِفعته عند الله تعالى.

٣٠٨- فعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ جِيءَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَجُعِلَتْ فِي يَدِي**»[(١)].

فإن قيل: فإن سُليمانَ عليه السلام سخِّرَت له الرياحُ فسارت به في بِلاد الله، وكان غُدوُّها شهرًا ورواحُها شهرًا. قيل: ما أُعطيَ مُحمدٌ ﷺ أعظمَ وأكثرَ؛ لأنه سار في ليلة واحِدة من مكةَ إلى بيت المقدسِ مسيرةَ شهرٍ، وعُرِج به في مَلكوت السمواتِ مَسيرةَ خمسين ألفَ سَنَةٍ في أقلَّ من ثلُث ليلةٍ، فدخلَ السمواتِ سماءً سماءً وأُريَ عَجائبَها، ووقفَ على الجَنَّةِ والنار، وعُرِض عليه أعمال أُمَّته، وصلَّى بالأنبياءِ وملائكةِ السموات، وخرَق الحُجُب فأُدْلِيَ له الرفرفُ الأخضر فتدَلَّى، فأَوحَى إليه ربُّ العالمين بما أَوحى، وأعطاه خواتيمَ سورةِ البقرة من كَنز تحت العرشِ، وعهِد إليه أن يُظهرَ دينَه على الأديان كلها حتى لا يَبقى في شرقِ الأرضِ وغَرْبها إلَّا دينُه، أو يُؤدُّون إليه وإلى أهل دِينه الجزيةَ عن صَغارٍ، وفرضَ عليه الصلواتِ الخمسَ، ولقِيَ موسى عليه السلام وسأَله مراجعتَه ربَّه في التخفيف عن أُمَّته، هذا كلُّه في ليلةٍ واحدةٍ، فإنها أكثرُ وأعجبُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

فإن قيل: فإن سُليمانَ عليه السلام سُخِّرت له الجنُّ، وإنما كانت تَعتاصُ عليه حتى يُصفِّدها ويُعذِّبها. قيل: فإن محمدًا ﷺ كانت الجنُّ تأتيه راغبةً إليه طائِعةً له مُعظِّمةً لشأنِه مُصدقةً له مُؤمنة به مُتَّبعة لأمرِه تَتضرَّع له، مُستمدِّين منه، ومُستَمْنحين له زادَهم ومَأكَلهم، فجعل لهم كل رَوْثة تُصيبها تعود علَفًا لدوابها وكل عَظْم يعود طعامًا لها، وسخِّرت لنبوته أشرافُ الجنِّ وعظماؤُهم التسعة الَّذين وصَفَهمُ الله تعالى فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيةَ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] إلى قوله: ﴿لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]، وأقبلت إليه ﷺ ليلةَ الجنِّ الألوفُ منهم مبايعين له على الصومِ والصلاةِ والنصحِ للمُسلِمين، واعتَذَروا بأنهم قالوا على الله شططًا، فسُبحانَ مَن سخَّرها لنُبوَّة محمدٍ ﷺ بعد أن كانت شرَرًا تَزعُم أن لله ولدًا، ولقد شمِل مبعثُه من الجنِّ والإنسِ ما لا يُحصى، فهذا أفضلُ مِمَّا أُعطيَ سُليمانُ عليه السلام.

فإن قيل: فإن سُليمانَ عليه السلام كان له منَ التَّمكينِ والتَّسليطِ على مَنِ اعتاصَ عليه منَ الجنِّ أن يُصفِّدهم ويُقيِّدهم حتى كانوا في تَصرُّفهم له مُطيعين ولشَأْنه مُتَّبِعين هائِبين، فقد كان لمُحمَّد ﷺ ولطائِفةٍ من أصحابه منَ التمكينِ والأَسْر لهم والقبضِ عليهم مثل هذا من التمكينِ والتَّنكيلِ.

٣٠٩- فعن أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ عِفْريتًا مِنَ الجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ البَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ فَأَخَذْتُهُ فَذَعَتُّهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ**

أَرْبطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: ٣٥]» قال: «فَرَدَّهُ اللهُ تَعَالَى خَاسِئًا»[(١)].

فإن قلت: فإن سليمانَ عليه السلام كان يسخِّر الشياطينَ لأمور الدُّنيا فكانوا يَعملون له ما ذكَرَ الله تعالى: ﴿مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ: ١٣] في قلَل الجِبالِ وبُطون الأودية والبحار، فالقول فيه: لو أن النبيَّ ﷺ شاء تَسخيرَهم لَمَا امتنَعوا عليه، ولكنِ اختارَ العبوديةَ مع النُّبوةَ لَمَّا خيَّره الله تعالى بين أن يَكون ملِكًا رسولًا أو عبدًا نبيًّا؛ فأكَبَّ الدنيا على وَجْهها وزهِد فيها، فسخِّرَت له غيرُ أهلِها، فكانت الملائكةُ المقرَّبون أنصارَه وأعوانَه وأُنَّاسَه يُقاتلون بين يديه في الحروب كفاحًا ويَمنَعون عنه ويُدافِعون دونَه.

٣١٠- فعن سعدٍ قال: رأيتُ رجُلَيْن يُقاتلانِ عنِ النبيِّ ﷺ عليهما ثِيابُ بياضٍ كأشدِّ القتال، ما رأيتُهما قبل ذلك اليومِ ولا بعدَه يوم أُحُد، أو قال: يومَ بَدْر[(٢)].

٣١١- عنِ ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسولَ الله ﷺ قال لأبي اليَسَرِ: كيف أَسَرْت العبَّاسَ؟ قال: يا رسولَ الله لقد أَعانَني عليه رجلٌ ما رأيتُه قبلَ ذلك ولا بعدَه، هيئتُه كذا وكذا! فقال رسولُ الله ﷺ: «لَقَدْ أَعَانَكَ عَلَيْهِ مَلَكٌ كَرِيمٌ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦١)، ومسلم (٥٤١).
(٢) أخرجه البخاري (٤٠٤٥)، ومسلم (٢٣٠٦).
(٣) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣٤ (٣٣١٠).

فإن قيل: فإن سليمانَ عليه السلام كان يَفهمُ كلامَ الطير والنملةِ مع تسخير الله له كما ذكَر: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل:٢٠]، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ [النمل:١٨]، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل:١٦]، قيل: قد أُعطيَ محمدٌ ﷺ ذلك وأكثرَ منه، فقد تقدَّم ذِكْرنا لكلام السِّباع والبهائمِ، وحَنين الجِذْع، ورُغاء البعير، وكلام الشجَر، وتسبيح الحجَر والحصى ودُعائه إيَّاه واستِجابته لأَمْره، وإقرار الذِّئْب بنُبوَّته، كلُّ ذلك قد تَقدَّم ذِكرُه في الفصول بما يُغني عن إعادته.

(٩٩) القولُ فيما أوتِيَ يعقوبُ عليه السلام

فإن قيلَ: فإن يعقوبَ عليه السلام عظُم في الخير نصيبُه بالأسباط من سلالتِه، ومريمُ ابنةُ عِمران من بناتِه، والهداةُ من ذريتِه، قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

قيل: لقد كان كذلك، ومحمدٌ ﷺ في الخير أعظمُ نصيبًا وأوفرُ حظًّا وأرفعُ ذكرًا وخطرًا، إذ سيدةُ نساء المسلمين، بل نساء العالمين من بناتِه والحسنُ والحسينُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ذريتُه من صُلبه وحَفدَتُه.

٣١٢- عن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**فاطمةُ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ**»(١).

فإن قيل: فإن يعقوبَ عليه السلام صبرَ على فراق ولدِه حتى كاد يكونُ حرضًا من الحزنِ، قيل: قد كان حزنُه على ولده حزنَ تلاقٍ ومضضٍ واشتياقٍ، ووَجْدَ فراقٍ، ورسول الله ﷺ فُجع بواحدِه من الدنيا وقرةِ عينه في حياته فصبرَ محتسبًا ووفى بصدقِ الاختيارِ مستَسلمًا.

٣١٣- قال ﷺ: «**العينُ تدمع والقلبُ يحزنُ ولا نقولُ ما يسخِط الربَّ، وإنا عليك يا إبراهيمُ لمحزونون**»(٢) سالكًا في جميع أحوالِه منهجَ الرضا عن الله تعالى والاستِسلامِ له فيما يَقضي ويحكم.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٩ (٢٦٦٨) بمعناه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

ومما يدل على ذلك قوله: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤]، فأصابَه بفقد ولدٍ من بين جميعِ أولاده هذا الأسفُ، ونبيُّنا ﷺ فقد واحِدهُ ولم يكن له من البَنين غيرُه فلم يتأسفْ، بل رضي واستسلمَ ففاق صبرُه على صبر يعقوبَ، فدل ذلك على فضلِ قوتِه وزيادةِ صبرِه، ويدل ذلك على فضله عليه صلى الله عليهما.

(١٠٠) القولُ فيما أُوتيَ يوسفُ عليه السلام

فإن قيل: فإن يُوسفَ عليه السلام موصوفٌ بالجمال على جميعِ الأنبياء والمرسَلين، بل على الخلقِ أجمَعين. قيل: إن جمال محمدٍ ﷺ الَّذي وصَفه به أصحابُه لا غايةَ وراءَه، إذ وصَفوه بالشمسِ الطالعةِ، وكالقمرِ ليلةَ البَدْر وأحسَنَ من القمَر، ووجهُه كأنه مُذهبةٌ يَستَنير كاستِنارة القمَر، وكان عرَقُه ﷺ له رائحةٌ كرائِحةِ المِسكِ الأَذفَر.

٣١٤- فعن سِماك بن حَرْب أنه سمِع جابرَ بنَ سَمُرةَ يَقول: وقال له رجُل: أكانَ وجهُ رسولِ الله ﷺ مثل السَّيْف؟ قال: لا، بل كان مثل الشمسِ والقمَرِ، وكان مُستديرًا(١).

٣١٥- عن كعبِ بن مالكٍ قال: كان رسول الله ﷺ إذا سرَّه الأمرُ استنار وجهُه كأنه دارةُ القمَر(٢).

فإن قيل: فإن يُوسُفَ عليه السلام قاسَى مرارةَ الفُرقة وامتُحِن بالغربة عن أبويه وفارَقَ وطَنه. قيل: إن الذي قاسَى رسولُ الله ﷺ من مرارةِ الغُربة ومفارقة الأهل والعَشيرة والأحِبَّة والوطن أعظمُ ممَّا قاسى يوسفُ عليه السلام، فقد هاجرَ من حرَم الله وأَمْنه ومَسقَط رأسه وموطِن أنبيائه ورسُله مُضطَرًّا لا مختارًا، فاستَقبَل البيت مُتلهِّفًا مُستعبِرًا حزينًا فقال: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ الْبِقَاعِ إِلَى اللهِ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

تَعَالَى، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[1]، وخرجَ كئيبًا والهًا فلما بلَغ الجُحفةَ أُنزلَ عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥].

وأَراهُ اللهُ تعالى رؤيا أزالَ بها الحزنَ عنه توازي رؤيا يوسُفَ عليه السلام في التأويل حقَّق الله وقوعَها فقال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الآية [الفتح:٢٧]، وكان حبسُ يوسفَ عليه السلام توقِّيًا للمعصية فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣]، وحَبسُ رسولِ الله ﷺ في الشِّعبِ قطع منه عشيرته وأقاربه وأُلجِئ إلى الضيقِ الشديد، حتَّى كادَهُمُ اللهُ أبينَ كيدٍ فسلَّط أضعفَ خلقِه على صحيفةِ قريش التي عقَدوها في قطيعتِه، فأكَلَت عهودَهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨).

(١٠١) القولُ فيما أُوتِيَ يحيى بنُ زكريا عليهما السلام

فإن قيل: فإن يحيى بنَ زكريا أوتِيَ الحُكْم صبيًّا، وكان يَبكِي من غير ذَنْب، وكان يُواصِل الصومَ، قيل: ما أُعطي محمدٌ ﷺ أفضلَ من هذا؛ لأن يحيى عليه السلام لم يَكُن في عصرِ الأوثان والأصنام والجاهلية، ومحمدٌ ﷺ كان في عصرِ أوثان وجاهِلية فأُوتيَ الفَهم والحُكْم صبيًّا بين عبدة الأوثان وحِزب الشيطان، فما رغِبَ لهم في صنَم قطُّ، ولا شهِدَ معهم عيدًا ولم يُسمَع منه قطُّ كذبٌ، وكانوا يعدُّونه صدوقًا أمينًا حليمًا رَؤوفًا رحيمًا، وكان يواصِل الأسبوعَ صومًا فيَقول: «إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»[١]، وكان ﷺ يَبكِي حتى يُسمع لصدره أزيزٌ كأزيزِ المِرجَل.

فإن قيل: فإن الله قد أَثنى على يحيى فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران:٣٩] والحَصورُ الذي لا يَأتي النِّساءَ.

قيل: إن يَحيى عليه السلام كان نبيًّا ولم يَكُن مبعوثًا إلى قومِه وكان مُنفرِدًا بمُراعاة شأنه، وكان محمد نبيًّا رسولًا إلى كافَّة الناس ليَقودهم ويحوشهم إلى الله تعالى قولًا وفعلًا، فأظهرَ الله تعالى به الأحوالَ العالية المختلفةَ والمقاماتِ المتفاوتةَ في مُتصرَّفاته؛ ليَقتديَ كل الخلق بأفعاله وأوصافِه، فاقتَدَى به الصِّدِّيقون في جلالتهم، والشهداءُ في مَراتِبهم، والصالحون في اختلافِ أحوالِهم ليَأخُذ العالي والداني والمتوسطُ والمكينُ من أفعاله قِسطًا وحقًّا، إذِ النِّكاحُ من أعظمِ حُظوظ النَّفْسِ وأبلغِ الشهواتِ، فأمَر بالنِّكاح وحثَّ عليه لما جبَلَ الله تعالى عليه النفوسَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٦٣)، ومسلم (١١٠٤).

من تَوَقان النفس، وهيَجان الشهوةِ المطبوعة عليها النفسُ، وأَباح ذلك؛ ليَتَحصَّنوا به من السِّفاحِ، فشارَكوه ﷺ في ظاهِره وشمِلهم الاسمُ معه وانفرَد ﷺ عن مُساواته معهم فقال: «تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمِ»[1]، فإذا غلبَ عليه وعلى قلبِه ما أَفرَده الحقُّ به من قوله: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[2]، تَلطَّف ﷺ في مَرضاتِهن فقال لعائِشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ائْذَنِي لِي أَتَعَبَّدَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»، فقالت: إنِّي لأحبُّ قربَكَ وأحبُّ هَواكَ. فقام إلى مُصلَّاه إلى الصباحِ راكعًا وساجدًا وباكيًا[3].

وربما خرجَ إلى البقيعِ فتَعبَّد فيها زائرًا لأهلها، وربما قام ليلةً بآية إلى الصباحِ يُردِّد فيها كالمناجِي: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة:١١٨]، فكان نِسبتُه عن أحكام البشَرية ودواعي النفس مَمحوَّة عند انشِقاق صَدْره لَمَّا حشَوْه بالإيمان والحكمة الَّذي وزن به أُمته فرجَح بهم، هذا مع ما أَنزلَ الله تعالى من السَّكينةِ عليه وعلى قلبِه ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٤٦).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٣٩).

(٣) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (٤٦١٨)، وابن حبان (٦٢٠).

(١٠٢) القولُ فيما أُوتيَ عيسى ابنُ مريمَ عليهما السلام

كل فَضيلةٍ أُوتيَ عيسى عليه السلام فلِنبيِّنا محمدٍ ﷺ وِزانُها، ولم يُنكِرها المُتدبِّرُ، مع ما أطلَعَه اللهُ تعالى عليه خصوصًا من الغيوبِ التي لم يَطَّلِع عليها غيرُه من النبيِّين، والكائنات الَّتي لم يُخبَر بها سواهُ من المرسلين، ما يَكون تَصديقًا لفضائِله، ودَليلًا واضِحًا على مَناقِبه، وحُجَّة لائِحة على كراماتِه.

فإن قيل: فإن اللهَ تعالى خصَّ عيسى عليه السلام بسَنيِّ الأَحوال بما لم يُؤتِ غيره من الأنبياء والمرسَلين، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ الآيةَ [آل عمران:٤٥]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:٤٨] إلى قولِه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران:٥٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، وقوله: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ﴾ الآيةَ [المائدة:١١٠]، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى﴾ الآية [المائدة:١١١]، وقوله: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيةَ [المائدة:١١٤].

فالقول فيه: إن قولَه: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ [آل عمران:٤٥] مثل قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧] وقول النبيِّ ﷺ: «**إِنِّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى أَخِي عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ**»[١].

(١) أخرجه أحمد ٢٨/ ٣٧٩ (١٧١٥٠).

وأمَّا قولُه تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، فمعنى الكلِمة: قول الله تعالى: كُنْ. فكان من غير أبٍ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩] مَن حمَلَ الكلِمةَ على غير هذا فقدْ وافقَ النَّصارى في مَقالتِهم، فسمَّى عيسى الكلِمةَ لحُدوثه عند قولِه: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩]، ومثل قولِه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:١٣٧].

وسمِّيَ عيسى عليه السلام رُوحَ الله؛ لنَفخ جبريلَ في دِرعِ مريمَ عليهما السلام، ونُسِب الروحُ إلى الله تعالى لأنه بأَمْره، وكان يَقول: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء:٩١]، يَعني: نفخة جِبريلَ عليه السلام كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧]، فلمَّا كان رَميُه عليه السلام بقوةِ الله تعالى وإرادته نسِب إليه كقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة:٣٦] بعد قولِه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، يَعنِي: اثبُتا في الجَنَّة، فأزالها الشيطانُ، فقابلَ الثباتَ بالزوال الَّذي هو خِلافُه، ونسَبه إلى الشيطانِ لتَزيينِه ووَسْوسته لها.

وسمِّيَ روحَ الله لأنه بكلِمته كان، وكلامُ الله تعالى يُسمَّى رُوحًا لأنه حياةٌ من الجهل وموت الكُفر، قال الله تعالى: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشُّورى:٥٢] ورحمةُ الله تعالى رُوحٌ؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢] أي: برحمةٍ، وقال بعضُ المُفسِّرين: رُوحُ القُدس: الإنجيلُ، أيَّدَ الله تعالى به عيسى عليه السلام روحًا، كما جعل القرآن رُوحًا في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشُّورى:٥٢]،

فسُمِّيَ جِبريلُ روحَ القدس؛ لأنه لا يَقترِف ذنبًا ولا يَرتكب مَأثمًا، والروحُ النَّفخُ، سمِّي روحًا؛ لأنه ريحٌ يخرج عن الرُّوح.

فأمَّا ذِكْره بالمَسيحية فذكره في قوله: ﴿ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥] فهو اسمٌ مشتركٌ كان داودُ عليه السلام يسمَّى مَسيحًا عند أهل الكِتابِ، وقد سمِّي الدجَّالُ الأعور المسيحُ لا على جهة الكَرامةِ ولكن عينه مَمسوحة، فقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٧١] إعلام المخاطَبين أنه عيسى لا غيرُه، وأنه رسولُ الله صاحبُ الآياتِ المُقتَصَّة، دليلُ ذلك أنه لم يُخاطِبْه به وخاطَبَه باسمِه فقال: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾ [المائدة:١١٠]، و﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦]، و﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، وفي الإخبار عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [الصَّف:٦]، وبمِثل ذلك خاطَبَ الأنبياءُ عليهم السلام فقال: يا آدمُ، ويا نوحُ، ويا إبراهيمُ، ويا موسى، ويا عِيسى.

وقد ذُكِرَ في معنى المسيح وجوهٌ، وقيل: سمِّيَ مسيحًا لسياحته. وقيل: مسيحٌ فعيلٌ من مسح الأرض؛ لأنه كان يَمسَحها بسَيْره عليها. وقيل: سمِّيَ مسيحًا لخُروجه من بطن أُمِّه مَمسوحًا بالدُّهْن، وقيل: سُمِّيَ به لأنه كان أمسحَ الرِّجْل أسفَل قدَمه لم يَكُن له أخمص. وقيل: سُمِّي مَسيحًا لأن الله تعالى مسَحَ الذنوب عنه. وقيل: سُمِّيَ به لأن جبريلَ عليه السلام مسَحَه بالبَرَكة، وهو قولُه تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١]. وقيل: سمِّي به لأنه لم يَمسَح ذا عاهةٍ إلَّا برَأ.

فإن قيل: فإن عيسى عليه السلام قد خصَّ بأن أرسل الرُّوح الأمين إلى أُمِّه فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ١٩﴾ [مريم:١٩]، فحمَلَت به، فناداها جِبريلُ عليه السلام ﴿مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ الآياتِ [مريم:٢٤]، فأَشارت إليه فنطَق في المَهْد بإِذْن الله تعالى صبيًّا فقال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الآياتِ [مريم:٣٠]، فكانت آيةً للعالمين ومثلًا في الآخِرين، ولم يُذكَر لأحد من الأنبياءِ شيء مثله.

فالقولُ في ذلك: إن رسولَ الله ﷺ أُعطيَ ضروبًا من هذه الآياتِ وأمثالِها الدالة على مَولِدِه، وبُشِّرَت به أُمُّه آمِنةُ في حَملها به، وما أظهرَ الله تعالى لها من الآيات عند وَضْعها.

وأما قولُه تعالى: ﴿وَرَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ [مريم:٢١] فنبيُّنا محمد ﷺ وصفَه الله تعالى بأعمِّ الرحمةِ وأكملِها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧] فمَن صدَّقه وآمنَ به فاز برحمة الله في الدارين، ومن لم يصدِّقه أَمِن في حياته مما عُوقب به المكذِّبون من الأممِ من الخسفِ والمسخ والقذفِ، وأنقذَ اللهُ ببعثتِه من الضلالة وانتَعشوا بالإيمان من الدمارِ وأمنوا به من البوارِ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [آل عِمران:١٦٤] وقال: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥﴾ [الأحزاب:٤٥].

فإن قلت: فقد قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨ – ٤٩] الآيةَ، فقد أُوتِيَ محمدٌ ﷺ ما يُجانِسُ ذلك وأكثرَ منها وأفضلَ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾

[الحجر:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ [النحل:٤٤] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزُّخرف:٤٤]، أي: القُرآن شرَف لك ولهُم، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]، ويقول للأنبياءِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ الآيةَ [فصلت:٤١ - ٤٢]، وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ الآيةَ [الإسراء:٨٨]، وقال: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الآيةَ [الطَّلاق:١٠- ١١]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فإن قلت: فإن عيسى عليه السلام كان يَخلُق من الطينِ كهيئة الطير فيكونُ طائرًا بإذْن الله.

قُلنا: لرسولِ الله ﷺ نظيرُه، فإن عكَّاشةَ بنَ محِصَن انقطَع سيفُه يومَ بَدْر فدفَع رسولُ الله ﷺ جذلًا من حطَب وقال: «قَاتِلْ بِهَذَا»، فعاد في يَدِه سيفًا شديدَ المتنِ أبيضَ الحديدة طويلَ القامة، فقاتلَ به حتَّى فتحَ الله على المُسلِمين، ثُم لم يَزَل معه في المشاهد إلى أيام الرِّدَّة. فالمعنى الذي به أمكَن رسولَ الله ﷺ أن يُصيِّر الخشَبَ حديدًا ويَبقى على الأيَّام، ثُم استِماع التسبيح والتقديس والتهليل من الحجَر الصمِّ في يَده، وشهادة الأحجار والأشجار له بالنبوَّة وأمره للأشجار بالاجتماع والالتِصاق والافتِراق، كلُّ ذلك يُجانِس إحياء الموتى وطيَران الطَّيْر من الطينِ كهيئة الطير.

وإن قلت: فإن عيسَى عليه السلام كان يُبرِئ الأكمَهَ والأبرصَ والعُميانَ بإذْن الله، فإن قَتادةَ بنَ النُّعمانَ ندَرت حَدَقته يوم أُحُدٍ من طعنة أَصابَت عينَه، فأخَذَها رسولُ الله ﷺ بيدِه فردَّها، فكان لا يَدري أيَّ عينَيْه أُصيبت[(١)].

٣١٦- وعن البراءِ قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافعٍ اليهوديِّ فندَب له سريَّةً أمَّر عليهم عبدَ الله بن عَتيكٍ، وذكر القِصَّة، قال عبدُ الله: فوقَعت في ليلة مقمِرة فانكَسَرت رِجلي فعصَبْتها بعِمامتي، فلمَّا انتَهَيْنا إلى النبيِّ ﷺ قال: «**ابْسُطْ رِجْلَكَ**»، فبَسَطْتُها فَمَسحها فكأنما لم أَشكُها قطُّ[(٢)]. ولهذا الجنسِ نظائرُ قد تقدَّم ذكرُها في أبوابها.

فإن قلتَ: فإن عيسى عليه السلام كلَّم الموتى، فلقد كان لمحمدٍ ﷺ أعجبُ منه، قُدِّم إليه شاةٌ مسمومة مَصلِيَّةٌ فنادَته ذراعُها: لا تأكُلني؛ فإني مَسمومةٌ. وقد تقدَّم هذا الحديث في بابه.

فإن قلت: كان عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام يُخبِر بالغيوب ويُنبِئ قومه بما يَأكُلون في بُيوتهم وما يدَّخرون، فإن رسولَ الله ﷺ قد كان يُخبِر من ذلك بأعاجيبَ؛ لأن عيسى عليه السلام كان يُخبِر بما كان من وراءِ جِدار في مَبيتهم وتَصرُّفهم في مَآكَلهم، ومحمد ﷺ يُخبِر بما كان منه بمَسيرة شهر وأكثرَ، كإخباره بوفاة النجاشيِّ، ومنِ استُشهِد بمُؤتةَ: زيدٍ وجعفرٍ وعبدِ الله بنِ رواحةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكان السائلُ يأتيه ليَسأله فيقول: «**إنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ عَمَّا جِئْتَ تَسْأَلُ عَنْهُ أَوْ تَسْأَلُ فَأُخْبِرَكَ**»[(٣)]، فيقول: لا بَلْ أَخبِرْني. فيُخبِره بما كان في نفسه من سؤاله إيَّاه، وأخبرَ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٣/ ١٢٠ (١٥٤٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ١٠٠.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ٤٠٧ (٩٧٤٧)، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٢٠٤ (٩٠٧).
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٥/ ١٤ (٨٨٣٠)، وابن حبان (١٨٨٧)، والطبراني في الكبير ١٢/ ٤٢٥ (١٣٥٦٦).

عُميرَ بن وهبٍ الجُمحيَّ بما تواطأ عليه هو وصفوانُ بنُ أُميةَ لَمَّا قعَدا بمكةَ في الحِجر في الفتكِ برسول الله ﷺ بعد مصاب أهلِ بدر حتى أسلمَ عُميرٌ.

ومنها إخبارُه عمَّه العباسَ بنَ عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لَمَّا أُسِر ببدر وأَراد أن يُفاديَه فقال: ليس لي مال؟ فقال: «**فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ أُمَّ الْفَضْلِ لَمَّا أَرَدْتَ الْخُرُوجَ وَعَهِدْتَ إِلَيْهَا فِيهِ؟**»[(١)]، ومِنها قصةُ سارةَ لما حمَلت بكِتاب حاطبِ بنِ أبي بَلتعةَ إلى المُشرِكين من أهل مكةَ فبعَث عليًّا والزُّبيرَ في طلَبها فقال: «**انْطَلِقَا حَتَّى تُدْرِكَاهَا بِرَوْضَةِ خَاخٍ مَعَهَا كِتَابٌ إِلَى الْمُشْرِكِينَ**»[(٢)]، وقوله لعبدِ الله بن أُنيسٍ لَمَّا بعثَه إلى الهُذليِّ بوادي عرنةَ فقال: «**إِذَا رَأَيْتَهُ هِبْتَهُ**»[(٣)]، ومنها ما أَطلَعه اللهُ تعالى عليه في مُنصرَفه من تبوكَ لما ضلَّت راحلتُه، فقال بعضُ المُنافِقين: ألَا يُحدِّثه اللهُ تعالى بمكانها. فأَطلعه اللهُ تعالى عليها وعلى ما في نفس المُنافِق، فأَسلمَ وفارقَ النِّفاق، ومنها ما أَخبَر به رسولَيْ فيروزَ لما قدِما عليه المدينةَ من اليمنِ حين كتَب إلى كِسرى فقال لهما قولًا له: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ قَتَلَ رَبَّكَ الْبَارِحَةَ**»[(٤)]، فكتَبا تلك الليلةَ فلمَّا رجَعا إلى اليمَن أَتى فيروزَ الخبرُ أن شِيرويهَ بنَ كِسرى قتلَ أباه كسرى تلكَ الليلةَ في أشياءَ كثيرةٍ تقدَّمت بأَسانيدها في مواضِعها من هذا الكتابِ بما أَغنى عن إعادتها.

ونَذكُر بعض ما خصَّه الله تعالى به من إعلامِه وإخبارِه بأشياءَ لم تَكُن فكوَّنها الله، وما وعَد أمته بوقوعها لإطلاعِ الله تعالى إيَّاه عليها، وإخباره عمَّا يجري بعدَه على أُمَّته مما هو من عجيب مُعجزاته ودَلالة كرامته ونباهتِه ﷺ دائمًا أبدًا:

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٣٣٤ (٣٣١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

(٣) أخرجه أحمد ٢٥/ ٤٤٠ (١٦٠٤٧)، وابن شبة في تاريخ المدينة ٢/ ٤٦٧، وابن حبان (٧١٦٠).

(٤) أخرجه أحمد ٢٤/ ٨٥ (٢٠٤٣٨)، وأصله في البخاري (٤٤٢٥).

فممَّا أَخبَرَ بكونه ثُم كان قولُ الله تعالى: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٣٧] فكفاه اللهُ تعالى ووفَّاه ما وعَده بنُصرة المؤمنين وإبادة المُستهزِئين.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [آل عمران:١٢]، فكان كما وعَدَه اللهُ غلِبوا فقُتِلوا ويُحشَرون إلى النار.

ومنه قوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [آل عمران:١٣٩] فكان كما وعَده اللهُ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال:٧] فهزَمَ اللهُ تعالى المُشرِكين.

ومنه قولُه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠] فنصَرَه وقوَّاه بلا مالٍ ولا عشيرةٍ، فبلَغ مُلك أُمته الشرق والغرب.

ومنه قوله: ﴿لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥ﴾ [الحج:٥٩] فدخَلوا مكةَ آمِنين.

ومنه قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:٥٥]، فكان كما وعَدَهم، فهذا مِمَّا لا يَجوزُ في حسٍّ ولا ظنٍّ ولا يَقع بالاتِّفاق.

ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢﴾ [الرُّوم:١ - ٢]؛ فلِعِلمه بكونه ووقوعه حدَّد الوقت وخصَّصه ووقف عليه في بِضع سنين، والعرب مُصدِّقها ومُكذِّبها عرَفوا أن البِضعَ معلوم عند جَميعهم وأكَّدَه بقوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾ [الرُّوم:٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ السورةَ، والفتحُ: فتحُ مكةَ خصَّ من بين الفتوح بالفتح؛ لعِظَم قدرِه وأنها بلدة المهاجرين الذين أُخرِجوا منها، وأهلها كانوا أشدَّ الناس عَداوة لرسولِ الله ﷺ وأصحابه؛ لأن القَرابة والجِيران أشدُّ تَقاطعًا وتَباغُضًا، فبشَّره اللهُ تعالى بفَتحها قبل كونِه وبدُخول أفواج الناس في دِينه، فحقَّق اللهُ تعالى له بِشارته بفَتْحها وقدِمت الوفودُ والجماعاتُ عليه المدينة مُسلِمين مُنقادين له ولدِينه، فقبَضَ الله تعالى نبيَّه ﷺ وقد طبَّق الإسلام إلى شَحْر عُمانَ وأقصى نجدٍ إلى العِراق بعد تمكُّنه بالحجاز، وبسط رواقَه وجرانه بالغورِ، فجرى حُكمُ الله تعالى وحكمُه ﷺ على أهل مكةَ والطائف وعُمانَ والبحرين واليمنِ واليمامةِ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُخۡرَىٰ لَمۡ تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهَا قَدۡ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح:٢١] يَعنِي: العجم وفارِسَ، وكقوله تعالى: ﴿وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب:٢٧] يَعنِي: فارسَ والرومَ، فوجَدوا ما وعدَ الله تعالى كما وعَدهم.

ومنه قوله: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾ [الفتح:١٦] وهم أهل فارسَ والرومِ وبنو حنيفةَ وأصحاب مُسيلمةَ، فقاتَلَهم أبو بكر ثُم عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فلم يَختلِفْ أحدٌ من أهل القِبلةِ أن المُخلَّفين من الأعراب لم يُدْعوا على شيءٍ من الحروبِ بعد تولِّيهم عن النبيِّ ﷺ حتى دُعُوا في زمن أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أصحابِ البأس مُسيلمة وبني حَنيفةَ، ووعَد ﷺ بيضاءَ المدائن واصطَخْر وفتح كنوز كِسرى.

وقال لعَديِّ بن حاتمٍ: «لَا يَمْنَعُكَ مَا تَرَى بِأَصْحَابِي مِنَ الْخَصَاصَةِ، فَلَيُوشِكَنَّ أَنْ تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ بِغَيْرِ جِوَارٍ»(١)، فأَبصَر ذلك عديُّ بنُ حاتم بعينِه.

ومنه قوله تعالى: ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [الممتحنة:٧]، فكان ذلك، تَزوُّج النبيِّ ﷺ بأُم حَبيبةَ، وإسلام أبي سُفيانَ، فزالت العَداوةُ وآلَتْ مَودَّةً وصِلة.

ومن المَكنون الذي أَكنته الصدور وأَضمَرته القلوب وأَطلعَ الله تعالى عليه نبيَّه ﷺ وجعَله من مُعجزاته الباهِرة قوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:١٤]، وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:٧٦]، فأَعلَم الله تعالى نَبيَّه بذلك فقال: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة:٧٧].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران:١٨٨]، فكتَموا النبيَّ ﷺ ما سأَلَهم وأَخبَروه بغير الحقِّ وأَوهَموه صِدقَهم ليَستَحمِدوه بذلك، فأَعلَمَ اللهُ تعالى ذلك نبيَّه ﷺ وهم اليَهودُ.

ومنه قولُه تعالى: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:١٨]، وذلك أن اليهودَ قالوا للمُنافِقين سرًّا يوم الخَندقِ: علامَ تَقتُلون أنفسكم؟! هلُمُّوا إلينا ما تَرجون من محمدٍ ﷺ؟! واللهِ، ما تَجِدون عنده خيرًا.

---

(١) أخرجه أحمد ٣٢/ ١١٩ (١٩٣٧٨).

ومنه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ [محمد:٢٥] إلى قولِه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ [محمد:٢٦]، وذلك أنهم قالوا لقُريظةَ وبني النضيرِ: سنُطيعكم في بعضِ الأمر. وأَخرَج الله تعالى إسرارَهم لرَسوله ﷺ، ونظائِر ذلك مِمَّا أَطلع اللهُ تعالى عليه نبيَّه ﷺ ممَّا أَسرَّه الْمُنافقون واليهودُ في أَمره، في القُرآن قِصص كثيرة اكتفَيْنا منها بما ذكَرنا.

فإن قيل: قد أُتيح لعيسى عليه السلام الحَواريُّون فكانوا أنصارَه وأعوانَه فمدَحهم اللهُ تعالى بذلك فقال: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢].

قيل: قد كان لرَسولِ الله ﷺ منَ الحواريِّين غيرُ واحِد كما قال عليه السلام: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»[(١)]. على أن حواريَّ عيسى عليه السلام مَبلَغهم في طاعتِهم له ما قصَّ اللهُ تعالى من قولهم: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة:١١٢]، ولِحَواريِّ رسولِ الله ﷺ في خُلوص الطاعة وصحة النية وحُسن الْمُؤازرة ومُجاهدة النفوس في نَصْر نبيِّهم وتَبجيلِهم وتعظيمهم له ومعرِفتهم بجلالته ما اقتَصَصنا من أخبارِهم، فكانوا لا يحدُّون النظر إليه إعظامًا له، ولا يَرفَعون أصواتهم عليه إجلالًا له، ولا يَتنخَّم نُخامةً إلَّا ابتَدَروها يَتَمسَّحون بها، ولا سقَطت منه شعرةٌ إلَّا تَنافَسوا فيها.

فإن قيلَ: فإن عيسى عليه السلام كان سَياحًا جَوابًا للقفارِ والبراري، قيل: كذلك كان، وسياحةُ محمد ﷺ أعظمُ، وأكثَرَ الجهادَ واستنقذَ في عشرِ سنينَ ما لا يُعد من حاضرٍ وبادٍ، وافتتح القبائلَ الكثيرةَ، فصلى الله عليه من مبعوثٍ بالسيف

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٤١٥).

لا يُداري بالكلام ومجاهدٍ في الله لا ينامُ إلا على دمٍ، ولا مُستَقِرًّا إلا متجهزًا لقتال الأعداءِ وباعثًا إليهم سريَّةً في إقامة الدينِ وإعلاءِ الدعوةِ وإبلاغ الرسالةِ.

فإن قيل: فإن عيسى عليه السلام كان زاهدًا يقنِعُه اليسيرُ ويرضِيه القليلُ خرج من الدنيا كفافًا لا له ولا عليه، قيل: إن محمدًا ﷺ كان أزهدَ الأنبياء، كانت له ثلاثَ عشرةَ زوجةً سوى من يُطيفُ به فما رفِعت مائدتُه قط وعليها طعامٌ، ولا شَبِعَ من خبزِ بُرٍّ قط ثلاثَ ليالٍ متواليات، وكان يربطُ الحجرَ على بطنه، لباسُه الصوفُ، وفراشُه إهابُ شاة، ووسادتُه من أدم حشوُها الليفُ، يأتي عليه الشهران والثلاثةُ ولا يُوقدُ في بيته نارٌ لمصباحٍ، توفي ودِرعُه مرهونةٌ، لم يتركْ صفراءَ ولا بيضاءَ مع ما عُرِضَ عليه من مفاتيحِ خزائنِ الأرض ووُطِّئ له من البلادِ ومُنحَ من غنائِم العبادِ، وكان يقسِّم في اليوم الواحد ثلاثَمِائةِ ألفٍ، ويُعطي الرجلَ مائةً من الإبلِ والخمسين، ويُعطي ما بين الجَبلين الأغنامَ، ويُمسي ويأتيه السائلُ فيقولُ: **«والذي بعثَني بالحق نبيًّا ما أمسى في آلَ محمدٍ صاع من شعيرٍ ولا من تمرٍ»**[(١)] **«أجوعُ يومًا وأشبعُ يومًا، فإذا جعتُ تضرَّعتُ، وإذا شَبِعتُ حمدتُ»**[(٢)] وكيف لا يكونُ كذلك مِن عَظَّمهُ الله تعالى فقالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم:٤].

فإن قيل: فقد أَخبَرَ الله تعالى عن عيسى ابنِ مريمَ عليهما السلام ما كان يَتقلَّب فيه من حِياطة الله تعالى له ومُدافعته المكرَ والغوائل عنه، حتى كان يُصبِح ويُمسِي آمنًا ساكن النفس؛ لما كان يَتولاهُ الله تعالى به فقال: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم﴾ الآيةَ [المائدة:١١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧).

قيل: قد كان كذلك، ورسولُ الله ﷺ عصَمه الله من غير سؤال سأَل ولا رهبةٍ وجَد، وذلك أن اليهودَ أَوعَدَتْه مَقدَمَه المدينة فقالوا: يا محمدُ، إنا ذو عُدَّة وبأسٍ شديدٍ فاحذَرْ أن نَقتُلك. فكان جماعة من المُهاجرين والأنصار يَحرُسونه مُشتَملين في السلاح يَخافون عليه اليهودَ، فأَنزل الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] يَقول: من اليهودِ، إني أنا إذا أَمنَعك منهم، فردَّهم عن الحرس إلى منازلهم، فكان يَبرُز وحدَه في سواد الليل وبالأسحار إلى البَقيع والأودية مَمنوعًا منهم، لا يَصِلون إليه بقتلٍ ولا قهرٍ ولا إطفاء نور ولا غلَبة على حقٍّ، صادِعًا بأمر الله مُبلِّغًا رسالته، آمنًا على نفسه، واثقًا بعُلوِّ كعبِه ساكنًا إلى ظهور دِينه، فزاد وعدُ الله الصادقُ في عَزيمته، وأعانَه على صَريمته، وقوَّى قلوب صحابته، وخفَّف عنهم من لُزوم حِراسته، وبيَّن لهم أنه صادق في خبَره، مُؤيَّد بوَحيِ ربه والكِتاب المُعجِز الَّذي نزَل على قلبه؛ لأن الإخبار بعِصْمته من الناس في مُستقبَل أيَّامه ومُستأنَف زمانِه غيب لا يَعلَمه إلَّا علَّام الغيوب، ولا يُخبِر به عنه مُحتجًّا به ومستدِلًّا بكونه ومُستنبِيًا إليه إلَّا رسول أمين يَعلم أنه على بيِّنة من ربِّه، وبصيرة من أَمْره، وأمان من وُقوع الأمرِ على خلاف مخبرِه.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**